

جرجی زیدان

أبو مسلم الخراساني

كسار



سلسلة تاريخ الإسلام

قبايات الهلال

رواية الهلال

صاحبها ورئيسا تحريرها : اميل زيدان وشكري زيدان

مدير التحرير : طاهر الطناحي

العدد ١٠ * اكتوبر ١٩٤٩ * ذو الحجة ١٣٦٩

بيانات ادارية

نمن العدد في مصر والسودان ٦٠ مليما - في الاقطار العربية عن الكميات المرسلة بالطائرة : في سوريا ٨٠ قرشا سوريا - في لبنان ٨٠ قرشا لبنانيا - في فلسطين ٧٥ ملا - في شرق الاردن ٨٥ ملا - في العراق ٨٥ فلسا

قيمة الاشتراك من سنة (١٢ عددا) : في القطر المصري والسودان ٦٠ قرشا - في سوريا ولبنان ٨٠٠ قرش سوري أو لبناني - في فلسطين وشرق الاردن ٨٠٠ مل - في العراق ٨٠٠ فلس - في المملكة العربية السعودية ٨٠ قرشا صاغا أو ١٧ شلنا - في الولايات المتحدة وكندا وكولومبيا والمكسيك والارجنتين ٦ دولارات - في سائر انحاء العالم ١٠٠ قرش صاغ أو ٦ / ٢٠ شلنا

طريقة الدفع

في مصر والسودان : نقدا أو بموجب اذونات أو حوالات بريدية أو شيكات - في خارج القطر المصري : بموجب حوالة مصرفية على احد بنوك القاهرة أو حوالة نقدية (Money Order) أو الى احد وكلائنا اذا كان هناك وكيل . ولا يمكن قبول اذونات البريد أو العملة الاجنبية

مركز الادارة : دار الهلال ١٦ شارع المتديان - القاهرة
المكاتب : روايات الهلال - بوسنة مصر العمومية - مصر
التليفون : ٤٦٠٦٤ (ثمانية خطوط)
الاعلانات : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

كلمة التحرير

هذه معجزة قائد شاب لم يتجاوز الرابعة والعشرين ، هدم دولة ، وبنى دولة ، وحطم عرشاً هيمن في الشرق العربي ألف شهر كاملة ، وأقام عرشاً ثالثاً في عاصمة العراق مئات السنين ، فاتسع سلطانه ، وامتدت حضارته بين المشرق والمغرب

وهو في حياته الطموحة ، وشجاعته وإقدامه وعزمه وإيمانه ، مثل بارز للشجائب الطموح ، وعبرة لطلاب المجد والعلى . فقد سما أبو مسلم الخراساني ، بهمته وجده ، فاختير وهو في العشرين من عمره قائداً للدعوة العباسية ، وتقدم على شيوخ سبقوه عدة سنوات بالعمل والمال ، وبرهن على أن الإرادة إذا صحت تحقق الهدف المستحيل ، وأن الإيمان إذا صدق يبلغ بالإنسان أقصى ما يريد

إن أبا مسلم لم يتعلم في جامعة ، ولم يتلق الإخلاص لفكرته والإيمان بدعوته عن أستاذ ، ولكنه رأى أن أهل بيت النبي محمد أحق بالخلافة ، وأن بني أمية قد اغتصبوها ، وأفسدوا الملك والسلطان ، فنهض يخادبهم ، وترغم قيادة الدعوة العباسية حتى نجح فيها فقامت دولة العباسيين ، وزالت دولة الأمويين . ولكن نجمه الساطع ما لبث بعد سنوات أن هوى ، وانتهت حياته وهو في عنفوان الشباب بمأساة ساقتها له الدسائس والأطماع ذوي السلطان

تلك هي رواية أبي مسلم الخراساني: مفخرة ومأساة، وموكب لامع من البطولة والنجاح ، ثم ماتم مخزن من ماتم إفساد والظلم . وهي أول رواية من عصر الدولة العباسية تكشف عن ميلاد هذه الدولة إلى عهد أبي جعفر المنصور . أما الرواية التالية التي تصدر في ١٥ نوفمبر القادم فهي « العباسية أخت الرشيد » وتشتمل على نكبة البرامكة وأسبابها ، وبطلانها وصف مجالس الخلفاء وحياتهم في قصورهم ودواوينهم وأوقات فراغهم ، وما بلغت الدولة العباسية من أبهة وحضارة وعظمة في عصر هرون الرشيد . وهو ذلك العصر الذي ازدحم برخاء الحياة وزينة الدنيا وجمال الحضارة ، وإحلام الزمان

أبو مسلم الخراساني

تشتمل على سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية
وسعى ابي مسلم الخراساني في تأييدها ، الى قتله في خلافة
المنصور . مع وصف عادات الخراسانيين واخلاقهم وغير ذلك

لمؤسس الهلال

جرجي زيدان

١٨٦١ - ١٩١٤

دار الهلال بمصر

أبطال الرواية

أبراهيم الامام	: صاحب الدعوة العباسية
* أبو مسلم الخراساني	: عبد الرحمن بن مسلم
* أبو العباس عبد الله بن محمد	: أول الخلفاء العباسيين
* أبو جعفر المنصور	: ثاني الخلفاء العباسيين
* نصر بن سيار	: أمير خراسان
* دهقان مرو	: أحد الامراء الفرس
* جلتار	: ابنة دهقان مرو
* مروان بن محمد	: آخر الخلفاء الامويين
* خالد بن برمك	: قائد عباسي
* أبو سلمة الخلال	: معول الدعوة العباسية

مراجع هذه الرواية . -

هذه هي المراجع التي اعتمد عليها المؤلف في تأليف الرواية ووثائقها التاريخية

* تاريخ الطبري	* تاريخ ابن الاثير
* ابن خلكان	* الاصطخري
* التمدن الاسلامي	* مروج الذهب للمسعودي
* معجم الأدباء لياقوت	* الأحكام السلطانية

فذلكة تاريخية

تختلف دولة بنى أمية عن دولة الخلفاء الراشدين فى أن السلطة تحولت فيها من الخلافة الدينية الى الملك السياسى . كما أنها تختلف عن الدولة العباسية التى خلفتها فى أنها كانت عربية خالصة ، شديدة التعصب للعرب . ولذلك كان أهل الذمة وغيرهم من سكان البلاد الاصليين ، حتى الذين أسلموا منهم ، يعاملون من خلفاء بنى أمية وعمالهم ، ومن العرب عامة فى ذلك العهد ، معاملة العبيد ، وكانوا يسمونهم « الموالى » ويعبدون أنفسهم ذوى فضل عليهم لأنهم أنقذوهم من الكفر . وكان بعض العرب اذا مرت بهم جنازة مسلم ، سألوا : « من هذا ؟ » فاذا قيل : « انه قرشى » قالوا : « واقوماء ! » واذا قيل : « هو عربى » قالوا : « وابلدناه » . فاما اذا علموا انه من الموالى فكانوا يقولون : « هو مال الله يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء ! » وكانوا يحرمون الموالى من الكنى ، ولا يدعونهم الا بالاسماء والالقب ، ولا يمشون فى الصف معهم ، ويسمونهم العلوج . وفى كتاب الموالى للجاحظ أن الحجاج لما قبض على الموالى الذين حاربوا مع ابن الأشعث ، أراد أن يفرقهم حتى لا يجتمعوا . فنقش على يد كل منهم اسم البلدة التى وجهه اليها . وقد تولى ذلك النقش رجل من بنى عجل . فقال الشباعر .

وأنت من نقش المجلى راحته وفر شيخك حتى عاد بالحكم

ومن أجل ذلك كان سكان الدولة الإسلامية غير العرب ، فى عهد بنى أمية يودون التخلص من دولتهم ، وكانوا أول المحبين لمن يدعو الى غيرها أو يسمي فى اسقاطها

ولولا دهاء بعض خلفائها وأمرائها لم تطل مدة حكمها ، فقد قامت بدهاء معاوية وأنصاره . من أمثال زياد بن أبيه ، وعمر بن العاص ، والمغيرة بن شعبة . وما بايع الناس معاوية الا رهبة من سيفه أو رغبة فى عطائه ، إذ

كان الاعتقاد السائد أن أهل بيت النبي أولى بالأمر ، ثم توالى على دولة الأمويين أحوال كثيرة ، أعانت على بقائها أكثر من تسعين سنة

وكان أهل بيت النبي أثناء ذلك يطلبون الخلافة لأنفسهم ، وهم فئتان كبيرتان : فئة ترجع بنسبها إلى الإمام علي ابن عم النبي وهم العلويون ، وفئة ترجع إلى العباس بن عبد المطلب عم النبي وهم العباسيون ، وتسمى شيعتهم الراوندية . والعلويون فئتان : فئة تطالب بالخلافة لابناء علي من زوجته فاطمة بنت النبي ، وهم : الحسن ، والحسين ، ومن تسلسل منهما . . . وفئة تطالبها لابنه محمد بن الحنفية . وكان دعاة محمد هذا يدعون الكيسانية

ولم يطالب العباسيون بالخلافة إلا في أواخر دولة بني أمية . أما العلويون فما انفكوا من زمن معاوية يطلبون بها فيرسلون الدعاة إلى أنحاء المملكة الإسلامية يدعون الناس إليهم ، وكثيرا ما اجتمع حول بعضهم ألوف من الأنصار والأشيعاء ، ولكنهم لم يفلحوا . حتى إذا انقضى القرن الأول وأخذت دولة الأمويين في الاختلال ، كان الكيسانية قد كثرت دعائهم في العراق وخراسان . وكانوا يدعون لأبي هاشم بن محمد بن الحنفية ، وكان أبو هاشم قد أسر إلى أتباعه أنه سيحول الدعوة إلى آل العباس . فلما علمت شيعته بموته ، قدموا إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وبأيامه . . . فبعث الدعاة سرا إلى الأفاق في السنة المائة للهجرة . وكان أكثر الذين أجابوا الدعوة من الموالي غير العرب ، ولا سيما في خراسان لبعدها عن مركز الخلافة الأموية بدمشق

وفي سنة ١٢٤ هـ توفي محمد بن علي صاحب الدعوة ، فبايع الناس لابنه إبراهيم وكانوا يسمونه الإمام . وما زال أمر العباسيين يقوى ، وأمر الأمويين يضعف ، حتى انقضت الدولة الأموية ، وقامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ ، وكان قائد شيعة العباسيين شابا فارسيا اسمه أبو مسلم الخراساني هو بطل هذه الرواية



جلزار

كانت بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر قبل الفتح الاسلامي مؤلفة من المدن والقرى ، وكان رجال الحكومة يقيمون في المدن ويحصلون فيها كل قوتهم ، وأما القرى فكانت في جوة جماعة من أشراف الفرس يعرفون بالدهاقين على نحو ما كانت عليه حال قرى أوروبا في عصر الاقطاع . . حين كانت البلاد في أيدي الأمراء والأشراف ، وكل أمير منهم يحكم مقاطعة تعرف باسمه ، يحرسها جنده ويحرتها رجاله وهو فيه الحاكم المطلق . وكان الدهقان ورجاله يحكمون أهل القرى من سكان البلاد الأصليين ، ويعاملونهم معاملة الأرقاء . وكان هؤلاء خليطا من الشعوب الآرية يمتازون بضخامة البدن وبروز الصدر

وقد بقي الدهاقين في قرى خراسان وجاراتها بعد أن فتحها العرب ، فقد جرت عادة هؤلاء كلما فتحوا مدينة على أن يقيموا بها حامية منهم . أما القرى فكانوا يقرؤون فيها الدهاقين على نحو ما كانوا عليه في دولة الفرس ، واستعانوا بهم في أعمال الإدارة ولاسيما في اقتضاء الخراج ، لما كان لهؤلاء من النفوذ العظيم بين أهل البلاد الأصليين . وكان الدهاقين من الجهة الأخرى ينتفعون بتقربهم من الفئة الحاكمة ، ويجتزئون مما كانوا يجمعونه من الخراج . . فتضاعفت ثروتهم وازداد نفوذهم . على أنهم كانوا يتفاوتون ثروة ونفوذاً، فمنهم صاحب القرية أو المزرعة الصغيرة ، وصاحب الرساتيق العديدة والبلاد الواسعة . وكثيرا ما كانوا يتولون الحكومة كالأمراء . لكن بني أمية كانوا يسيئون إلى أولئك الدهاقين أحيانا ، أساءتهم إلى غير العرب . وقد ظل الدهاقين على المجوسية ديانة الفرس القدماء ، وانقضت أيام بني أمية ولم يسلم منهم الا القليلون

وكان أعظم دهاقين خراسان ، في أوائل القرن الثاني للهجرة ، دهقان كانت أكثر ضياعه بجوار مدينة مرو ، عاصمة خراسان في ذلك العهد ، فغلب عليه الانتساب إلى تلك المدينة فكان يسمى « دهقان مرو » . وكان له ابنة اسمها جلزار غلبت شهرتها على شهرته ، وقد ذاع ذكرها في الناس حتى أصبحت مضرب أمثالهم جالا وتعللا وأتفة ، فكثر خطابها من الدهاقين والأمراء . . ولكنها لم تكن تميل إلى أحد منهم ، ولم يكن أبوها يعارضها . وكان دهقان مرو هذا ، يقيم بمزرعة له على بضعة أميال من العاصمة .

وله قصر فخم تألق في بنائه ، وأنشأ حوله الحدائق وفيها الأشجار المثمرة وأصناف الرياحين والأزهار، وسرح فيها الطيور الداجنة النادرة والطاوس والديكة الهندية وغيرها ، وأقام حول القصر والحديقة سسورا غالبا منيعا كأسوار القلاع . وجعل خارج السور منازل رجال الحاشية والأعوان، وبينها أعشاش يقيم بها الحراثون والمخدم

ولم يكن يقيم معه بالقصر الا ابنته ونساؤه وخدমে ، ولم يكن له ولد ذكر وهذا القصر مبني على نمط خاص يحسبه المقبل عليه هيكلًا من هياكل النار التي كان الفرس يصلون فيها قبل الإسلام . ولعله كان كذلك من قبل، فلما أسلم أصحابه حولوه الى قصر للسكن وأنشأوا حوله الحديقة والسور . ولذلك كان المقبل عليه يرى أساطين ضخمة في صدره من الرخام ، عليها نقوش فهلوية وصور بعض الأبطال وبعض نصوص الأدعية أو الصلوات المجوسية . وتحيط هذه الأساطين برحبة أرضها من الرخام مرتفعة عن أرض الحديقة ، وفي سقفها نقوش ملونة تمثل أساطير المجوس من مواقع حربية أو حوادث دينية . وكانوا يسمون تلك الرحبة قاعة الأساطين أو القاعة الكبرى . ووراء القاعة غرف كبيرة مفروشة بأثمن الأثاث من الديباج والابرسيم على الطراز الفارسي

وفي ليلة من ليالي رجب القمرية من سنة ١٢٩ هـ . كان الدهقان جالسا في قاعة الأساطين هذه ، وقد فرشت بالسجاد . ووضعت عليه الوسائد المزركشة بالذهب ، وفي وسط القاعة شبه منصدة من خشب الصندل المرصع بالأصداغ الملونة . وعلى المنصدة تمثال صغير من الذهب لفارس فارسي عليه الدرع . وعلى رأسه الخوذة . وإلى جنبه السيف ، وعيناه وعينا جواده من الحجارة الكريمة . وعلقوا في سقف القاعة مصابيح يتوسطها مصباح كبير . وقد أناروها في تلك الليلة كالعادة . ولكن القمر أغناهم عن نورها

وكان الدهقان متصدرا القاعة على وسادة من الحرير ، وعليه قباء من الديباج الأحمر ، وعلى رأسه قلنسوة من الجلد الملون تقطعها عمامة صغيرة من نسيج الكتشمير يغلب فيها اللون الأبيض . وكان القباء مبطنا بالفرو لأنهم كانوا في فصل الربيع . وكان الجو باردا ، فالتف الدهقان بقبائه حتى غطى الفرو عنقه ومعظم لحيته . وكان كبير الوجه جاحظ العينين ضخيم الأنف أشقر الشعر . وقد خالطه الشيب قليلا فيحسبه الناظر اليه في الخمسين من عمره وهو فوق الستين . وبعد أن جلس هناك وحده نحو ساعة ، نهض فجأة ودخل غرفة ابنته، فبضت الخدم لقيامه ووقفوا احتراماً له . وكانت جننار قد ذهبت الى غرفتها بعد العشاء وبعثت الى ماسطتها . فجاءتها وأعانتها على خلع ثيابها ونزع حليها ، ثم جلست بجانب فراشها تحادثها ريثما تنام . وإنما عجلت جننار بالذهاب الى الفراش لكي تغلظ

بماشطتها وتفضي إليها بما في نفسها ، وهي على جانب عظيم من الجمال مستديرة الوجه ، ممثلة الجسم ، طويلة القامة معتدلتها ، بيضاء البشرة مع حمرة تلالاً تحت البياض ، سوداء الشعر مسترسلته نجلء العينين كحلأهما ، تفيض جاذبية وحلاوة . وكان لها في مقدم الذقن فصصة ، وإذا ابتسمت ظهر على جانبي فمها فحصتان هما « الفمازتان »

فلما نزع عنها الماشطة ثيابها ، البستها قميصاً من الحرير الوردى ، وحلت شعرها وسرحته بمشط من العاج فاسترسل على كتفها ، ثم ضفرتة ضفيرة واحدة . وكانت الماشطة من أهل الذكاء والعقل ، أصلها سرية ابتاعها الدهقان في جملة جوار بيض من بعض تجار الرقيق الذين يتجرون بالممالك ، من بلاد الترك وما إليها . ولكنها تمكنت بذكاها ولباقتها من اكتساب ثقة الدهقانة جلنار ، فجعلتها ماشطتها . والماشطة ذات شأن كبير في بيوت الدهاقين ، لأن نسائهم يفضين بأسرارهن إليها ويعتمدن عليها في كثير من المهام . فإذا كانت من أهل الذكاء والدهاء ، ملكت زمام القصر وسيرت الدهقان والدهقانة وفق ما تريد

وكانت ماشطة جلنار ، واسمها ريحانة ، قد ملكت ثقة سيدتها ، فأحبها خصوصاً بعد وفاة أمها . فأصبحت محط آمالها وخزانة أسرارها ، فلما انتهت جلنار من تبديل الثياب استلقت على فراش من ريش النعام ، غطاؤه أطلس سماوي اللون ، ففرقت فيه . واتكأت بذراعها اليسرى على وسادة مزركشة ، وأسندت خدها على كفها وتغطت بالحاف إلى أسفل الكتف ، وأرسلت يدها اليمنى فوقه وقد نزع من هصمها أكثر الخلي إلا الأساور ، وانحسر الكم عن رزدها فظهرت بضاضته . فتوسدت ووجهها إلى ريحانة ، وكانت هذه قد لفت رأسها وعنقها بخمار من نسيج الكشمير ، ولبست دراعة مستطيلة تحتها سراويل منتفخة على نمط لباس الفرس في تلك الأيام . وليس عليها شيء من الخلي

جلست ريحانة بالقرب من جلنار مستغربة ما رأت من سكوتها وانقباضها أثناء تبديل الثياب ، وكانت عادت أن تمارحها في مثل تلك الساعة ، على أنها جارتها في السكوت نادياً ، حتى مع علمها ببعض ما يجول في خاطر سيدتها من الأفكار . فلما اتكأت جلنار أشارت إلى ريحانة أن تفلق باب الغرفة ، ففعلت . وعادت إلى مكانها ومدت يدها إلى شعر جلنار وجعلت تلاعبه بين أناملها ، ثم مرت بيدها على رأسها وهي تنظر إلى وجهها وتبتسم كأنها تستفهم عن سبب سكوتها . وكانت جلنار تعرف العربية أكثر أهل فارس في ذلك العصر ، لأنها لسان الفئة الحاكمة . لكنهم كانوا يتفاهمون فيما بينهم بالفارسية لغة آبائهم . فقالت لها بالفارسية : « ما قولك في أبي ؟ » فقالت ريحانة : « انه يريد لك الخير .. »

قالت : « صدقت ولكنى آراه شديد الرغبة فى زواجى »

قالت : « أتلو مينه على ذلك .. وای أب لا يريد أن يزوج بناته ٢٠٠ وأنت من نعم المولى ، فى رغد من العيش ، وأبوك أكبر دهاقين خراسان وليس له سواك . وكلما جاءك طالب رفضته . أفيلام أبوك اذا غضب ؟ »

فتنهت جلنار ولم تعد تستطيع السكوت فقالت ويدها تصلح عنق قبيصها : « وهل تظنيننى أكره الزواج ؟ . ولكنى أرى أبى لا ينظر فى زواجى الى غير فائدته وأنت تعلمين ذلك »

فتجاهلت ربحانة وقالت : « لا آراه كما تقولين يا مولاتى فانه انما اراد زواجك بأبن أكبر أمراء العرب فى خراسان ، ولا يخفى عليك أن هذا الأمير لا يطلب شيئا الا ناله لانه الحاكم وكلمته نافذة ، ومن تقرب منه اكتسب مثل هذا النفوذ »

فقاطعتها جلنار قائلة : « وهذا ما أقوله .. ان أبى يريد تزويجى بأبن الكرمانى أمير هذا الجند لينال حظوة عنده ، وليكثر دخله من جباية الخراج . ثم ان الكرمانى هذا لم يتم له الأمر بعد ، فهو ليس الأمير الحاكم وانما يتطلع الى ذلك .. وما أدراك انه يناله ؟ »

فقالت : « أما نبيله الأمارة فأنا ضامنة ذلك لما أعلمه من قوة جنده ، فهو يحاصر الآن مرو عاصمة خراسان وقد ضيق على أميرها نصر بن سيار حتى فر من أمامه ، ولا يلبث أن يستسلم فيضير الكرمانى صاحب الأمر والنهى فى خراسان وتصيرين أنت أميرة خراسان »

قالت : « أراك تهذين وتخططين . أتزوج ابن الكرمانى على أمل أن يقلب أبوه أمير خراسان ويقوم مقامه ؟ وما أدراك أن الخليفة فى الشام لا يرسل جندا يحارب الكرمانى هذا ويقهره . فكيف تكون حالنا ؟ »

فابتسمت ربحانة ، وقالت : « أما بصدد الخليفة فى الشام ، فكونى على يقين من أنه لا يحرك ساكنا لاشتغاله بما حوله عما هو بعيد ، فقد علمت من خادمك الضحاك انه لما تولى الخليفة الحالى مروان بن محمد ، قامت الناس عليه حتى أهله ورجاله ، وقد قضى زمنا يحارب ويجاهد فى بلاد الشام فلم يستطع اخضاعها الا بشق النفس ، فهو لن يقوى على استرجاع خراسان اذا تطلب عليها رجل مثل الكرمانى »



قالت جلنار : « لقد ذكرتني بالخادم المضحك خفيف الروح ، وآراه يعرف اللغة الفارسية جيدا مع أنه عربى ، كما انه رغم ضحكك المتواصل وخفة



«وانكأحت حنار منراهما اليسرى على وسادة مزركشة، وجلست رمانة بجانبها تحادثها...»

روحه بعيد النظر ذو دهاء وإخلاص - أين هو الآن ؟ ادعبه لعلنا نستعيد
شيئا من حديثه »

وصمت ريحانة بالتهووس ولكنها سمعت خفق نعال أمام باب الغرفة ،
فعرفت أن الدهقان مار من هناك ، فوقفت حتى يمر فإذا به وقف بالباب ثم
فتحه ودخل ملتحفا بالقباء كما تقيم ، فأسرعت ريحانة إلى الباب وخرجت
احتراما لسيدتها - وأما جلنار فبقيت في الفراش ، وظهورت البغنة في وجهها
ولكنها كانت رابطة الجاش فتجلت ورجبت بأبيها - فأقبل حتى وقف
بجانب فراشها ، ثم انحنى وأمسك ذقنها بين أنامله كأنه يداعبها - أما هي
فلم تكن تجهل غرضه ، فظلت صامتة حتى كلمها قائلا : « أراك تحبين الرقاد
المبكر يا جلنار ؟ »

قالت : « كنت متعبة ، فاستلقيت على الفراش لأرتاح وأنا لا أشعر
بالنعاس »

قال : « هلم بنا إلى القاعة الكبرى ، فإن الجلوس فيها يشرح الصدر لما
تطل عليه من الأزهار والرياحين ، ونحن في أبان الربيع فضلا عن نور
القمر الساطع »

فلم يسع جلنار إلا الإذعان لرغبة أبيها ، فنهضت وتزلمت بملامة كبيرة
من نسيج الكشمير - يغلب فيها اللون العنابي - غطت أثوابها ، ومشيت
معه حتى وصلا إلى القاعة فجلسا على وسادتين متحاذيتين ، وجلنار تتوقع
من أبيها حديثا لا يرضيها - فلما استقر بهما الجلوس قال الدهقان : « رأيته
يا جلنار في هذا المساء على غير ما عهدتك ، فما الذي حملك على ذلك ؟ »
فأطوقت وقالت : « انى أطوع لك من بنائك يا مولاي »

قال : « فما بالك سكنت لما ذكرت لك أن أمير العرب أرسل يخطبك
لابنه ؟ ألا تعلمين أن مصاهرة هذا الأمير مدعاة إلى الإغتياب والفخر ؟ »
قالت : « وأى أمير تعنى يا أبتاه ؟ »

قال : « أعنى الكرمانى قائد قبائل اليمنية الذى يحاصر مدينة مرو
الآن ، أو هو فتحها على ما بلغنى وقد قر (نصر) منها »

قالت : « انى لا أفعل إلا ما تأمرنى ، لكنى لا أثق بفوز هذا الأمير -
وقد رأيته لما بعث نصر بن سيار أمير المدينة ليخطبني منك لابنه ، لم تجبه
مع انه صاحب حكومة خراسان »

قال : « وهذا يدلك على ما أريده لك من أسباب الهناء ، لأن نصرا هذا
لا يلبث أن يغلب على أمره ويخرج من البلاد مذخورا لصعف حاميتيه
وانحطاط قوة دولة بنى أمية على الإطلاق ، فقد أصبح أهل خراسان كافة
ناقمين عليها بعد ما ظهر لهم من إثارة العرب على القرس ، وبعد فرضها
عليهم الضرائب القادحة وطلب عمالها الجزية حتى من المسلمين ! »

قالت : « لا أجهل استبداد هذه الدولة ، ولكنها لا تزال في نظري أقوى من زجال لا دولة لهم ولا حكومة مثل الكرمانى . فانه أشبه برجل ثائر على حكومته ، وشأنه فى ذلك شأن جاعة الخوارج الذين يجتمعون على الدولة ثم يتفرقون ويقتلون ، وآخرهم شيبان الذى رأيناه بالأمس محاصرا مرو . » وزد على ذلك أن الكرمانى ليس معه من الأحزاب الا القبائل اليمنية من العرب ، وأما سائر القبائل المضرية فهم مع نصر بن سيار ، وربما عدلوا قوة اليمنية أو فاقوها . وهل نسييت حزب الشيعة القائم الآن فى بنى العباس وامامهم ابراهيم بن محمد . . ألم تكن نحن فى جلة الفرس الذين عاهدوا دعاة العباسية على نصرتهم وأكثر أحزابهم من أهل خراسان »

قال : « صدقت ، لقد عاهدنا الشيعة وساعدناهم ، ولكن يظهر لى انهم يقولون ولا يفعلون . فقد مضى عليهم أعوام منذ دعونا الى نصرتهم سرا ، فأمددناهم بالأموال مرارا ، ولكنهم لا يزالون الى الآن يتكتمون . وأما الكرمانى هذا فانه جمع الجند ولا يلبث أن يستولى على مرو ، وإذا هو فتحها أصبح أمير خراسان ، ثم يفتح سواها وتصبح دولة قوية تقوم مقام دولة بنى أمية . وأكبر شاهد على ذلك أنه تغلب بالأمس على الحارث بن سريج وقتله وشنت جنده ، ثم غلب فى مرو وفر نصر منها . . فالكرمانى صاحب الأمر والنهى الآن . . فأطيعينى وأنت الرابعة ، وإذا كان الأمير صهرنا أصبحت كلمتنا العليا ، وأصبحت أنت أميرة خراسان كلها . ومع ذلك فانى وعدته بك من قبل ، وقد بعث الى بالمهر مع الرسول »

فسكتت جلنار وأطربت ، فاعتبر أبوها سكوتها رضا ، وأراد أن يتحقق من ذلك لفصق ، فلما جاء أحد الغلمان قال له : « ادع الضحاك العربى »



أقبل الضحاك العربى خادم جلنار الى حجرتها ، وكان طويل القامة رقيق البدن محدودب الظهر قليلا لظوله ، وكان لا ينفك ضاحكا لغير ما سبب كان به شيئا من البله . ورغم صغر وجهه وخفة شعر لحية وشاربيه ، كان يضع على رأسه عمامة ضخمة تجعل منظره مضحكا . وكان الدهقان قد اشتراه من بعض تجار الرقيق ، ثم احتفظ به لأنه عربى ويندر بيع مثله فى تلك الأيام ، ولأنه كان خفيف الروح ، خيرا بفنون الأحاديث ، وكثيرا ما دعاه وسأله عن بعض المسائل العربية ، فكان يجيب دائما اجابة الحبير ، وإن خلط الجد بالهزل . فلما أنس الدهقان الانتباه فى ابنته أراد أن يسليها فاستقدمه . فلما دخل ألقي التحية ثم أمال عمامته الى جانب رأسه فأصبحت بكبرها وانحرافها ذات منظر غريب ، ووقف يضحك ويقهقه بلا سبب ظاهر فلما رآته جلنار ، ضحكت لأنها كانت تستانس به كثيرا وتتوقع أن

تستخدمه في بعض شئونها ، لما تحققته من جده في معرض المزاج . ثم
سأله الدهقان : « متى يثبت سلطان بني أمية في خراسان ؟ » - فأجاب على
الفور : « متى شاب الغراب يا مولاي ! »

فالتفت الدهقان الى ابنته وابتمسم كأنه يقول لها : « ألم أقل لك ذلك ؟ »
ثم التفت الى الضحاك وقال : « كيف تقول ذلك والامويون لا يزالون أهل
سلطان وعند خليفتهم في الشام الجند والاعوان ؟ ألا تظنه ينبغي لهذه المدينة
وينقذها من أصحاب الكرمانى ؟ »

فقهقه الضحاك قهقهة عالية وقال : « مسكين نصر بن سيار ، لقد بح
صوته وهو يستنجد بنى أمية وينذروهم بسوء المغبة ان لم ينجذوه ، وقد
بلغنى انه استعان فى اقتناع الخليفة بالشعر فنظم له قصيدة قال له فيها :

« أرى بين الرماد وميض نار وأخشى أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى وان الحرب میندوها كلام
فقلت من التعجب : ليت شعرى أياقأ أمية ؟ أم نيام ؟ »

قال الدهقان : « وماذا كان جواب الخليفة ؟ »

قال : « كتب اليه يقول : (الشاهد يرى ما لا يراه الغائب) » ولم يسعفه
بشيء .

فنظر الدهقان الى ابنته واكتفى بتلك النظرة تأييدا لقوله . ولكنها لم
تقتنع . ولم يكن تمنعها لغرض سياسى أو طمع فى سلطان ، ولكنها كانت
ذات قلب يحب ويبغض ، فاذا كانت قد سلمت قيادها الى أبيها فانها لم تسلم
قلبيها لابن الكرمانى ، ولا سيما أنها كانت ترى أن هناك من هو أكثر
استحقاقا لمحبتها ، وهو رجل رآته فى مجلس أبيها مرة فأحبته ، ولكنها لم
تجرؤ على التصريح بذلك ، لأنها لم تكن تعلم هل هذا الرجل يحبها أم قلبه
مشغول بغيرها

وأشار الدهقان الى الضحاك فخرج مهرولا ، فلما خلا الدهقان الى ابنته
قال لها : « سأرد رسول الكرمانى فى القد بجواب الرضا . » ولما وجدها
أطرق وسكتت لم يعبأ بذلك لاعتقاده أنها صنعت ذلك من قبيل الحياء

على أنها كانت خلال مكوثها قد سمعت طنطنة أجراس عن بعد ، ثم
سمعت نباح الكلاب . . فأدركت أن هناك طارقا غريبا . وما لبث أبوها أن
أدرك ذلك أيضا ، فقال لها : « لعل هناك قافلة سائرة على ضوء القمر . »
ثم جعلت أصوات الأجراس تقرب ونباح الكلاب يشمتد ، بينما الدهقان
وابنته فى صمت وكل منهما فى شغل

أبو مسلم الخراساني

لم يمض على ذلك قليل حتى سمع الدهقان وابنته جلنار هدير الجمال وصهيل الخيل وضوضاء الناس . ثم جاء بعض الفلمان مهرولين ، وقالوا : « ان قافلة كبيرة وقفت بجانب القرية تطلب النزول بدار الأضياف »

فقال الدهقان : « من أين هم قادمون ؟ وما عددهم ؟ » ، فقال أحد الفلمان : « انهم يزيدون على مائة نفس ومعهم الجمال والخيل ، ولا ندرى من أين قدموا » . فقال : « لا أظنهم ييغون الإقامة جميعا عندنا .. فادعهم للنزول » . فخرج الفلمان ، وبعد قليل جاء أحدهم وقال : « ان رجال القافلة يطلبون مقابلة مولانا الدهقان » . قال : « فليدخلوا »

فوقفت جلنار تهم بالرجوع الى غرفتها ، فامسكها أبوها وقال : « انتظري حتى نرى من يكون هؤلاء » .

وما أتم كلامه حتى أقبل رجلان ، قد تزملا كل منهما بقباء أسود ، وتلثم بلثام أسود ، ووراءهما رجلان يحملان حزمة طويلة يستندانها من طرفيها على أكتافهما ، فلما وصلا الى باب القصر أنزلاهما الى الأرض ووقفوا . أما الاثنان الأولان فدخلا دخول الأمراء ، وحيي أحدهما الدهقان بالفارسية . فلما سمع صوته أجفل وخيل اليه أنه سمع ذلك الصيوت من قبل ، ثم اقترب الرجل من الدهقان ، فلما كاد يتبين وجهه على ضوء المصباح حتى هتف مرحبا به قائلا : « عبد الرحمن ؟ »

فلما سمعت جلنار هذا الاسم ، اختلج قلبها ، ونظرت الى وجه القادم وهو ملثم فلم تعرفه ، ولكنها رجعت أن يصدق ظننها فيه لقصر قامته وساقيه وعرض صدره ، فظلت حالسة تنتظر ، فلما حسر الرجل اللثام بعد أن سمع الدهقان يرحب به . لاح تحته وجه أسمر جميل نقى البشرة أحور العينين عريض الجبهة حسن اللحية طويل الشعر ، فأدركت جلنار أنه عبد الرحمن ابن مسلم - وقد سمى بعد ذلك أبا مسلم الخراساني - فامتقع لونها لدعشتها من رؤيته على غير انتظار مع ما في نفسها من حبه

أما الدهقان فلما فرغ من الترحيب به دعاه الى الجلوس ، فجلس .. ثم دعا أبو مسلم رفيقه للجلوس بجانبه قائلا : « اجلس يا خالد » . ثم التفت

الى الدهقان وقال : « هذا صديقنا خالد بن برمك » . فبغت الدهقان وقال :
« ابن صاحب النوبهار ؟ ! »

فأجاب خالد قائلا : « لقد انقضت أيام النوبهار ، وتخلصنا من عبادة
النار لما هدانا الله بالإسلام »

قال الدهقان : « صدقت ، أهلا بكما ومرحبا » . ثم صفق فجاه بعض
الغلمان ، فأمرهم بأعداد الطعام للضياف وتقديم ما تحتاج اليه القافلة من
الزاد والعلف

فاعترضه أبو مسلم بهدوء وسكينة قائلا : « لا تتعجب نفسك ولا تشغل
رجالك ، فأننا لا نحتاج الى شيء من ذلك ونحن نشكر لك حسن رعايتك »
فقال : « ومن أين أنتم قادمون ؟ »

قال : « من الحج » . ولكن ملامح وجهه دلت على أنه يعنى غير ما يقول ،
ففهم الدهقان أنه يريد الكتمان كمأدته من قبل حين كان يقد على الدهاقين
ويطلب المعونة من المال ونحوه سرا انتصارا للشيعة . ولكن عبد الرحمن
ما لبث أن قال : « لا تظننا نريد التكم ، فقد انقضى زمن الأسرار ، وأن
لنا أن نظهر دعوتنا - فهل أنتم على عهدكم معنا ؟ »

فتذكر الدهقان أنه صاهر الكرمانى ، واذن فقد خالف العهد - وقد كان
في جملة من عاهد على نصرة بنى العباس ، ولكنه لم يتوقع ثباتهم لتكرار فشل
الشيعة في نصرة أهل البيت ، وظن في كلام أبى مسلم مبالغة فأراد أن يتبين
الحقيقة ، على أن يكتم أمر الكرمانى ثم ينضم الى الفئة الغالبة فقال : « وماذا
تعنى بذهاب زمن الأسرار ؟ »

قال : « اعنى أننا كنا نأتىكم سرا باسم ابراهيم الامام ، ونستنصركم
على بنى أمية زيثما يحين الوقت للظهور واخراج دعوتنا من القول الى العمل »
أما الآن فنبشركم بأن الامام قد أمرنا باظهار الدعوة »

فقال : « هل جئتم الرجال ؟ »

قال : « لم نجند أحدا - لأننا لم نبدأ باظهار الدعوة بعد .. وأنت أول
من عرف اعتزامنا اظهارها » ونرجو اذا أظهرناها أن يجيبنا كثيرون لأن
شيعتنا قوية في خراسان ، ومعظم الدهاقين معنا »

قال : « هذا صحيح ، ومن هم الذين معك في القافلة ؟ »

قال : « هم النقباء ، وعددهم سبعون نقيباً اختارهم الامام من شيعته ،
ووجههم لدعوة الناس الى بيعته ، وحمل السلاح في نصرته ، وسنفروهم في
خراسان قريبا »

قال : « وكيف استطعتم المرور بهذا العدد الكبير في البلاد . دون أن
يرتاب العرب في أمركم . مع أنهم يسيئون الظن بكل فارسي ؟ »

فلما سمع أبو مسلم سؤاله أحب أن يفيض في وصف حالهم تثبيتاً للدهقان في نصرة الدعوة فيقتدى به دهاقنة كثيرون ، فقال : « أنت تعلم يا أعظم الدهاقين أن العرب يفاخروننا بأن النبي منهم ، وقد احتقرونا وأذلونا وعاملونا معاملة الرقيق ، ولو استطاعوا ألا يبقوا منا أحداً لفعلوا . مع أن الفئة السائدة منهم الآن وهم بنو أمية ليسوا من آل بيت النبي بل هم أعداء أهله ، وقد اضطهدوهم ، وقتلوا آل علي بن أبي طالب ابن عم النبي ، وساموهم العذاب الشديد ، ولا يخفى عليك أن آل بيت النبي لا يرون فرقاً في الإسلام بين العربي والعجمي . بل هم يفضلون العجم على العرب ، ولذلك كانت شيعتهم من الفرس . ثم سلم آل علي حقوق الخلافة إلى آل العباس عم النبي ، وكبيرهم الآن إبراهيم الامام . فتحول شيعة آل علي في هذه البلاد إلى نصرة بني العباس . فالامام الآن مقيم في الحجابة بالبلقاء قرب الشام بيت الدعاة ويوجه الانصار . وقد عهد إلى منذ عام في أن أتولى رئاسة هذا الأمر ، وكتب إلى أصحابه أن يطيعوني وجعلني أميراً على خراسان وما أفتحه من البلاد . فاستصغر بعض النقباء شأني لأنني دون العشرين من العمر وهم شيوخ كبار ، لكنهم أذعنوا أخيراً . وقد أوصاني الامام يوم ودعته في العام الماضي وصية ذات بال هي أساس كل عمل عملته أو أعمله في سبيل هذه الدعوة »

وكان الدهقان يسمع كلام أبي مسلم مأخوذاً من رزائته على صغر سنه ، وشعر كأنه في حضرة شيخ كبير أو أمير جليل لما كان في وجهه من الهيبة والوقار . فلما سمعه يشير إلى وصية الامام أصاح بسمعه ليفهم تلك الوصية . وكانت جلنار منزوية وكلها عيون وأذان لتري وتسمع . ولا تسئل عن حالها في تلك الجلسة وهي المرة الثانية التي تنظر فيها أبا مسلم ، ولم تبق جارحة من جوارحها لم يستول عليها الإعجاب به .

أما هو فقد كان في غفلة عما يتقد في قلب الفتاة ، وكان كل همه القيام بالدعوة حق القيام . فلما ذكر الوصية مد يده إلى جيبه وقال : « هاأنذا أتلوها عليك كما تلقنتها بالعربية حرفياً » . وأخرج ورقاً ملفوفاً نشره ، وأخذ يقرأ والحاضرون يسمعون :

ويا عبد الرحمن ، انك رجل من أهل البيت ، فاحفظ بوصيتي وانظر إلى هذا الحى من اليمن فأكرمهم ، وحل بين أظهرهم ، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم . وانظر هذا الحى من ربيعة فاتهمهم في أمرهم . وانظر هذا الحى من مضر فأنهم العدو القريب الدار . فاقتل من شككت في أمره ، ومن كان في أمره شبهة ، ومن وقع في نفسك منه شيء . وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل . فأى غلام بلغ خمسة أشبار تهمه ، اقتله »

فلما انتهى من تلاوة الرق ، لفه وأرجه إلى جيبه وهو ينظر إلى الدهقان ، الذى اغتبط لنقمة الامام على العرب ، لما في نفسه منهم . وما كان رضا

باين الكرمانى صهرا له الا خوفا وطمعا ، ولكنه كان لا يزال ضعيف الثقة بشيعة بنى العباس . على أنه كتم ذلك وتظاهر بالاعجاب وقال : « انها وصية حكيم . ويكفى باعثا على تأييد الفرس لها أنها تأمر بأذلال العرب وقتلهم ، فما أظن ذهفانا أو فارسيا يطلع عليها الا كان من المتشيعين لبني العباس » . ثم التفت الى خالد بن برمك وسأله : « اليس كذلك ؟ »

وكان خالد فى نحو الأربعين من عمره ، وأبوه برمك (جد البرامكة) صاحب « النوبهار » أى بيت النار فى مدينة بلخ . وقد مات مجوسيا فى الغالب فخلفه ابنه خالد هذا وهو من أكثر الرجال عقلا ودهاء وبطشا . ثم كان ممن أسلموا من عظماء الفرس وتشيع لآل العباس انتقاما من بنى أمية والتعاسيا للسلطان والتفوذ اذا قامت الدولة بهم . وكان على كونه كهلا قد رضى برياسة أبى مسلم ، وهو شاب لا تزيد سنه على العشرين الا قليلا ، وكذلك صنع كهول وأشياخ كثيرون ممن قالوا بدعوة العباسيين ، فرضوا بأبى مسلم قائدا لهم فزولا على أمر ابراهيم الامام . وكان أبو مسلم يحترم خالدا ويقدره حق قدره ويستشيره فى مهام أموره ، ولذلك اختصه بصحبته لما أراد مقابلة الدهقان . فلما سمع خالد سؤال الدهقان ، أجابه على الفور قائلا : « لا ريب عندى فى أن الفرس سيقومون بنصرة العباسيين ، وعندى انه يجب على كل فارسى أن يقدم نفسه وماله لنصرتهم لأن فى ذلك رفع شأن الفرس ! »

فأراد الدهقان أن يطرى أبا مسلم تقربا منه وإيهاما له بأنه شديد التمسك بدعوته اخفاء لما سبق من قبوله مضاهرة الكرمانى فقال : « لا غرو اذا انتصر الشيعة وفيهم مثلكما من ذوى الحزم والبسالة والتعقل »

فقال خالد : « ان البسالة والقوة لا يكفيان للقيام بهذا العمل »

فأدرك الدهقان أنه يلجأ الى المال ، فقال : « على كل منا أن يقدم مما عنده ، واذا كنا لم نقصر فى الماضى حين كانت الدعوة سرية ، فلن نبخل الآن »

فعاد أبو مسلم لاتمام حديثه فقال : « لقد جئنا الى خراسان وقمنا بالدعوة سرا ، وكنت أختلف الى الامام أهل اليه ما يجتمع عندنا من المال وأتلقى أوامره . فلما كان هذا العام ، دعانى اليه فسرت ومعى النقباءالذين ذكرتهم ، متظاهرين بالحج

« ولا بلغنا (قومس) أتانى كتاب الامام باسمى واسم سليمان بن كثير وهو من كبار النقباء ومع الكتاب راية النصر » . قال هذا ، وأشار الى الحزمة المطروحة أمام القصر ثم أخرج الكتاب من جيبه وقرا : « قد بعثت اليك براية النصر ، فارجع من حيث لقيك كتابى ، وأظهر الدعوة فان الله ناصركم » . ولأحظ أبو مسلم أن الدهقان يطيل النظر الى الحزمة المطروحة أمام القصر ،

فأدرك أنه يريد رؤيتها ، فأمر الرجلين اللذين كانا يحملانها باحضارها ، ولم تسمعها القاعة لطولها فادخلها من أحد طرفيها وظل الطرف الآخر خارجا . وكانت ملفوفة بقماش أسود ففكاه ، وأخرج منها لواء أسود وراية سوداء . واللواء معقود على رمح طوله ١٤ ذراعا ، والراية على رمح طوله ١٣ ذراعا . فوقف أبو مسلم اجلالا للواء ، وقال : « ان هذا اللواء يسمى الظل ، والراية تسمى السحاب ، ولونهما الأسود هو الشعار الذي اختاره الامام ابراهيم لشييعته » فهم من اليوم يلبسون العمام السوداء والاقبية السوداء وراياتهم أيضا سود كما ترى .

ووقف خالده والدهقان اجلالا للواء وهمت جلتار بالوقوف بحارة لهم . فلم تساعدها ركبتاها لما غلب عليها من التأثير بحديث أبي مسلم ، وما سمعته من أنه قائد الجند ، فأصبح همها منصرفا الى الاطلاع على مكتونات قلبه لعله ينتبه اليها فيرمقها بنظرة تفهم منها ما يطمئن به قلبها ، فوقفت مستندة الى أحد الأعمدة ، وتصدرت قليلا حتى انتبه لها خالد فنظر الى وجهها نظرة الإعجاب والاستغراب . أما أبو مسلم فأغضى وكأنه لا يرى شيئا ثم سأله الدهقان : « وما المراد باختيار السواد شعارا لبني العباس ، هل أرادوا الإشارة الى حدادهم على قتل أهل البيت العلويين ومنهم على والحسين ، أم ماذا ؟ »

فقال أبو مسلم وهو يشير الى الرجلين أن يعيدا الحزمة ، وقعد خالد والدهقان وظلت جلتار واقفة ، ثم قال أبو مسلم : « ان السواد شعار أهل بيت النبي ، لأن راية النبي كانت سوداء واسمها العقاب كما قد تعلم »

وكان الدهقان يفكر فيما علمه من أمر الشيعة ، وخاف على نفسه من أبي مسلم اذا علم ما في ضميره ، ولا سيما ان الامام أوصاه بأن يقتل كل من يشك فيه ، فتظاهر بالتحمس وقال : « لقد أيقنت الآن بفوزكم وظهور الفرس ، ولابد من استنجد سائر الدهاقين وترغيبهم في الاسلام ، لأن أكثرهم لا يزالون مجوسا »

فقال خالد : « اذا أسلم الدهاقين وأنجدونا بأموالهم ورجالهم ، فأنما ينجدون أنفسهم لأنهم ينشئون دولة فارسية ترفع شأن الفرس »

قال الدهقان : « اني ضامن لكم اسلام معظم دهاقين خراسان ، والأموال كثيرة » ثم صفق فأتاه غلام ، فأمره أن يدعو خازنه

فلما سمعه أبو مسلم يدعو خازنه ، أدرك أنه يريد أن يؤدي اليه عونا ماليا على عادته في مثل هذه الحال ، فأشار بيده الى أحد الرجلين صاحبي الحزمة إشارة فهم غرضه منها ، فخرج مهرولا ثم عاد ومعه رجلان . تأبط أحدهما كيسا كبيرا فارغا ، والاخر قصير القامة مع سمن قليل وعليه قباء واسع وعمامة كبيرة يكاد يجبر قباؤه جرا لقصره ، ووراءه غلام يحمل دواة

وقلما ، فلما دخلوا القاعة وقفوا في بعض جوانبها ، فنادى أبو مسلم صاحب القباء قائلاً : « تقدم يا ابراهيم وخذ من الدهقان ما جادت به نفسه في سبيل فصرة أهل البيت »

وجاء خازن الدهقان فأسر اليه هذا كلاما ، فذهب وعاد ومعه غلام يحمل أكياسا من جلد قد أثقلت كاهله حتى وضعها بين يدي الدهقان . فلما أمر أبو مسلم خازنه ابراهيم بتسلم المال تقدم وأخذ في عد الأكياس وهي غنوية وقد كتب على كل منها « ألف دينار يوسفية » فبلغت ٢٠ كيسا ، فأشار إلى رفيقه والغلام الآخر فتقدما وتماونا على نقلها إلى الكيس الكبير ، وتناول هو القلم والدواة وأخرج من تحت قبائه درجا كتب فيه عددا لكياس وما تحويه من الدنانير

وكان أبو مسلم أثناء ذلك مطرقا كأنه يفكر في أمر يهمه ، وقد زاده التفكير هيبه وشغله عما حوله . وكانت جلتار قد تصبت من الوقوف فقعدت على وسادة بجانب أبيها وهي تختلس النظر إلى أبي مسلم ، وكان خالدا أدرك ذلك منها وبطن لما يجول في خاطرها ، ولكنه كان يعلم زهد أبي مسلم في النساء واشتغال باله بالمشروع الخطير الذي تدب له

فلما انتهى الخازن من تدوين المال نهض واستأذن ولحق الدهقان في أبي مسلم الرغبة في الانصراف أيضا فقال له : « اذا كنتم تريدون النوم ، فهذه دار قد أمرنا بأعدادها لنزولكم » وأشار إلى بعض جوانب الحديقة

فنهض أبو مسلم ونهض الحضور وقال : « ننصرف الآن إلى الرقاد ، فإن السفر قد أصبحنا هذين اليومين » قال ذلك ومشى فشيعة الدهقان إلى آخر القاعة ، وصنفق فجاء بعض الغلمان فأمرهم أن يمضوا بين يدي الأمير بالشنوع إلى المنزل المعد له ففعلوا . وعاد الدهقان إلى ابنته وكانت واقفة بجانب الصمود وحدهما فادرك مما لحظه من انقباضها أنها تفكر في أمر زوجها بابن الكرماني ، وأنها ترى فيما ظهر من أبي مسلم حجة تدفع بها طلب الكرماني ، فوضع يسراه على كتفها ومشى معها إلى غرفتها وقال : « لا أظن هؤلاء الدعاة سيفلحون ، وأرى أمرهم هذه المرة صائرا إلى الفشل كشأنهم فيما مضى »

فلم يفتها غرض أبيها من هذا الحديث بمد ما دار بينها وبينه في العشاء فقالت : « اذا كنت تعتقد فشلهما فما بالك تعاهدهم على القيام بنصرتهم وتبذل لهم الأموال ؟ »

فضحك ووقف وقبض على لحيته بيمينه ، ويسراه ما زالت على كتفها ، وقال بصوت خافت : « اني أفعل ذلك تحوطا . لأننا ان أظهرنا له الجفاء كنا في خطر على حياتنا وأموالنا ولأنسيما بعدما سمعنا من وصية ابراهيم الامام ، فإنه أمره بقتل كل من يشك فيه . ومع ذلك فنحن غير والثقتين الثقة

التامة بفشل هؤلاء وان كنت أرجح الفوز للكرمانى للأسباب التى ذكرتها لك قبلاً . فظاهرنّا بالمسألة أو المساعدة لا يضرنا بل قد ينفعنا . وليس ما نؤديه لهم بالشئ الذى يذكر اذا قيس بما نتوقمه من الكسب اذا كنا فى جانب الحزب الفائز .

فلما انتهى الدهقان من كلامه قالت : « لقد أصبت يا أبتاه ، أنك تحاسن أبا مسلم بالأموال والمواعيد ، وتحاسن الكرمانى بجلنار » . قالت ذلك وغصت بريقها ، فهرولت الى غرفتها واستلقت على الفراش ، فتبعها أبوها وقال : « يظهر أنك متعبة يا جلنار ، نامى واتكى على الله ، وأنا أعرف تعقلك وحسن تدبيرك ، واعتقد أنك اذا كنت عند الكرمانى ، وكنت أنا مع أبى مسلم بتنا فى مأمن وأصبح الفوز لمضمونا لنا على كل حال » . نامى يا حبيبتى واستريحى الآن » . قال ذلك وخرج وهو يتجاهل مغزى كلامها .



أما هى فلما خلت بنفسها عادت الى هواجسها ، وتصورت ما هى فيه من الارتباك حتى انها لا تدري أطيع أباها أم تطيع قلبها ؟ . على أنها لو تحققت ان عند أبى مسلم مثل ما عندها لكان عليها اغضاب أبيها وان كان ذلك مما لا يقدم عليه أمثالها . ولكنها لم تر فى شئ من حركاته أو أقواله ما يفتح لها نافذة الأمل . ولكن الحب كان يعترض عوامل اليأس ، ويهون عليها ما ظهر من عدم اكترائه ، فأخذت تنسب ذلك الى اشتغاله بشؤون الدولة ، ثم تعود الى رشدتها فلا ترى له عذرا ، وتقول لنفسها : « لو كان عنده بعض ما عندى لشعرت به ! »

قضت فى ذلك برهة وقد طار الرقاد من عينيها واستوحشت من الوحدة فتذكرت ماشطتها وودت لو تأتيتها تلك الليلة لتشكو لها حالها وتستشيرها فى أمرها . ثم ما عتمت أن سمعت وقع خطوات بطيئة فعلمت أنها خطوات الماشطة فنهضت وفتحت لها ، فدخلت هذه وأغلقت الباب ، فدعتها جلنار للجلوس وقالت : « ما الذى جاء بك يا ريحانة على غير انتظار ؟ »

قالت : « علمت أنك فى قلق فجئت لتسليتك »

قالت : « وكيف علمت ذلك ؟ ومن أتباك به ؟ »

أجابت وقد ضمتها الى صدرها وقبلتها : « أظننننى غافلة عن أحوالك وما يطرأ عليك من الهواجس ، ولا سيما بعد قدوم هؤلاء الأضياف » ١٩

قالت : « وهل شاهدتهم وسمعت أقوالهم ؟ »

قالت « شاهدت كل شئ » ، وسمعت كل كلمة خلسة من وراء الستار فما تماكنت جلنار أن قالت : « وهل رأيت أبا مسلم ؟ »

قالت : « خفضي صوتك يا مولاتي لأن لهذه الجدران آذاناً ، نعم شاهدته وشاهدتك أيضاً »

فخجلت جلنار من تسرعها في اظهار عواطفها ، ثم تذكرت ثقتها بريحانة فقالت : « وكيف رأيته يا ريحانة ؟ »

قالت : « رأيته لاتقاً • ولكن تمهل ولا تمجل ، ان في المجلة ندامة ! »

قالت : « أراك قد أدركت مكنونات قلبي ولم يخف عليك شيء ؟ »

قالت : « لم يخف على شيء ، ولكنني أرى الأمر يحتاج الى الحكمة والتؤدة ، فلم تعد جلنار تقدر على اخفاء عواطفها فقالت : « وما العمل يا ريحانة دبريتي برايك • لقد نفذ صبري فاني لا ألبث أن أزف الى ابن الكرمانى وأنا لا أريده ولا أحبه »

قالت : « أتعنين أبا مسلم ؟ » • وضحكت

فأطرقت جلنار ولسان حالها يقول : « نعم أحبه ؟ »

فقالت ريحانة : « وهل يحبك ؟ »

فرفعت جلنار نظرها الى ريحانة وفي عينيها دمعتان تترددان بين الأماقي ، وهمت بالكلام فشرقت بريقها وسكنت

فقالت ريحانة : « انك لا تعلمين وأنا لا أعلم ، فما علينا الا التحري والاستفهام »

قالت : « من يكشف لنا الحقيقة ؟ »

قالت : « ألا تعرفين الضحاك ؟ »

قالت : « وهل تظنينه يستطيع خدمتنا في هذا الأمر ؟ »

قالت : « أظنه أقدر الناس على ذلك اذا أراد • ولا يفرنك ما يسدو من مجونه فانه داهية حازم يعتمد عليه في الأمور العظام »

قالت : « ومن يخاطبه في ذلك ؟ واخاف أن يفشى سرنا ، أو يطلع أبى على أمرنا »

قالت : « كوني في راحة وطمانينة وأنا أتدبر الأمر ، وليس ينقصنى شيء سوى المال »

قالت : « وهل للمال قيمة عندي • اطلبى من خازنى ما تريدن وافعل ما تشائين ، ثم انبئنى بما يكون »

قالت : « ينبغي أن ننسى في الأمر من الآن اذ لا نضمن بقاء هؤلاء الأضياف عندنا الى القد أو بعده »

فنهضت جلنار من فراشها الى صندوق صغير في بعض جوانب الخشرفة وأخرجت منه صرة من الحرير دفعتها الى ريحانة وهي تقول : « هذه خسمائة

دينار أنفقيها كما تشائين ولا تبطلني ، وإذا وفقت الى ما أريد فلك المزيد ،
فتناولت ريحانة الصرة ونهضت تقول : « كوني في راحة » ، وخزجت
تسترق الخطي وتركت جلفار على مثل جبر الغضا



لم تكذ ريحانة تخرج من الغرفة حتى رأت الضحك قادمة وكأنها كانا
على ميعاد ، فلما رآته بفتت ولكنها تجللت وأشارت اليه أن يتبعها الى غرفتها
في طرف القصر مما يل الحديقة ، فلما أراد أن يدخل الحجرة خلفها اصطدم
رأسه بالباب لطوله ، فصرخ صرخة أفزعته وأضحكتها ولا سيما حينما
سقطت عمامته على الأرض فوجدته حليق الرأس ، فبادرت الى اغلاق الباب .
ثم أرادت الاستفهام عن سبب حلقه رأسه ، فأسرع هو وأعاد العمامة الى
رأسه ، واقترب منها وقال : « يظهر انك تحيينني ياريحانة بارك الله فيك » .
وضحك وعرض على شفته السفلى وتشاغل بإصلاح عمامته ، ثم ضحك ضحكة
البله وجعل يطرق بأطراف أنامله على أسنانه . فضحكت ريحانة من قوله
وحركته ثم عبست في وجهه عبوسا يخالطه الابتسام وقالت : « اني أحبك
لخفة روحك وعلو همتك » ولا سيما اذا أطمعني فيما سأقوله . لكني أسألك
أولا هل عندك للسر مكان ؟

فقال وهو يضحك : « عندي لكل سر مكان ، وللأسرار عندي منازل
وطبقات ، وإذا كنت في ريب من ذلك قولي فأصرف »

فضحكت وقالت : « ألا تكف عن مجونك يا رجل ؟ أعرنى أذنك وأصغ
لما أعرضه عليك بحياة الدهقانة وحرمتها عندك »

فسكت وأظهر الجد وتادب في موقفه وقال : « اني طوع أمرك »
قالت : « أتعرف ضيوفنا الليلة ؟ »

قال : « أيها تعنين ؟ أبا مسلم الحراساني الذي لا يعرف أباه ، أم خالدا
ابن برمك المجوسي صاحب النوبهار ، أم خازن أبي مسلم إبراهيم اليهودي ؟ »

فضحكت ريحانة واستغربت قوله أن أبا مسلم لا يعرف أباه فقالت :
« وماذا تعني بقولك أن أبا مسلم لا يعرف أباه ؟ »

قال : « اذا كنت لا تصديقيني فأسأليه »

قالت : « صدقتك ، وأسألك كيف كان ذلك ؟ »

قال : « لو سألته عن نسبه ما عرفه » أما أنا فاقول لك أن أباه فارسي
يسميه بعضهم بمسلم ، وبعضهم يسميه عثمان ، وهو يزعم أن نسبه يتصل
ببزررهم الحكيم الفارسي المشهور . وهذه عادة كبار القوم عندنا فمن كان

منهم دنيء الأصل رفعه جاهه الى طبقات الاشراف . فاذا كان عربيا أوصل
نسبه الى أبي بكر أو عمر أو الحسين . واذا كان فارسيا جعل نفسه من نسل
(نزرجهر) أو (ازدشير) أو (كسرى انوشروان) . وأما الذي تعلمه من
أمر أبي مسلم فهو أن أباه كان من أهل قرية (ماخوان) وتعد عن (مرو)
ثلاثة فراسخ . وكانت هذه القرية ملكا له مع عدة قرى أخرى . وكان في
بعض تجارته يجلب المواشي الى الكوفة ، ثم انه ضمن خراج (رستاق فريدين)
على عادة الدهاقين في أيام هذه الدولة (بني أمية) فانهم يقاسمون الحكومة
أموالها بنفوذهم . فلما حان الوفاء عجز عن تأدية ما عليه . فقبض عليه
العامل وأرسل معه من يشخصه الى الديوان في الكوفة ، وكان عنده جاريه
يحبها فأخذها معه وهي حامل واحتال على حارسه في الطريق وفر الى
(أذربيجان) وهي معه فلما بلغا « رستاق فايق » تركها فيه عند رجل اسمه
عيسى بن معقل وذهب الى أذربيجان ، فمات بها . وولدت الجارية صاحبنا
أبا مسلم هذا ، فربي في بيت عيسى بن معقل وهو يعد نفسه من أولاده .
وكان عيسى هذا وأخوه أديس في ضمان الخراج أيضا فأصابهما ما أصاب
ذاك من تأخير الخراج فقبض عليهما عامل أصبهان وشكاهما الى أمير العراقين
يومئذ خالد القسري ، فبعث من حملهما الى الكوفة وسجنهما فيها ، وكانا قد
أنفذا أبا مسلم قبل القبض عليهما في مهمة فلما رجع وعلم بسجنهما جاء الى
الكوفة وجعل يتردد عليهما في السجن . واتفق أن جماعة من النقباء دعاة
بنو العباس جاءوا الى الكوفة سرا يدعون الناس الى أهل هذا البيت فلقوا
أبا مسلم هناك فأعجبهم عمله ومعرفته وكلامه ، وعرف هو أمرهم فانضم
اليهم وخرج معهم الى مكة ، تقدموه الى إبراهيم الامام هناك فأعجب به
وتوسم فيه الخمر ، فأبقاه عنده يخدمه . ثم ان الدعاء عادوا مرة ثانية وطلبوا
زجلا يقوم بأمر خراسان فدفع اليهم أبا مسلم هذا وهو صغير السن كما
ترين وأوصاه بما أوصاه . فهل يعرف أباه ؟

فاستغربت ربحانة الحكاية ، ثم عادت الى مهمتها الأصلية فقالت : « وأما
وصدقنا ، والآن لا تخرج عما أكلتك فيه . انظر (ومدت يدها وأخرجت
الصرة ودفعتها اليه) هذه هدية من مولاتك حننار وأنا أريد أن أنوط بك
مهمة سياسية »

فتناول الصرة ضاحكا ووضعها في جيبه وقال : « سمعا وطاعة »

قالت : « أنت تعلم أن مولاتنا الدهقانة مخطوبة لابن الكرمانى أمير الجند
الذى يحاصر مرو . وستزف اليه قريبا . ولكنني رأيت الليلة أن أجل
الكرمانى قصير وإن هذا الخراساني سيفلحه ، ولقد لحظت أنا أنه يميل الى
مولاننا ويرغب في أن يتزوجها ولكنه لم يصرح بذلك . فمهمتك الآن أن
تبحث عن هذا بدهاء وحسن أسلوب ، ولا تدع أحدا يشعر بك . . . ولا بد
من معرفة ذلك الليلة »

قال : « هذا على حين . واذا فرضنا أنه لم يحبها بعد فاني أحعله يحبها .
ما رأيك ؟ »

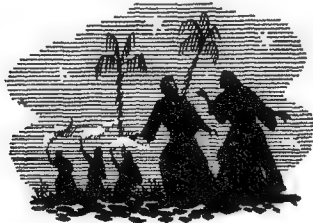
قالت : « اذا كان ذلك في استطاعتك فان مكافأتك عطيمة جدا . وهذا
سر عميق »

فأطرق الضحك برهة وقد بدا الجذ في وجهه ثم التفت الى ريحانة وقال :
« اني ذاهب الساعة فادعني لي بالتوفيق »
قالت : « امض وفقك الله »

فقال : « أمهليني ريثما أصلح من شأني أمام مرأتك » . ووقف أمام مرآة
من النحاس على الحائط وجعل عمامته وجعل يلقها بأسلوب مضحك وعبث
بشعر طيسته وشاربيه حتى تعريس وانتفش . وخلع جبته ولبسها مقلوبة
وخلع نعليه . ووضعها في منطقتة ومشى حافيا وهو يضحك !



أما أبو مسلم فقد سار مع خالد ، بين الأشجار والرياحين ، والخدم
يسرون أمامهما بالشموع ، حتى وصلوا الى بيت بجانب السور قد أضى
بالمصابيح . فدلوهما على الأسرة المعدة لرقادهما ورجعوا . فلما دخلا أخذ
أبو مسلم يخلع ثيابه وسلاحه ويتأهب للرقاد وهو لا يتكلم . وكان خالد
في شغل من أمر جنار وما شاهده من جالها وما لحظه من نظرها الى أبي
مسلم . وما كان من جود هذا حتى انه لم يشر اليها بعد ذلك بكلمة . فظل
خالد ساكنا وأخذ في خلع ثيابه وسلاحه ، ولم يستغرب سكوت أبي مسلم
لعلمه أنه كثير السكوت لا يتكلم الا قليلا ويندر أن يضحك



الخازن ابراهيم والابله

رجع ابراهيم الخازن بالاكياس الى غرفة في ذلك المنزل بعيدة عن غرفة ابي مسلم وخالده . وامر القلمان أن يضموا الاكياس وينصرفوا . وكان ابراهيم يهودى الاصل ، وقد اسلم ابوه رغبة في الكسب لا رغبة في الاسلام ، وشب ابراهيم هذا وهو أشد من أبيه طمعا ، وظل يتزلف ويتملق حتى تقرب من النقباء رجال الدعوة . وكان حاسبا ماهرا فجعله ابو مسلم خازنا له ، وكان يقبض الاموال ويدونها رغبة في الكسب من ذلك . ولم يكن كسبه من التلاعب في مد النقود او سرقة شيء منها لانه لم يكن يستطيع ذلك الا نادرا ، ولكنه كان يكسب بتدليلها . لأن النقود كانت في ذلك الحين انواعا كثيرة هناك ، ومنها ناقص الوزن وكامله لاختلاف ضاربيها . فالنقود التي ضربها الحجاج سنة ٧٥ هـ كانت ناقصة ، فلما تولى ابن هبيرة ضرب أجود منها ، ولما تولى خالد القسرى زاد في تجويدها ، وضرب بعده يوسف بن عمر فأفرط في التشديد والتجويد . فكانت النقود الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بنى أمية ، وسميت نقود الحجاج المكروهة ، فكان ابراهيم اذا قبض مالا من الدهاقين او غيرهم من نصراء الشيعة دونها في دفاتره بمددها . . ولكنه لا يمين صنفها فاذا كان فيها نقود هبيرية او خالدية او يوسفية ابدل بها نقودا مكروهة فيربح من ذلك شيئا كثيرا . وكان لا يخلو صندوقه من اكياس من النقود المكروهة لأجل الاستبدال عند الحاجة . فلما خلا الى نفسه تلك الليلة ، أغلق باب غرفته وأطفأ المصباح ، واشتغل بابدال تلك النقود خلصة وهو يحاذر أن يسمع رنينها

وكان الضحاك يعرف ابراهيم هذا ويعرف اياه من قبله . فلما ذهب في المهمة المذكورة ، اعتزم الاستعانة بابراهيم لعلمه بتفانيه في سبيل المال . واما ابراهيم فلم يكن يعرف الضحاك ولا فهم من أمره الا انه رجل مهذار خليع او مجنون

فمشى الضحاك في الحديقة والتمر قد تكبد السماء ، وجعل يخطر الهوينى وهو ينظر الى السماء كأنه بعد نجومها او كأنه يقرأ صفحة مكتوبة فيها ، حتى دنا من غرفة ابراهيم فوقف ببابها وتبأله وأذناه مصغيتان ، فسمع حركة ثم سمع خشخشة . وكان ابو مسلم وخالده قد انصرف الخدم ، ولم يبق في الحديقة احد ، ولم يعد يسمع غير جمجمة الجمال خارج المحلة من بعد . وظل

الضحك واقفا بباب ابراهيم حتى ظنه فرغ مما هو فيه ، فطرح كيس النقود الذي معه على بلاطة هناك ، فكان لوقعة طنين وخشخشة ظهرا قويين لهدوء الليل

وكان ابراهيم يعمد في ابدال النقود ويحاذر ان تسمع حركة احتكاكها ، فاصبح لشدة محاذرتة يخاف ان يكون لتنفسه صوت . وكان يظن ان كل شيء ساكت هادئ ، فلما سمع وقع كيس الضحك على البلاط اجفل وبغت ، وظل هنيهة جامدا نصت لعله يسمع صوتا آخر فلم يسمع . فاقبل الى الباب ففتحه رويدا رويدا خوفا من صريره ، واخرج رأسه وتلفت فرأى الضحك على بضعة خطوات من غرفته واقفا هناك ويداه خلف ظهره ، وقد ولي وجهه نحو السماء ينظر الى غيوم تتسابق الى القمر . ففترس ابراهيم في المكان الذي سمع الخشخشة منه فرأى كيسا حريريا ملونا ، فحدثته نفسه ان يخرج لالتقاطه ولكنه خاف ان ينتبه له الضحك ، ثم تذكر انه ابله لا يفقه شيئا وأنه لو كان ممن ينتبهون لم يسقط منه الكيس على تلك الصورة . . فاختلس خطوات حتى تناول الكيس وهم بالرجوع ، واذا بذلك الاله يقهقه بصوت عال ، فارتعدت فرائص ابراهيم وانتفض انتفاض الطير حتى كاد الكيس يسقط من يده ، ولكنه تجلد وتظاهر بأنه خرج من الغرفة لئلا يشاهد له ونظر الى الضحك فرآه يمشي نحوه ، وهو يخطر ويطيل خطاه كأنه يتخطى اقنية . فابتدعه ابراهيم بالكلام ، وقال : « هل أتت تدرع الارض أم تعد نجوم السماء ؟ » قال وهو ينظر الى السماء : « بل أنا افتش عن تقودي ، فقد كان معي كيس واظنه وقع هنا » . وأشار الى القمر

فضحك ابراهيم وتأكد به الرجل وصمم على اخفاء الكيس ، وقال : « هذا جائز » . وتحول الى غرفته ، ولم يبلغ الباب حتى ادركه الضحك ، وقبض على رقبته قبضة شديدة ، ثم دفعه الى الغرفة دفعا . وكان ابراهيم لقصر قامته وجنبه لو اراد الضحك ان يقبض عليه ويرمى به من فوق السور لفعل . على انه لو كان شجاعا ما استطاع الكلام خوف القضيحة وايقاع النائم ، اذ ربما استيقظ أبو مسلم أو خالد أو غيرهما ممن يخاف القضيحة لديه اذا رأى ان يدخل غرفته فيكشف امره ، لأن الاكياس كانت لاتزال مفتحة والنقود مبعثرة . وزد على ذلك ان اللذنب يصفر النفس ويلها ويجعل السيد عبدا . ولكن ابراهيم لم يكن ليفتح باب غرفته في تلك الساعة لو لم يسمع طنين الدراهم ، فلما رأى الكيس على الارض ظن انه يلتقطه ويرجع لساعته . فلما رأى نفسه بين يدي الضحك وقد دخل معه الغرفة ارتبك في امره ثم اظهر انه مزح فقال : « هذا كيسك قد سقط على من السماء فخذ »

فوقف الضحك وتناول الكيس باطراف انامله ، ثم تركه فسقط على الارض فخشخش . . فاسرع ابراهيم فالتقطه وقال : « اليس هذا كيسك ؟ »

قال وهو يضحك : « لا أعرفه الا على النور فهلا أضأت شمعة ؟ »
فقال : « تعال ننظر اليه على ضوء القمر » . وأمسك بيده وأراد اخراجه ،
فاذا هو ثابت في مكانه كالشجرة المغروسة لا يتزحزح . فقال له : « اذا كنت
تظن تقودك قليلة فانا ازيد لك عليها »

فنظر اليه واحنى رأسه كالساجد وقال : « ولكننى لا آخذ الا نقودا
يوسفية »

فلما سمع ابراهيم ذلك خفق قلبه ، لان ضميره بكنه وظن ان ذلك الابله
مطلع على أسراره . والمجرم يخاف خياله ويحسب ان الطبيعة تراقب اعماله ،
ولكنه عاد الى عقله واستبعد اطلاق هذا الابله على سره وقال : « هى نقود
يوسفية . نعم »

قال : « ألم تبدلها بعد ؟ » . وضحك

فتحقق ابراهيم ان الضحاك مطلع على امره ، وربما كان قادما اليه بدسيسة .
ولكنه لجأ الى المخالطة وأراد اخراجه من الفرفة ليعده عن مكان الشبهة فلم
يستطع ، فقال له : « تفضل .. اجلس » . وظن انه سيخالفه فيخرج ، فاذا
به قد قعد على الارض وأمسك بيده وأجلسه ، فجلس وهو لا يدري
ماذا يعمل ، وقد ركبته الخوف فاطامه ليرى ما يبدو منه . ولم تكن الفرفة في
ظلمة حالكة لان ضوء القمر كان ينفذ اليها من الباب ، وكانت الاكياس والنقود
ظاهرة . فالتفت الضحاك اليها وقال : « هل أمينك على جمع هذه الاكياس
وهل أمحر منها لفظة (يوسفية) واكتب لك مكانها (حجاجية) ، فان ذلك
أولى من ظهور الخيانة »

فأقشعر بدن ابراهيم ، وقال له : « قل لى بالله من أنت وما غرضك ؟ .
فأنتك لست أبه كما تتظاهر . من أنت ؟ »

فقال له : « أنا الضحاك . ألا تعرفنى ؟ .. هذه عماتى وهذه جيتى وهذه
نعالي ثم ماذا ؟ »

فقال : « لا تخدعنى بالمزاح ، صرح ولك منى ما تشاء »

قال : « أنا الضاحك المبكى ، فعسى الا تكون باكيا وأنت خازن هذه الحملة ! »

قال : « قلت لك صرح وأخبرنى عن حقيقة امرك ، ولك ماشئت »

قال : « لا تهكم حقيقة امرى . وائى استرذنبك لقاء حاجة تقضيها لى ! »

فسر ابراهيم وأحس بانفراج كربه وقال : « اطلب ما شئت فأتى فاعل
ما تريد »

قال : « هل لك دالة على أين مسلم ؟ »

فاطرق ابراهيم وظهر عليه الارتباك وقال : « ليس ابو مسلم ممن تؤخذ
عليه الدالة لانه شديد غضوب ينذر أن يضحك ، ولا يتكلم الا قليلا ، وجلساؤه

يخافون غضبه لأنه يقتل لآقل شبهة . وأظنك سمعت وصية الإمام التي تلاها على مولاك الدهقان الليلة ، وهو يوصيه فيها بأن يقتل كل من يشك فيه . فمن كان هذا شأنه فلا سبيل إلى الدالة عليه . أما إذا كان لك غرض عنده ، فاني أبلد ما في وسعي للوصول إليه .

قال : « لقد نطق بالصدق ، ولوقلت لي غير ذلك لاتهمتك وشككت فيك ، وعند ذلك يحق لي أن أنفذ وصية الإمام فيك » . وضحك ثم قال :
« ومرادى أن أسالك سؤالاً آخر . هل عندك للسرم مكان ؟ »
قال : « بشر عميقة .. لا تخف »

قال : « لا أخاف منك لأن روحك في يدي ، وليس أسهل على من أن القى الشك في قلب أبي مسلم . ويكفي أن أذكر له مسألة النقود اليوسفية » . ثم نهض بفتة ويده في منطقتة ، فأخرج منها التعلين ولبسهما ووقف . فعجب إبراهيم لعمله وخاف أن يعود جنونه فتحدثه نفسه أن يشكوه إلى الأمير في تلك الساعة ، فنهض معه وأظهر الاهتمام به وقال : « ما بالك يا أخي ؟ قل ما هو السر ؟ »

قال : « نسيت في البيت فانا ذاهب لاستدعائه » . وضحك فضحك إبراهيم مجازاة له ، ولكنه ازداد خوفاً من ذلك التنبأ ، ولم يعلم كيف يسترضيه ، فقال له : « بالله كف عن المزاح وأخبرني ، وحياتي في يدك . فلا تخف وأنا أريد قضاء حاجة لك »

قمشي الضحاك فتبعه إبراهيم حتى خرجا من الغرفة ، فلما استقبلا ضوء القمر التفت الضحاك وقال : « هل يحمل أبو مسلم أهله معه إذا سافر ؟ »

قال : « تعني هل يصحب امرأته في سفره ؟ كلا أنه يتركها في منزلها وحولها الارصاد والعيون لأنه شديد الغيرة ولا يدع لها سبيلاً للخروج من البيت ، ولا يدع أحداً يدخل قصره غيره . وفي قصره كوى يطرح لنسائه منها ما يحتجن إليه . وبلغني أنه يوم زفت إليه امرأته أمر بالبرذون الذي ركبته فذبح وأحرق السرج لئلا يركبه أحد بعدها ! »

فقطع الضحاك كلامه قائلاً : « تقول (لنسائه) كأنه تزوج عدة نساء ؟ »

قال : « كلا أنه لم يتزوج اثنتين معاً قط ، وهو يكره الزواج ويعده جنونا . ومن أقواله المأثورة : (الزواج جنون) ، ويكفي الإنسان أن يجن في السنة مرة) . فمن كان هذا اعتقاده لا يهتم بالنساء ، ولكنني أردت بنسائه اللواتي في قصره من الجوارى والحواضن ونحوهن مما تقتضيه مظاهر الامارة »

فلما سمع الضحاك قوله أطرقت ، وكأنه تاب إليه رشده . وأدرك إبراهيم أن ذلك السؤال لم يكن عبثاً ، فاستأنس بهدوئه فقال له : « ان امر هذا الرجل غريب جداً لم أسمع بمثله ، ولعل هذه الخلل من أسباب نجاحه لأنه ينقطع عن

كل شيء في سبيل القيام بدعوته . فتراه لا يضحك ولا يمزح ولا يلهو بشيء قط .
قال الضحاك : « وصلنا الى السر . بلغنى انه لا شاهد مولاتى الدهقانة
الليلة شغف بها وكأنه أراد ان يتزوجها . وبما ان مولاتى مخطوبة لامير آخر ،
فلذا كان ابو مسلم يريد ان نفسه فأتى استطيع تحويل الخطبة اليه . هذا سر
بينى وبينك ، فهمت ؟ »

قال ابراهيم : « لا تخف يا اخى فقد اوسعتنى تحديرا . اما انه رأى
الدهقانة واحبها فهذا امر بعيد ، وهو لا يرفع بصره الى النساء لانه غيور
ويعرف قدر الفرة . اما اذا كان الامر على خلاف ذلك فارجو ان تصرح »
فالتى الضحاك يده على كتف ابراهيم ، وهو يخفض بصره ليراه لقصره
وقال : « اظنك تعنى ان الدهقانة احبته وكأنها احبت الاقتران به . فهب ان
هذا هو الواقع فما قولك ؟ »

قال وهو يرفع بصره نحوه : « ان ذلك يحتاج الى استرضاء ابى مسلم .
واسترضاءه ليس بالامر السهل لانه يكره الزواج كما قلت لك »
قال : « اذن انت لاترجو قبوله »

قال : « لا ارجوه ولا انا قاطع منه ، فالامر يحتاج الى روية وسعى » .
قال ذلك وامسك بمنطقة الضحاك وقال : « اسمع ، انك تجعل نفسك مهذارا
وانت اذهى منى . قد خطر لى خاطر ، اظنه يؤدى الى تحقيق غرضك .
لا يستطيع احد ان يفالح ابا مسلم فى امر الزواج الآن ، ولكننى ارى ان تسترعى
انتباهه الى الدهقانة بان تذكر له مثلا انها شديدة الفرة على اهل الشيعة
متفانية فى نصرتهم ، وانها تحب ان تخدمه فيما يؤيد دعوته وينصره على
اعدائه . فاذا اجتمع بالدهقانة بعدئذ لم رأى منها ما يدل على نصرته حقيقة
فلعله يحبها . هذا ما اراه وقد آكون مخطئا » . قال ذلك وهو منكبيه ، فقال
الضحاك : « هذا هو الصواب . . فهل تستطيع ان تتوسط فى امر اجتماعهما ؟
على انى اقول هذا من عندى ، واخاف الا تقبله مولاتى »
قال : « انى فى خدمتك بقدر ما أستطيع »

وكانت سحنة الضحاك قد اكتسبت اثناء الحديث طابع الجد ، وكاد المجون
ان يذهب منها . فلما سمع قول ابراهيم عاد الى مجونه ، فالتقط ذبل جيته
وادارها حول ابراهيم فاخفى فيها لقصره ، فاجفلس وانسحب من تحتها
فوقعت عمامته على الأرض فالتقطها وهو يضحك ، فقال له الضحاك : « والله
انك رجل لطيف ومتواضع ، فانك خازن الامير وتتحمل مجون خادم مهذار
مثلى »

قال : « لا اظنك مهذارا يا أخى ، ولابد لك من شأن . والآن الا تأخذ الكيس بما فيه ؟ »

قال : « ليس هو لى ، وإنما سقط من القمر وأنت التقطته . فاحتفظ به لنفسك ، وإذا وقيت بوعذك فلك عندنا من هذه الإكياس ما يفنيك من استبدال الدرهم بالدرهم سرا حتى تخاف خادما مهذارا . . هل فهمت ، السلام عليكم » . قال ذلك وتناول نعليه بيديه وهروا مسرعا الى ريحانة ، وقد تغير الطقس وتلبدت الفيوم وهبت الرياح وفيها رائحة الشتاء ، وكانوا فى أوائل الربيع حين يتقلب الطقس على غير انتظار



لبثت جنار فى غرفتها تنتظر بفارغ الصبر ، وقد تعاطف قلقها واضطرابها لما تتوقعه من فشل المهمة التى ذهبت فيها ريحانة . فكانت اذا سمعت أى حركة ، خفى قلبها ، وحدثتها نفسها أن تخرج من الغرفة لملها تلهو بشئ أو تسمع من ريحانة أو الضحاك ما يقوى عزمها أو يطمئن قلبها . وفجأة سمعت جعجعة جل فى الجهة الأخرى من القصر فاستأنست بصوته لأنه من معسكر حبيبها ، ثم ازدادت الجعجعة . . فهمت بالمخرج لترى ما هناك ، ثم وقفت وأصغت فلم تعد تسمع صوتا فعادت الى الفراش ، ولكنها سمعت وقع خطوات خفيفة فاستغربت ذلك ، ثم سمعت نقرا خفيفا على الباب فنهضت وفتحته وقلبها يدق دقا شديدا ، فإذا بريحانة هى القادمة فسرى عنها لرؤيتها ، ودخلت ريحانة مسرعة وهى تعثر بسر أويلها المتنفخة والفتة بادية فى وجهها . فابتدرتها جنار بالسؤال عما جرى ، فضمت أنامل يدها اليمنى تستمهلها ، وقالت بصوت منخفض وهى تلهث وتلفت يمينا وشمالا : « تمهل ياسيديتى » . ثم أصاحت بسمعها ، فسكتت جنار وأصغت فلم تسمع شيئا ، فنظرت الى ريحانة مستفهمة ، فأجابتها بصوت خافت : « لقيت الضحاك وأرسلته فى المهمة المعروفة ، ومكنت فى غرفتى قليلا ثم خرجت اليك وأنا أحاذر أن يرانى أحد . وقبل دخولى فى الرواق سمعت مولاى الدهقان يتنحج على مقربة منى فلمرت وخفت أن يكون قد رآنى ، فوفقت هنيهة والضوء ضعيف فلم أسمع شيئا . . فخلعت نعالى ومشيت حافية على اطراف أناملى حتى جئت اليك »

فقالت : « اظنك وأهمة لأن أبى لا يسهر الى هذا الوقت ، وهبى انه رآك فهذا لا يوجب قلقا . أخبرينى الآن عن الضحاك ومهمته »

فقصت عليها أهم ما دار بينها وبينه الى أن قالت : « وأنا فى انتظار رجوعه

لارى ما يكون ، ولا ريب عندى فى ان هذا العربى مع ما يظهر من مجونه وببله ذو أريحية وحاسة ، ولا أظن مجونه الا تصنعا »

قالت : « وما الذى يدعو الى التظاهر بالببله وهو عربى ، والعرب اصحاب هذه الدولة ، فلو لم يكن الببله سجية فيه لكان من اكبر رجال الدولة وكان فى غنى عن الخدمة »

فاشارت ريحانة برأسها وعينها ان « صدقت مولائى » . ثم قالت : « ومهما يكن من شأنه ، فانى واثقة بحميته وصدق خدمته ، وسترين . ولكن لابد من الذهاب الى غرفتى لانتظره فيها كما تواعدنا »

فقالت : « ارى ان اخرج معك لاجتماع به عندك »

ففهمت ريحانة قصدها وأومات أيماء الاستحسان والطاعة ، ولبثت تنتظر امرها . فاذا بها قد نهضت من الفراش ، وكان على اللحاف مطرف من خير أحر مبطن بالقرو فالتحفت به فغطاها كلها ، ولفت رأسها بشال من الكشمير موشى بالحرير ، فلم يبق ظاهرا منها الا مقدم وجهها . فمشيت الماشطة امامها وبسارتا نحو غرفتها . وما أن خرجتا من الرواق حتى سمعتا هبوب الزوايع ونسمتا رائحة الشتاء ، فسرى عن جلنار لسبب لا تعلمه ، وأرادت ان تكلم ريحانة ، ثم أمسكت حتى وصلت الى الغرفة فدخلتا وأغلقت ريحانة الباب وأسمرت لأعداد مقعد لسيدتها ، فقعدت جلنار ووجهها تجاه الممرجة . ولما قعدت نزع الشال عن رأسها فبان وجهها وقد زاده الدفء رونقا وجسالا ، فتاملتها ريحانة معجبة بجمالها ولم تتمالك عن تقبيل رأسها . ثم جثت بين يديها وأخذت فى اصلاح ما بعثره الحمار من شعرها وقالت : « سبحان الخالق . كيف لا يسحر اغراسانى بهذا الجمال الذى لا مثيل له ؟ »

فتنهدت جلنار وسكنت هنيهة ، ثم تذكرت شيئا مر بخاطرها لما سمعت هبوب الرياح وهبت بان تقوله لما شطتها فقالت : « شعرت يا ريحانة ونحن قادمتان الآن براحة وطمانينة لسبب لا افلمه »

فابتسمت الماشطة وقالت : « جعل الله كل أياك راحة وسعادة » . ثم نهضت وقالت : « وأنا ايضا شعرت بمثل ذلك وأظن السبب واحدا وهو هبوب الرياح وتوقع المطر ، فانى كثيرا ما أكون منقبضة النفس فاذا أمطرت السماء سررت وذهب عنى الانتباض » . ثم وقفت هنيهة تجاه المرأة لغير غرض مقصود ، وتحولت فجأة الى سيدتها وقالت : « أظن لسرورنا بهذه الرياح سببا آخر هل أذكره ؟ »

قالت : « قولى »

فضحكت وقالت : « لأن الزوايع يعقبها المطر الشديد ، واذا اشتدت الامطار

كثرت الاحوال وسدت الطرق فيتاخر اضيافنا عن السفر يوما او بضعة ايام»
فتبسمت جلنار ، وهمت بالكلام ولكنها سمعت ضحكة عالية ادركت انها
ضحكة الضحاك ، ولم تكن تتوقع أن يجعل لقدمه مثل هذه الضوضاء وهم
في حال تدمو الى التكم . فنظرت الى ريحانة فرأتها في مثل حيرتها ، وقالت
هذه : « صدقت يامولاي انه ابله حقيقة »

ولبثتا بعد تلك الضحكة تتوقعان وصوله ، فسمعتاه يقول بصوت عال :
« صدقت يامولاي الدهقان ، ان الطقس قد تغير ولا يلبث المطر أن يهطل لأن
مطر الربيع قد يكون جارفا . وانا لا أستطيع النوم في مثل هذه الليلة » .
وضحك . فلما سمعتا ذلك علمتا ان الدهقان لا يزال ساهرا ، فخافت ريحانة
أن يعلم بهما فتقدمت الى السراج وغطته بحيث لا يبدو نوره من شقوق الباب
فلما فعلت ذلك سمعتا الضحاك يقول : « ألم أقل لمولاي ان ماضنه نورا خارجا
من الغرف ، انما هو من فضلات البرق اذ ليس في هذا القصر ساهر سوى
مولاي وانا . واذا ظل مولاي الدهقان ساهرا فلا عجب اذا كان اهل القصر
سهارى . اما انا فاني ذاهب الى الفراش بعد أن اكون في خدمة مولاي حتى
يدخل فراشه لأن سائر الخدم نيام ، واذا احب أن اونسه بقية هذا الليل
فعلت »

فحقق قلب جلنار عند سماعها كلامه لانها ادركت ان اباه اساء الظن
بريحانة ، وسأل عن سبب النور الخارج من غرفتها ، وأعجبها الضحاك وحسن
تخلصه . على انها مكثتا صامتتين لا تتحركان ، فلما مضت مدة لم تسمعا
فيها صوتا ابقتا ان الدهقان ذهب الى فراشه ، ولا يلبث الضحاك أن يعود
اليهما . فاخذت جلنار تتاهب لسماع الحكم على عواطفها ، فاما الى التعميم
واما الى الجحيم . ولم تكن تتوقع الشعور بمجيء الضحاك أو سماع خطواته
قبل وصوله الى الباب ، لتعظم هبوب الرياح وحفيف الشجر وقصف الرعد



رسالة . . وهدية

وبعد قليل سمعنا قريبا خفيفا على الباب ، فاجفنا ، واسرعت ريحانة الى فتحه واذا بالضحاك يدخل مسرعا ، وهو في ذلك القباء المقلوب ، وعمامته مشوّهة ونعلاه في منطقته وشعر لحيته منتفش وهيئته غاية في الضراية . فلما وجد جنار هناك ، أجفل وقام باصلاح شعره وتسوية عمامته وهو يضحك بلا قهقهة ، وأخرج النملين من منطقته فوضعهما بالباب ، ووقف متادبا كأنه مارء لظوله . فابتنست جنار من منظره وحر كانه فقال لها : « اعذرني يا مولاي فاني لم اكن احسبك هنا ، والحق على هذه الملونة » . وأشار باحدى يديه الى ريحانة وباليء الاخرى الى عمامته ، فضحكت جنار لاسلوبه في التخلص من غضب ريحانة ، وأما ريحانة فغالطته وقالت : « ان الدهقانة مسرورة من همتك ونشاطك »

فقطع كلامها بصوت منخفض وقال : « وانت؟ الا تسرين الا اذا كان العريس لك ؟ »

فقلت : « دعنا من المجون ، ارو لنا ما فعلت ، والزم الجد بحياة مولانا الدهقانة »

فلما سمع قولها وقف بين يدي جنار متادبا ، فاشارت اليه ان يقعد ففعد ، واخذ في سرد ما حدث منذ ساعة خروجه من غرفتها الى ان لقي ابراهيم الخازن ، وكيف احتال عليه وأخرجه من حجرته وما دار بينهما ، حتى انتهى الى ماتم الاتفاق عليه بينهما ، ولكنه لم يذكر ما قاله الخازن عن كره ابي مسلم للنساء ، لعلمه ان هذا يسوء الى جنار وقد يوقعها في اليأس . على أنه أخبرها ان احدا من خاصة ابي مسلم لا يستطيع ان يكلمه في أمر الزواج تهابا ، فاذا لقيته هي فلا بأس بان تخاطبه في هذا الشأن لأنه يحبها ويتمنى قربها ، ولا سيما اذا أظهرت له غيرتها على الدومة التي هو قائم بتأييدها

وكانت جنار تتلهف لسماع الحديث ، فلما فرغ منه انقبضت نفسها لأنها كانت ترجو ان يعرف شيئا عن ميل ابي مسلم اليها ، فسكنت وظهر الانقباض في وجهها ، فادركت ريحانة سبب انقباضها وأرادت انعاش أمليها فقالت : « بورك فيك يا ضحاك ، ما اللطف أسلوبك فقد فعلت كل ما في الامكان »

فقال : « انى لم أعمل شيئا بعد ، ولكننى مهدت السبيل ، فاذا رأت مولاي

إن أبدى لها رأيي فيما ينبغي أن تعمله فعلت »
فقال جلتار : « قل يا ضحاك »

قال : « أرى أن تهيش وسيلة لتجتمعي بأبي مسلم ويدور بينكما الحديث »
فأمر وجه جلتار خجلا إذ تصورت نفسها في خلوة مع أبي مسلم ، وهي
قد شبت على ألا تخاطب من الرجال غير أبيها وخدم قصرها . ثم تذكرت
أنها لا تستطيع الوصول إلى تلك الجلسة إلا بالتزلف والتدلل والتزول عن افتئتها
وعزة نفسها . ثم هي فوق ذلك ستخالف مشيئة أبيها وتعرض لفضبه إذا
علم بذلك الاجتماع . فلما تصورت ذلك غلبت عليها عزة النفس ، فترأجت
في مجلسها وهزت رأسها ولسان حالها يقول : « لا أفعل ذلك »

ففهم الضحاك ما يجوز في نفسها ، فرفع حاجبيه وقلب شفته السفلى
كأنه يقول لها : « الأمرارك » . ثم قال : « لا أنكر بأمولائي أن ذهابك للاجتماع
به لا يخلو من التنازل و . . »

فخافت ربحانة أن يذكر لها أصل أبي مسلم ومنشأه ، فاعتزضت حديثه
قائلة : « لا أرى في ذلك تنازلا ، لأنها إذا ذهبت إليه أو كلمته فأنها تخاطب
شابا هو أعظم رجل في خراسان وقائد رجال الشيعة . . تحت أمرته شيوخ
من قواد الخراسانيين وأمرائهم ، ويكفي أن الإمام اختاره لهذا المنصب العظيم .
وإذا نظرت إلى وجهه علمت أن المستقبل له لا محالة »

فلما سمعت جلتار هذا الاطباب تحركت فيها عوامل الحب ، ولكنها ظلت
ساکة . وفهم الضحاك أن ربحانة لا تريد أن يذكر شيئا عن أصل أبي مسلم
إمام جلتار فقال : « لا أنكر منزلة هذا البطل الشاب ، وإنما أردت بالتنازل
ذهاب مولائي الدهقانة إليه وهي فتاة ، إلا إذا كانت تحب . . . (وبلغ ريقه)
فتلك مسألة أخرى هي أعلم بها » . قال ذلك وضحك وهو مطرق برأسه
وميناه مرتفعتان نحوها

أما جلتار ، فإن الاهتمام ظهر في عينيهما وسكنت وتشاقلت بأوسال صفائير
من شعرها إلى ظهرها كانت قد استرسلت إلى الإمام عند انحنائها . ثم
اصلحت القروط في أذننها وهي مطرقة ، وأدركت ربحانة ولحظ الضحاك أنها
تردد في أمر الاجتماع ، وظلوا صامتين هنيهة . وأخيرا بدأت ربحانة الحديث
قائلة : « تبصرى بأمولائي في الأمر على مهل ، فإن القوم باقون هنا بضعة أيام
بسبب الأمطار »

فظلت جلتار صامطة مطرقة ، فأدرك الضحاك أنها لا تزال مترددة فقال
لها : « إذا أذنت مولائي لملوكتها أن يصرح بما في ضميره فعل »

قالت جلتار : « قل »

قال : « بلوح لي أنك تكبرين أمر ذلك الاجتماع ، ونحن نعلم أنفك وهزة
نفسك ، ولكن أبا مسلم قد حصر قواه وعواطفه في أمر الدعوة التي قام بها ،

وما من سبيل يوصلنا الى قلبه غير هذه الدعوة ، فارى ان يبدأ سيدي تبادل الراى بينها وبينه فى شىء يدل على عطفها على قضيته ، فيكون ذلك فاتحة العلاقة . ثم نرى ما يكون »

فسرت جلنار ، وظهر السرور على وجهها فكان جوابا كافيا للضحك ، ثم قالت له ربحانة : « أصبت يا ضحاك . . بورك فيك ، أوضح لنا ما تعنى »
قال : « ارى ان تبعث مولاتى الى ابنى مسلم بما يدل على تأييدها لدعوته ورغبتها فى رضاه . ونرى ما يكون منه »
قالت ربحانة : « أظنك تعنى ان ترسل اليه المال »
قال : « المال وغير المال كما تشاء »

فقطعت جلنار حديثهما قلیلة : « فهمت . . ولكن سمعنا . ونظرت فى وجه ربحانة كأنها تستطلع رأيا فى أمر لا تريد التصريح به امام الضحاك ، فادركت ربحانة ذلك فنهضت وهى تقول : « أظنك بامولائى قد تعبت من السهر »
ففهم الضحاك مرادها ، فنهض واحنى رأسه ويداه على صدره يستأذن فى الذهاب . وقال : « انى رهين ما تأمرينى به » . قال ذلك وخرج

نهضت جلنار ، ومشت الى غرفتها وهى تسترق الغطى مخافة ان يسمع وقع قدميها . اما ربحانة فانها سارعت الى السير فى اثرها حتى وصلت الى غرفة جلنار ، فدخلتها وتوسدت جلنار فراشها وتغطت بالحاف والتفت بالمطرف ، دفعا لما أحسبت به من البرد فى أثناء مرورها فى الرواق . وجلست ربحانة بين يديها وقد لغت رأسها وعنتقا بالशल . فلما استتب بهما المقام ، قالت ربحانة : « هونى عليك يامولائى فلن نعدم وسيلة الى حل مشكلتك »

فقطعت جلنار كلامها قائلة : « وكيف نستطيع حلها ، وانا كحجر بين مطرقتين او ثلاث . فأبى من جهة قدمقد خطبتنى على ابن الكرمانى وسيزفنى اليه قريبا ، وارى نفسى من جهة أخرى مقيدة القلب ولا ادرى اذا كانت المحبة متبادلة . فكيف اخلاص ؟ . وماذا اصنع اذا لم تكن المحبة متبادلة ؟ » .
قالت ذلك وشرقت بربقها واحمرت وجنتاها ، ولحظت ربحانة فى عينها دمعتين تترددان بين الاماقى فتأثرت لحالها وشعرت بحرج موقفها ، فبادرت الى التخفيف عنها فقالت : « اما ابن الكرمانى فليس امره بذى شأن ، لانك لو زفنت اليه لما استطاع الاحتفاظ بك الا اذا انتصر على ابى مسلم ، وفى هذه الحالة لا يكون ابو مسلم كفؤا لك ، واما اذا كانت الغلبة له فانه لا يلبث ان يستولى على كل ما هو للكرمانى . فتكونين له ولا تعدمين وسيلة تصونين بها نفسك عند الكرمانى حتى ذلك الحين » .

فادركت جلنار ما عرضت به ربحانة ، وتملكها الحجل ، فتكلفت الابتسام ، وعادت ربحانة الى حديثها فقالت : « بقى علينا النظر فى الوسيلة الى ابى مسلم ، والحق يقال ان رأى العربى المهلدار اهل للأخذ به . لان زيارتك لابی مسلم مفاجأة ، وهى بغير سابق تراسل لا تخلو من الابتذال ، وخير منها ان ترسلنى

اليه مع الضحاك بعض المال معاونة له على نجاح دعوته . ثم يتلطف الضحاك فيفهمه أن هديتك هذه دليل حبك إياه وأخلاصك لدعوته . ونرى ما يكون من جوابه . وإذا رايت أن ترسلى اليه هدية خاصة به تؤكد محبتك ، فعلت » فاشرق وجه جنار لهذا الراى ، وكانت متكئة فجلست وقالت : « لقد اصحبنى يارايحانة رأيتك هذا ، وأن ارسال الهدية الخاصة معين على معرفة رأى أبى مسلم فى . فما عسى أن تكون تلك الهدية ؟ »

قالت : « السيف اجل هدية تهدى للقواد ، فاذا بعثت اليه بسيف مرصع ، وابلغه الرسول انه هدية منك اليه ، ازداد اعتقاداً بسلامة نيتك فى نصرته ، وإذا كان فى نفسه شيء ظهر »

فقالت : « ومن أين أتى بهذا السيف ؟ »

قالت : « ذلك يسر على من يبدل المال ، فاعط الضحاك مالا ، ليذهب ويعود اليك بالسيف فى ساعة ! »

ففرحت جنار بهذا التدبير وقالت : « انى اكل تدبير الامر اليك ، وأما النقود فهى عند الخازنة ، خذى منها ما تشائين ، واحلى أن يعلم أبى فنقع فى مشكلة يصعب حلها »

قالت : « كونى مطمئنة يا مولاتى ، وخفى منك ونامى وسوف أقوم بتدبير كل شيء »

ثم قبلت رأسها ويدها وعادت الى غرفتها . أما جنار ، فلم تعرف طعم النوم الا قليلا لعظم اضطرابها وقلقها



فلندع هؤلاء فى تدبيرهم ولنرجع الى أبى مسلم ، فقد تركناه فى دارالضيافة ومعه خالد بن برمك ، وهو ساهر يفكر فى مشروعه وفيما عساه أن يحول دونه من العقبات ، فقد كان شديد الحذر متيقظا سىء الظن بالناس . وبعد أن نام هزبعا من الليل أفاق على هبوب الرياح وقصف الرعد وتساقط الأمطار ، فشق عليه ذلك مخافة أن تحول الأحوال دون سفره . فاطل من نافذة غرفته ونظر الى ما حوله وكان المطر قد انقطع والصبح قد تنفس ، فرأى المياه قد ملأت الطرق وسالت فى أخاديد الأرض ، فذهب الى غرفة خالد ولم يكذب بدنو منها حتى رآه خارجا منها وقد تزمّل بعباءته ، فصاح به قائلا : « خالد ! » فقال : « لبيك أيها الأمير »

قال : « ما رأيتك فى الرسول الذى بعثناه بالأمس . هل تظننه يمكن من التجسس ؟ »

قال : « اظنه فعل ، واذا أبطأ فما ذاك إلا بسبب الأمطار والإوحال »
قال : « انى فى انتظاره على مثل الجمر لنعلم حال أمدائنا فى مرو ، فنتدبر فى أمر حربهم »

فقال خالد : « ذلك ما شغل خاطرى الليلة وحرمنى النوم ، على انى واثق بالرجل واخلاصه ، وهو يخاف فضبك ويكره نصرا بن سيار كرها شديدا »
قال أبو مسلم : « ما فى معسكرنا من يحب نصرا ، ولكننى أخشى أن يخدمهم الكرماني لأنه من دهاة الرجال . وقد علمت انه أخرج نصرا من مرو وتلقبها »
وفيما هما فى ذلك سمعا حركة فى داخل الدار ، ثم اذا ببعض الظلمان قد أقبلوا يحملون كانوا فيه نار وضجوه فى أحد جوانب الفرفة للاستدفاء ، وذكروا فيه شيئا من البخور فانتشرت رائحته فى الدار كلها ، فاستأنس أبو مسلم بالدفء والبخور ، وجلس على وسادة فوق البساط والتف بمطرف خز اسود ولاك عمامته على رأسه وأشار الى خالد فقعد الى جانبه ، ثم تذكر انهما لم يؤدبا الصلاة بعد ، فنهض ونهض معه خالد وصليا ، ثم قعدا يفكران فى أمر الرجل الذى أرسلاه لتجسس أحوال مرو قبل وصولهما اليها ، وكانا قد أوعز اليه أن يوافيهما الى هناك

وبعد قليل جاء الخدم بالطعام ، فأكلا ولم يتكلما إلا قليلا لأن أبا مسلم كان قليل الكلام . وعند الضحى دخل أحد الظلمان أبى مسلم وقال : « ان بالبواب رجلا يطلب مقابلة الأمير »

قال : « لعله من رجالنا ؟ » . قال : « بل هو من رجال الدهقان » . فقال : « يدخل »

فدخل الضحاك يحمل خريطة أثقلت كاهله ، فوضعها بقرب السكانون وأغلق الباب ، ودخل متأدبا فى مشيته حتى وقف بين يدي أبى مسلم . فصاح به هذا قائلا : « من أنت وما غرضك ؟ »

قال : « انى من موالى الدهقان ، ولى مع الأمير شان أبديه اذا سمح لى بخولة »

وكان الضحاك يتكلم محاولا إخفاء أمارات المجون من وجهه ، ولم يتم كلامه حتى نهض خالد وخرج . فأشار أبو مسلم الى الضحاك أن يقعد فأكب على يد أبى مسلم يقبلها وقال : « قد آتيت مولاي الأمير فى مهمة سرية أرجو أن بكتنهما لوجه الله ، وأنا رسول وما على الرسول إلا البلاغ »
قال : « لا خوف عليك »

فمد الضحاك يده وأخرج من تحت عباءته سيفا مرصعا دفعه الى أبى مسلم . فاجفل هذا لأول وهلة مخافة أن يكون فى الأمر دسيسة أو اغتيال ، ونظر فى وجه الضحاك والغضب والحذر بادق عينيه . فضحك الضحاك متباليها ، وقال : « يخاف صاحب هذا الجند من مهذار مثلى جاء بهدية .

ومن يجرؤ أن يقدم على الأمير غير خاضع مطيع ؟ انى أرى الموت بين شفتيك والقضاء المبرم في عينيك ، فبالله الا تبسمت قبل أن أقع قتيلا » . قال ذلك وهو يتظاهر باللعن ، او هو ذعر فعلا ، لان أبا مسلم كان شديد الهيبة لا يستطيع أحد التفرس في وجهه

فتكلف أبو مسلم الابتسام وهو تناول السيف بيده ، وليس في ابتسامه ما يدعو الى الاستئناس او السكينة . ولما تناول السيف تأمله وقلبه بين يديه ثم نظر الى الضحاك وكان لا يزال واقفا وقال : « أقعد »

فقع متادبا وهو يتلفت يمينا وشمالا ، فقال له أبو مسلم : « ما شأنك يا رجل ؟ .. الست عربيا ؟ »

فتراجع الضحاك وأظهر الخوف ، وقال : « وهل على بأس من وصية الامام ؟ »

فلم يتمالك أبو مسلم عن الضحك من حركته وهيئته وقال : « ان وصيته لا تجرى على كل عربى ، بل الامام نفسه عربى .. فاطمن وقل ما خطبك »

فنظر الضحاك الى الباب نظرة الخائف المحاذر ، وقال : « اطلب الى مولاي أولا ان يكتم ما سيدور بينى وبينه فقد جئته بأمر أرجو أن ينفعه ، واذا شاع أضرني »

قال : « اننا نكتم امرك ، فقل ولا تخش شيئا »

قال : « انى رسول مولاتى الدهقانة جنار .. هل تعرفها ؟ »

فوجم أبو مسلم لحظة ثم قال : « أليست ابنة الدهقان صاحب هذه المحلة ؟ »

قال : « هى بعينها ، وقد شهدت مجلسك بالأمس وسحرت بما شاهدته من حيلتك . وأعجبها الأمر الذى أنت قائم به ، ثم علمت بما أداه أبوها من معاونه فأجبت أن تخص نفسها بمال تؤديه هى من جيبتها الخاص ، فبعثت بجانب منه فى هذه الخريطة (وأوما الى الخريطة) على شرط الا يعلم بذلك أحد ، وهى لا تلمس مقابل ذلك الا رضا الأمير أعزه الله . ثم انها بعثت اليك بهذا السيف المرصع هدية ، وهو قديم فيه سر عظيم ولم يحمله أحد الا انتصر على عدوه »

فاعاد أبو مسلم النظر الى السيف ، وتناولوه واستلته من قرابه وتأمل فرنده وهو يلعب كالزجاج وفيه تموج بديع ، ثم قال : « يظهر أنه مسموم » قال : « اظنه كذلك لأن مولاتى قالت انه لم يصب به أحد الا مات لساعته ولو كان جرحه خفيفا »

فقال : « انها هدية ثمينة ، ثم ماذا ؟ »

قال : « عندى كلمة أخرى أحب كتمانها حتى عن الدهقانة نفسها . فإذا عاهدنى الأمير على ذلك بحت له بها »
فاستغرب أبو مسلم كلامه واستأنس بخفة روحه ، فقال له : « قل ما تشاء ولا تخف »

قال : « ان مولاتى الدهقانة أجل اهل زمانها وما من أمير أو دهقان الا تمنى رضاها ، ولكنها تمنع نفسها عن كل طالب ، ولم يمل قلبها الى أحد منهم ، وقد خطبها الكرمانى - أمير العرب المحاصرين مرو - لابنه ، فقبل أبوها الخطبة ، ولكنها لم تقبلها ، وقد تذهب الى الكرمانى طوعا لأمر أبيها ، فإذا سارت اليه فقلبا لا يسير معها . . لانه عالى برجل أعظم منه وأعظم من كل رجل فى خراسان »

فادرك أبو مسلم أنه يلمح الى حبها اياه ولم يكن فاته ذلك من قبل ، على انه اراد ان يتحقق ذلك فقال : « ومن يكون هذا الرجل ؟ »

فقال : « هو فى هذه الغرفة ولكنه ليس أنا ! » . قال هذا وضحك ، فلم يتمالك أبو مسلم عن الضحك وقال : « لقد أعجبني أسلوبك يا رجل »

قال : « أنا أعلم من مولاي الأمير أكثر مما يظن ، ولذلك فاني لا أقصد برسائلى هذه أن اكلفه مالا يريد . ولكننى تعهدت لصاحبة الهدية برضا أبى مسلم عنها ، ويجوز أن يكون ذلك الرضا ظاهريا فقط . ثم لا أخفى على حامل علم الامام أن نظرة منه تشف عن رضى أو ارتياح تجعل هذه الفتاة المفتونة آلة بيده قد يستخدمها فيما ينفعه ولو كانت فى فسطاط الكرمانى نفسه أو فى قصر نصر بن سيار صاحب مرو »

فاطرق أبو مسلم هنيهة ، وهو يعمل فكرته ويتدبر ما سمعه من الضحاك فرأى قوله لا يخلو من صواب ، ولكنه أمسك عن الخوض معه فى ذلك ، ثم رفع السيف من بين يديه ووضعه وراء الوسادة ونظر الى الباب ، فادرك الضحاك أنه يريد أن يصرفه ، فوقف وقال : « يامر مولاي خازنه ان ياخذ هذه الأكياس » . ومشى نحو الخريطة بقرب الكائون

فصفق أبو مسلم فدخل حاجبه ، فقال : « الى بالخازن »

فخرج الحاجب وعاد ومعه ابراهيم الخازن ، فلما دخل ابراهيم ورأى الضحاك فى خلوة مع أبى مسلم أوجس خيفة . ولكنه ما عثم أن سمع هذا يقول له : « خذ هذا المال وأثبتته فى دفاترك » . ثم رأى الضحاك يفتح الخريطة ويخرج منها عشرة أكياس مختومة قائلا له : « هذه عشرة أكياس فى كل منها ألف دينار يوسفية » . وأطال لفظ يوسفية !

فحملها ابراهيم وخرج وهو لا يصدق أنه نجا من شر الضحاك . وبعد خروج ابراهيم أقبل الضحاك على أبى مسلم وانحنى يقبل يديه ثم خرج

صاحب الخبر

لبث أبو مسلم هنيهة بعد خروج الضحاك مطرقا يفكر فيما سمعه ، وقد لمح في الرجل غير ما يظهره من المحزون وقال في نفسه : « لا يخلو هذا العربي من دهاء مستور » . وفكر في أمر جنسار وتعلقها به وكان قد لحظ ميلها اليه من قبل ولم يمبأ به ، فرأى بعد ما سمعه من نصيحة الضحاك أن يستغل شغفها به في مقاصده وقضى ساعة في هذا التفكير ، وإذا بخادم دخل حاملا جزأبا فيه البخور والند ، وذر منهما شيئا في الكانون ، فلما رآه أبو مسلم تذكر خالدا فصاح فيه : « أين الأمير خالد ؟ »

فقال : « في الخديفة يكلم رجلا قادمًا من سفر »

فقال : « ادعهما الي » . وقد غلب على ظنه أن القادم صاحب الخبر الذي ينتظرانه . وما عثم أن دخل خالد مبتسما وقال : « لقد جاء صاحب الخبر هل يدخل ؟ »

قال : « يدخل » . ودعا خالدا للجلوس . وكان أبو مسلم يرى خالدا ذا عقل ودهاء ولا يخفى عليه شيئا . فجلس خالد على وسادة بالقرب منه ، ودخل الرسول وهو لا يزال بلباس السفر ، وعلى عباة آثار المطر في الليل الماضي . فلما دخل ألقى التحية ووقف ، فسأله أبو مسلم : « متى أتيت ؟ »

قال : « منذ ساعة أو ساعتين »

قال : « وما الذي منعك من الدخول علينا ؟ »

قال : « كنت في انتظار الأذن »

قال : « ليس على صاحب الخبر حرج ، ولا ينبغي أن يؤخر أذنه » . والتفت إلى خالد كأنه يستطلع رأيه في ذلك ، فأشار بالوافقة . ثم أمر حاجبه أن يفتح الباب ويخرج ، وأشار إلى الرسول أن يقعد ، فقعد متأدبا ، فقال له أبو مسلم : « ما خبرك وكيف فارقت مرو ؟ »

قال : « فارقتها والحصار شديد عليها والإعداد محدقون بها »

قال : « أظنك تعنى الكرمانى ؟ »

قال : « إياه أعنى ، فهو وشيخان الخارجى : يقاتلان ابن سيار صاحب مرو معا ، وكل منهما يضمم السوء لصاحبه »

فقال خالد : « وكيف ذلك ومهدى بالكرمانى انه دخل مرو وأخرج نصرا منها ؟ »

قال الجاسوس : « نعم يا مولاي قد كان ذلك ، ولكنه لم يدم .. ولكنى يتضح لكم الامر استاذن الامير فى سرد الوقائع »
قال أبو مسلم : « قل ولا توجز »

قال : « لا يخفى على مولاي ان امر بنى أمية أخذ يضعف منذ بضعة سنين ، وانما بقى الحكم فى أيديهم تهييا من اسم الخلافة واحتراما للدين . فلما افضت الخلافة الى مروان بن محمد اختلف اهله فى بيعته وانتفضوا عليه مرة واحدة ، فقام الخوارج وغيرهم ممن يطعون فى السلطة - ومنهم الكرمانى - والكرمانى أيها الامير حديث طويل مع نصر بن سيار امير مرو .. هل اقصه عليكم ؟ »

قال : « لابد من ذلك لان التفصيل يهدينا الى تخرج الامور ومدخلها »
قال : « لما مات أسد بن عبد الله عامل بنى أمية على خراسان منذ عشر سنين ، استشار هشام بن عبد الملك (الخليفة يومئذ) بعض خاصته فبعض يوليه مكانه . فآشار بعضهم بأن يولى الكرمانى وهو من رجال الدولة وأهل النجدة والحرم ، فأعرض عنه هشام وسأل : (ما اسمه ؟) فلما قيل له : (جديع بن علي) . قال : (لا حاجة لى به لقد تطيرت من اسمه) . فأعرض عليه غيره وغيره حتى استقر الامر لنصر بن سيار حاكم خراسان الآن . فأسرهما الكرمانى فى نفسه ، فلما مات الوليد بن يزيد بن عبد الملك خلا كرسي الخلافة واختلف عليها بنو مروان ، فقامت الفتنة وانتهر الكرمانى الفرصة وظهر العداة لنصر بن سيار . ولا يخفى على مولاي أن الرجل اذا قام يطلب أمرا جعل اتكاله على حزب من الأحزاب ، والكرمانى وان كان اسمه يدل على أنه فارسى من كرمان الا أنه لقب بذلك لانه ولد فى كرمان ، ولكنه عربى من بنى أزد ، وهم يمانيون ، فاستنصرهم فنصروه على ابن سيار لأن رجال هذا مضرىون من عرب الحجاز ، والخلاف بين اليمانيين والمضرىين قديم ولا يزال شديدا ، وسيكون من أكبر سقوط العرب . وكان أهل خراسان أنفسهم منقسمين فيما بينهم للسبب نفسه . فلما مات الخليفة نهض من هذين الحزبين من يطلب الخلافة لغير مروان بن محمد . وكان عرب خراسان من هؤلاء فاختلفوا فيما بينهم ، وحاول نصر بن سيار أن يوفق بينهم بالثى هى أحسن ، فأعباه ذلك ومنع عنهم العطاء . فلما كان فى بعض الأيام وقد وقف فى المسجد يخطب ، نهض الناس وطلبوا منه أعطياتهم فصاح فيهم : (اياكم والمعصية وعليكم بالطاعة والجماعة) ، فوثب أهل السوق الى أسواقهم وثاروا الأفكار ، فغضب نصر وخطب فيهم خطبا لا يزالون يتناقلونه الى اليوم ، قال فى جلته : (ما لكم حندى عطاء ، كأتى بكم وقد

نبيع من تحت أرجلكم شر لا يطلق ، وكانى بكم مطروحين فى الأسواق كالجرور المنحورة ، انه لم تطل ولاية رجل الا ملوها وانتم يا اهل خراسان مسلحة فى نحور العدو ، فاياكم ان يختلف فيكم سيفان ، انكم ترجون امرا تريدون به الفتنة ، ولا ابقى الله عليكم ، لقد نشرتكم وطويتكم فما عندى منكم الا عشرة ، واتى واياكم كما قيل :

(استمنسكوا اصحابنا بحذركم فقد عرفنا خيركم وشركم)

(فاتقوا الله ، فوالله لئن اختلف فيكم سيفان ليمتحنن احدكم ان ينخلع من ماله وولده . يا اهل خراسان انكم قد غمطتم الجماعة وركنتم الى الفرقة) . ثم تمثل بقول النابغة الذبياني :

فان يغلب شقاؤكمو عليكم فأتى فى صلاحكمو سميت

» فعمل الكرماني بذلك الخلاف ، وكان نصر قد مر له من منصب كان فيه من قبل ، فاتفق مع اصحابه على انتزاع الامور من يده ، وكاتبوا من فى مرو من اليمانيين مستنجدين بهم ، وقد اخبرنى رجل من خاصة ابن سيار ان المضريين اشاروا على نصر بان يقتل الكرماني ، وقالوا له : (ان هذا الرجل يفسد عليك امرك فارسى اليه فاقتله او احبسه) . فلم يصغ لرايهم وقال : (لا ، ولكن ازوج بنى من بناته وبنيه من بناتى) . فلما رفضوا اقتراحه قال : (فابعت اليه مائة الف درهم ، وهو بخيل لن يعطى اصحابه منها فينصرفون عنه) . قالوا : (لا . . هذه قوة له) . وطال الجدل بينهم حتى قالوا له اخيرا : (ان الكرماني لو لم يقدر على السلطان والملك الا بالنصرانية واليهودية كنصر وتهود) . فلما راي نصر الحاحهم عزم على حبسه ، فامرسل صاحب حرسه ليأتيه به ، وارادت الازد ان تخلصه من يده فممنهم الكرماني من ذلك ، وسار مع صاحب الحرس الى نصر وهو يضحك . فلما دخل عليه ، قال نصر : (يا كرماني ألم يأتنى كتاب يوسف بن عمر بقتلك فراجعت وقلت شيخ خراسان وفارسها فحققت دمك ؟) قال : (بلى) . قال : (ألم افرم عنك ما كان لزمك من القرم وقسمته فى اعطيات الناس ؟) . قال : (بلى) . قال : (ألم ارفع ابنك عليا على كره من قومك ؟) . قال : (بلى) . قال : (فهل جزاء ذلك اجماكم على الفتنة ؟) . فقال الكرماني : (لم يقل الامير شيئا الا وقد كان اكثر منه ، وانا لذلك شاكر ، وقد كان منى ايام اسد ماقد علمت ، فليتان الامير فلست احب الفتنة) . ثم امر نصر بضره وحبسه فى قلعة مرو ، سنة ١٢٦ هـ ، وسعى الازد لاطلاق سراحه ، فقال نصر : (انى خلعت ان احبسه ولا يناله سوء ، فان خشيتهم عليه فاخثاروا رجلا يكون معه) . فاخثاروا رجلا اسمه يزيد النحوى اقام معه . ولكن ذلك الحبس لم يطل ، فان رجلا من اهل (نسف) عاهد اهل الكرماني على اخراجه بحيلة لطيفة . ذلك انه اتى مجرى الماء فى القلعة فوسعه ، وادخل الكرماني فى السرب . فخرج بكل جهد

وركب فرسه والقيود في رجله ، ثم أصبح بعد ذلك من البد أعداء نصر ،
 وندم هذا على الإبقاء عليه حيا ، وتوسط الناس بينهما وطلبوا الى نصر أن
 يؤمنه ولا يجسبه ، فأمنه ولكن هذا لم يأمنه . فكان يدخل الجامع للصلاة
 معه ١٥٠٠ رجل وأكثر ، فيصلي خارج المقصورة ثم يدخل على نصر في
 المقصورة فيسلم عليه ولا يجلس . ثم تخلف عن نصر وأظهر الخلاف ، فبعث
 اليه نصر من يستقدمه معتذرا اليه عن جسبه ، فأبى »



وكان الرسول يتكلم ، وأبو مسلم صامت يحدق بعينه ويتفرس فيه . .
 وقد راعه ما سمع من مطاولة نصر للكرماني ، فصاح بالرجل قائلا : « لقد
 لقي نصر جزاء ضيعفه وتردده ، لماذا لم يقتله ويكفي نفسه مؤونة الخلد منه ؟
 أطال الله بقاء الامام وأبد دعوته ، ان في وصيته ما يغنيننا عن هذه المطاولة .
 قال ذلك وهو يبعث بشعرات من لحيته ، وخالد يتهيّب ما ظهر من حماسه
 ثم قال أبو مسلم للجاسوس : « ثم ماذا ؟ » . فقال : « وما لبث الكرماني
 أن حارب نصرا وأخرجه من مرو قهرا في العام الماضي أو الذي قبله ، ولكنه
 أنقذه من الحوث بن سريج »

فقاطعه خالد قائلا : « أنا أعرف الحوث هذا ، فقد كان في بلاد الترك وأبلى
 بلاء حسنا ، وكان بينه وبين نصر اختلاف واشتد الجدل بينهما ، فاقترح
 نصر أن يحكم بعض الوجهاء ولم يتم ذلك » . ثم التفت خالد الى أبي مسلم
 وقال : « والحوث هذا يزعم أنه صاحب الرايات السود ! »

فنظر أبو مسلم اليه متمجبا ، وواصل الجاسوس كلامه فقال : « ولكن نصرا
 لم يصدقه فارسيل اليه يقول : (ان كنت تزعم انكم تهدمون سسور دمشق
 وتزيلون ملك أمية ، فخذ مني خمسمائة رأس ومائتي بعير ، واحل من الاموال
 وآلة الحرب ماشئت ، وسر . . فلعمرى لئن كنت صاحب ما ذكرت اني لفي
 يدك ، وإن كنت لست ذلك فقد أهليكت عشرينك) . فاجابه الحوث : (قد
 علمت ان هذا حق ولكني لا يبايعني عليه من صحبني) . فقبال نصر : (لقد
 ظهر أنهم ليسوا على رأيك ، فاذكر الله في عشرين ألفا من ربيعة واليمن يهلكون
 فيما بينكم) . . »

فقطع أبو مسلم كلام الجاسوس ، وقال : « أنهم يخافون أصحاب الرايات
 السود ويدارونهم لما يرون من صديق بلانهم ومضاء عزيمتهم وأنهم يقتلون كل
 من يشكون فيه »

فعاد الجاسوس الى حديثه فقال : « ولم يكن ذلك ليثنى الحوث من مزمه ،
 فرائ نصر ان يضرب به الكرماني فقال له : (ان كان ما زعمت حقا ، فابدا

بالكرمانى فان قتلته فانا في طاعتك ! ، فلم يفعل . وتطاول الحرت على نصر حتى مساروا يقرأون سيرته في أسواق مرو وفي المساجد يدعون الناس الى بيعته ، حتى قرأوها مرة على باب نصر نفسه ، فهاج الناس والتجم الفريقان ، وكانت معركة هائلة . فلم ير نصر الا أن يستنجد الكرماني ، ولكن هذا لم ينجده . وبعد ذلك انتهت المعركة بفرار نصر من مرو ، واستيلاء الكرماني عليها . فلما رآه الحرت قد فاز ، بعث اليه يطلب أن يكون الامر شورى بينهما ، فلم يقبل ، ثم اقتتلا فقتل الحرت وتفرقت قواته ، وصارت قبائل اليمن كلها مع الكرماني ، وقد انتصروا على المضربة أصحاب نصر فاستبدوا فيهم وانتقموا منهم وهدموا منازلهم . وكان الحرت نفسه مضريا فلما قتل قال فيه نصر :

« يا مدخل الدل على قومه بعدا وسحقا لك من هالك »

فقال أبو مسلم : « فالكرماني الآن صاحب مرو . . وابن نصر ؟ »

قال : « لم تطل اقامة الكرماني في مرو ، لان المضربة اشتد ساعدهم بعدمقتل الحرت ، وانضم اليهم جماعة كبيرة من رجاله . فعاد نصر الى فتح مرو ، وخرج الكرماني منها وعسكر خارجها »

قال : « فالكرماني الآن يحاصر مرو »

قال : « وليس وحده »

قال : « ومن معه ؟ اظنك تعنى شيبان الحروري »

قال : « نعم يامولاي . وليس شيبان بالشئ القليل لانه يرى رأى الخوارج ، فهو مخالف لنصر لانه من عمال مروان ، والخوارج لا يعترفون بخلافة مروان . وقد اتفق مع الكرماني على قتال نصر لان الكرماني يئى ونصر مضرى »

فقطع خالد كلام الرجل ، وخاطب أبا مسلم بالفارسية بما معناه : « لا يخفى عليك ايها الأمير أن هذين لا يكرهان دعوتنا لاننا ندعو الى خلع مروان أيضا » فأجابه أبو مسلم : « سأذيقهم طعم الحزم والعزم ، وسأريهم كيف تؤكل الكتف »

ثم التفت الى الرسول وقال : « أذن مرو يحاصرها الآن جند الكرماني وشيبان ؟ »

قال : « نعم يامولاي وهما على وفاق »

قال : « وهل تعرف عدد رجالهما ؟ »

قال : « لا أعرفه بالضبط ، ولكنهم يزيدون على بضعة آلاف »

فتحرك أبو مسلم في مجلسه كأنه يتحضر للنهوض ، ففهم الرسول انه يريد خروجه فنهض وخرج ، والتفت أبو مسلم الى خالد وقال له : « علينا قتال هؤلاء جميعا : الكرماني ، وشيبان ، ونصر »

فسكت خالد ولم يجب ، فلحظ أبو مسلم ما يجول بخاطره فقال : « كاني بك مسال : كيف نحارب هؤلاء وليس معنا من الرجال أحد ؟ . ولكن سترى كيف يأتيك الناس مثبات والوفاء » . قال ذلك ونهض ليتفقد حالة الجو ، فمشى معه خالد الى الباب وأطلا على الحديقة فوجدا الشمس مشرقة ، وقد صفا الجو وشاع الدفء وأخذت المياه في الجفاف . فقال أبو مسلم : « نسافر الليلة ان شئنا »

فقال خالد : « اذا رأى الأمير ان نبيت الليلة هنا ونرحل في الصباح ، كان ذلك أقرب الى الصواب »

قال : « لا بأس من ذلك ، وأرى ان نبعث الى كبار النقباء نخبرهم بعزمنا وبشاورهم في أمرنا وفي الخطة التي يجب ان نعمل بها قبل السير الى مرو . لاننا في حاجة الى الرجال والاموال ، وأنا على يقين من نجدة كل دهاقين خراسان فهم متفقون على الانتقام من العرب كافة لما يسومونهم من الخسف والدل »

فقال خالد : « الا ترى ان تكاتب الدهاقين وتستنجدهم ونبت الدعاة قبل سيرنا من هنا ، حتى اذا نهضنا الى مرو لا يطول انتظارنا النجدة ، ثم تتوالى علينا بعد ذلك النجذات باذن الله »

قال أبو مسلم : « سنكاتب الدهاقين ونبت الدعاة متى خرجنا من هنا ، وننزل في أقرب القرى اليها ، ثم نرحل الى سيفيدنج فننزل فيها على صاحبنا سليمان بن كثير فنكون أمام مرو »

فلما سمع خالد اسم ابن كثير تذكر ما في قلب أبي مسلم من هذا الرجل مع ما يظهره له من احترامه . فابن كثير كان يدعو لاهل البيت قبل ظهور أبي مسلم ، وقد أبلى في ذلك بلاء حسنا ونال مقاماً رفيعاً . فلما بعث ابراهيم الامام أبا مسلم الى خراسان وعهد اليه في رئاسة الدعاة لم يقبله سليمان بن كثير لصغر سنه ، وكبر عليه ان يكون تحت أمره . وكان في جملة الدعاة رجل اسمه أبو داود ، فحسن للدعاة قبول أبي مسلم رئيساً عليهم فقبلوه . وكان قد بلغ أبا مسلم ما قاله ابن كثير فيه ، فحقد عليه وعرف فضل أبي داود ، فلما سمع خالد بن برمك أبا مسلم يذكر ابن كثير تذكر هذه الحادثة ، ولكنه تجاهل وأسرع الى الجواب ثلاً ينتبه أبو مسلم لما جال في خاطره فقال : « حسنا رأيت أيها الأمير ، فلنذهب للمسير ، وفي الغد نسافر الى أقرب القرى اليها وهي (فنين) على ما أظن »

قال : « نعم هي بعينها ، فابست الى النقباء ان يكونوا على أهبة الرحيل في الغد ، ولا بد لنا قبل الرحيل من الاجتماع بدعقائنا لنوصيه بالاتصال بأصدقائه من دهاقين مرو ليمدوننا بالمال أو بالرجال ، والله الموفق »

فوافق خالد على هذا الرأي وخرج

تركنا جلنار بعد خروج ربحانة من عندها مضطربة البال وقد فضت ليلتها لم تنم ، وكلما تصورت الضحاك مع أبي مسلم يقدم اليه الهدية خفق قلبها ، فأصبحت متوتكة ، وظلت في فراشها متضاربة الأفكار ، تخاف أن ينكر أبوها إليها ويكلمها في شأن ابن الكرمانى ، وهى تريد معرفة ما يكنه قلب أبى مسلم أولا

وقضت في هذه الحال ساعات ، ثم اذا بربحانة تدخل عليها ، فلما رأتها جلنار اعتذلت في الفراش وتفرست فيها عساها أن تستطلع ما يبدو في وجهها من الإنباء ، فلما رأتها تبسم انشرح صدرها وسألتها عما فعلته ، فأجابت : « قد أرسلنا الهدية وهى جميلة و .. »

قالت : « هل عاد الضحاك ؟ »

قالت : « لم يعد .. فهل آتيك بالطعام ؟ »

قالت : « لا أشعر بحاجة اليه ، دعينا من الأكل وأخبرينى عما تتوقعينه من امرنا »

قالت : « خيرا ان شاء الله ولكن .. » . وسكنت فبهتت جلنار ، وقالت : « ولكن ماذا ؟ »

قالت : « جئتكم بأمر من أبيك »

فصعد الدم الى وجهها واشتد خفقان قلبها ، وقالت : « ماذا يريد ؟ »

قالت : « لا تخافى ياسيدي لقد استدعانى مولاي الدهقان في هذا الصباح وأمر الى امرأ أوصانى بالآ ايوح به اليك ، ولكننى سأخالفه وأقص عليك الخبر ، وهو انى لما مثلت أمامه أعطانى خاتما كان معه وهو هذا (وأرتها خاتما من الذهب فيه حجر جيل من الفيروز) وقال : (هذا هدية لك) فأخذه وقبلت يده ، ثم حدثنى عن حبه لك ورغبته فى راحتك وسعيه فى سعادتك وأنه يعجب لترددك فى أمر ابن الكرمانى ، ثم ذكر ما يعلمه من دأثى عليك وعهد الى فى أن أقنعك بقبول ابن الكرمانى لأنه أمير ابن أمير وهو صاحب الأمر والنهى و .. »

فقطعت جلنار كلامها قائلة : « وماذا قلت له ؟ »

قالت : « تظاهرت باستحسان رايه ، فما كنت أستطيع غير ذلك ، حتى اذا أنس منى الموافقة ذكرت له انى لا أرى أن يعجل بالأمر ، فما لا يقضى اليوم إلا بالعنف والضغط قد يقضى غدا بالرضى والاقتناع ، وعهدت له باقناعك ، وغرضى أن يهملنا حتى نرى ما يبدو من ضيفنا ، وقد جاريته فى قوله حتى أملك منه سببا يهيم لى عونك ، والا فانه لو قال لك اذهبى الآن الى الكرمانى لما استطعت الامتناع »

فقالت جلنار : « اذهب ، ولكن مكرهة »

ثم صممت وظلت مطرقة ، وأرادت بعدئذ أن تعود الى السؤال عن الضحاك .

ولكن منعها الحياء من تكرار السؤال ، ولم يفت ذلك ربحانة ، فوقفت تقول :
« هلم بنا الى المائدة ، ومتى تناولت الطعام ننظر ما يكون »

فنهضت وأخذت ربحانة في الياسها ثيابها وتطييبها ونفّر شعرها ،
وجلنار ساهية ، حتى أتناها بالمرآة وقالت : « انظري الى هذا المحيا ، وقولي
سبحان الخلاق »

فحاولت جلنار وجهها عن المرآة كأنها لا تريد أن ترى صورتها ، وقالت : « لا
تخدميني بهذا الاطراء يارب ربحانة ، لو كان في وجهي جمال لما كنت في هذا الشقاء »
فابتدتها ربحانة قائلة : « لانياسي يامولائي ، وهلم بنا الى الطعام » . قالت
ذلك وخرجتا معا ، وجلنار تنظر الى الرواق المؤدى الى الحديقة لعلها تجد
الضحاك عائدا فسمعت ربحانة تقول لها : « اذا اشار مولاي الدهقان الى
الكرمانى أو ابنه فلا تبدى ثمنعا »

فاشارت جلنار برأسها بالقبول ، وهى لا تزال تنظر نحو الرواق لا تحول
وجهها وفكرها عنه . وجلست الى المائدة وعليها الوان الاطعمة الباردة والحارة
والفاكهة ، فتناولت شيئا سيرا منها وهى لا تتكلم ، وكلما سمعت صوتا
يشبه وقع اقدام الضحاك ألقت نحو الباب وربحانة تلاحظ حركاتها وتتألم
تقلقها وتحاول الهاءها بالحديث ، ثم تناولت تفاحة وقدمتها اليها وهى تقول :
« ما أشبه لون هذه التفاحة بلون خديك » . ودفعتها اليها فأخذت جلنار
التفاحة وقضمت قطعة منها ، فسمعت تقرا على الباب فأصاحت بسمها
واللقمة في فمها وقد أمسكت عن المضغ ووقفت لتفتح الباب . فسبقتها
ربحانة اليه وفتحته ، فسمعت جلنار ضحك الضحاك ولم تر وجهه فاصطبغ
وجهها بالاحمرار وكادت تشرق بريقها ، ولكنها تجلدت وأخذت في مضغ
التفاحة تتشاغل بذلك عما كاد يغلب عليها من القلق ، ودخل الضحاك يتأدب
في مشيته ، فابتدته ربحانة قائلة : « ما وراءك ؟ »

فضحك وتبأله ووقف ، فانتهرته ربحانة قائلة : « لاتبأله ، هيا أخبرنا بما
فعلته »

قال : « دمينى أضحك ، فانى مسرور »
فاشرق وجه جلنار واستبشرت ونظرت اليه وهى بتسم ولسان حالها
يقول : « أخبرنا بما سر »

فالتفت الى جلنار وقال : « أبشرك يامولائي بان عند صاحبنا الخراسانى
أضعاف ما عندك من .. » . وسكت

فلم تتمالك جلنار من الضحك ، ثم انتبهت الى ما في ذلك من التسرع
فأمسكت وقالت : « يارك الله فيك ، لقد أتعبتك ونرجو أن تكافئك .. قص
علينا خبرك »

قال وهو يتلفت يمينا وشمالا كأنه يحاذر أن يسمعه أحد : « ذهبت الى

أبى مسلم بالهدية فقبلها ، ولم يشأ أن يكلمنى فى حضرة رفيقه ابن برمك فأشار إليه فخرج . فلما خلوت به سألتنى عنك وتلطف فى الاستفهام عن حالك ، فكلمت أطير من الفرح »

فلما سمعت جلتار قوله اشتد خفقان قلبها وكاد السرور يخرج بها عن حدود الحشمة لو لم تذكر أنها أمام خادم ، فتجلدت ونظرت الى ريحانة كأنها تقول لها استزيديه بيانا ، فقالت له ريحانة : « ماذا قال لك ؟ هل رأيت منه ميلا الى مولاتنا ؟ »

قال : « رأيت عنده اضعاف ما عندها ، وقد شهدت له بسلامة الذوق لانه قدر هذا الجمل حق قدره » . قال ذلك وهو ينظر الى الارض مطرقا من الحياء ، فخرجت جلتار وغفرت له جرأته فى سبيل ما جاءها به من البشرى ، وظلت ساكنة فقالت ريحانة : « دمننا من التلميح وقل بصراحة ما قاله لك ؟ »

قال : « لا أذكر كلامه بالحرف ، ولكنى فهمت منه أنه عالق القلب بمولاتى وكان يخشى ألا يكون عندها مثل ما عنده ، فكان يظهر الاعراض فى أثناء جلسة الامس . لكنه أوصانى وبالحذر من اظهار الامر لمولائى الدهقان ، وذلك لغرض فى نفسه ، هو سر عميق أزهق روحى قبل اطلاقى عليه »

فقالت ريحانة : « وما هو ذلك السر ؟ »

فوجم الضحاك وقطب وجهه كأنه ندم على ما فرط منه وتراجع نحو الباب ، فابتدته ريحانة قائلة : « ما بالك تتراجع ، هل ندمت على صدق خدمتك ؟ »

فوقف وتشاغل باصلاح عمامته ، وقد حول وجهه الى جلتار وجعل ذراعه بين عينيه ووجه ريحانة وأشار الى جلتار بجفنيه وعرض على شفته السفلى ، ففهمت جلتار أنه لا يريد أن يتكلم أمام ريحانة فابتدتها قائلة : « دعيه .. سأسأله فيما بعد »

فرجعت ريحانة الى مقعدها وسكنت ، وظل الجميع سكوتا لحظة ، ثم أدركت ريحانة أن الحالة تدعو الى خروجها فخرجت . فلما خلت جلتار بالضحك نظرت الى وجهه مستفهمة ، فدنا منها ثم التفت الى الباب الذى خرجت منه ريحانة وقال : « سابوح لك بسر عاهدنى أبو مسلم أن ألقيه اليك على أن تعاهدنى على كتمانك من كل انسان . فهل تعديننى بذلك ؟ »

فقالت : « نعم أعدك ، فقل »

قال : « هو بعبك باسبيدتى كثيرا ، ولكنه عاهد نفسه على ألا يقرب النساء . ولا يعقد عقدا حتى يفرغ من مهمته ويخرج من حربه فائزا بعد أن يهلك أعداءه .. فهمت ؟ »

فاطرت وهي تفكر فيما ينطوي عليه هذا القول من المعاني ، فلم تفهم مزاده تماما فقالت : « أفصح يا رجل .. قل كلمة أخرى »

قال : « أنت تعلمين أن أبا مسلم قائم بهذه الدعوة ، وأعداؤه كثيرون ، وأكبرهم الكرمانى ونصر بن سيار ، وهو لا يضمن الفوز الا بقتلهما . وقد أخبرته أن الكرمانى خطبك لابنه فسر وأبتهج » . قال ذلك وحك دقنه وضحك

فاطرت مفكرة في هذا التناقض ، ثم رفعت بصرها الى الضحاك وفي عينيها دلائل الاستفهام والاضطراب ، فقال : « لم يسره أن تكونى لابن الكرمانى ، بل سره أنك ذاهبة اليه وأنت تريدن أبا مسلم وتجبين نصرته على أعدائه »

فأدركت جلنار أن أبا مسلم يرجو منها أن تعاونه على قتل الكرمانى وهي عنده ، وقتل ابن سيار ، فأكبرت الطلب فوجت وليست صامئة وقد حارت في أمرها وأعظمت أن تصرح للضحاك بما أدركته من خلال كلامه ، وأصبحت بين عاملين قويين أحدهما يدفعها الى ارضاء حبيبها والبلبل في سبيله ، والآخر يمسكها عن الاشتراك في قتل رجل لا ذنب له . وقضت مدة وهي مترددة فأتعبها التردد وأحست بصداق شديد وضاق صدرها فوقفت والضحاك يرأى حر كالماء . ويتوقع أن يسمع منها جوابا . فلما رآها وقفت ، علم أنها في حيرة شديدة فقال لها : « لا تتعجلي في الحكم ياسيديتى ، بل اعملى الفكرة أولا ، ولكن لا تنسى أن أبا مسلم يحبك ، وأنه عاهد نفسه الا يتزوج الا بعد الانتهاء من حربه ، وهو لا يرجو الفوز الا بالتغلب على هذين الرجلين . وقد يمكن التغلب عليهما بغير قتلها ، وقد لا يكون الا بقتلهما ، فإذا كنت أنت عوناً له على بلوغ غرضه فإنه يزداد تعلقاً بك »

فأحست جلنار بعجزها عن الحكم فورا ، ورات تأجيله ريثما ترى ريحانة .. رغم ما وعدت به من كتمانها عنها - والإنسان اذا أعجزه الحكم في مسألة أحس بعيل شديد الى مكاشفة بعض أخصائه بها ، ولا عبرة بتعهده بأن يكتمها ، بل قد يكون الإلحاح عليه في كتمان السر من بواعث ترغيبه في إفشائه - والنساء أقل صبرا على حفظ الاسرار من الرجال خصوصا ما كان يتصل بالحب ومشاكله



ضاقَت جلنار ذرعا بالأمر ، فاشارت الى الضحاك فانصرف ، ومضت الى غرفتها وخلت الى نفسها لعلها تتوصل الى حل لهذا الاشكال ، فأغلقت بابها وأتكات على الفراش وغرقت في هواجسها حتى ضاق صدرها وأحست بشوق الى ريحانة ، ثم غلب عليها التعب فأحست بالنعاس وشعرت بالبرد ،

فالتفت بالحاف ونامت واستغرقت في النوم . وتركت الباب دون أن
توصده ، فجاءت ريحانة فرأتها نائمة فتركها ومضت ، وهي أكثر منها قلقا
وشوقا لمعرفة ما أسره إليها الضحالك

وظلت جلنار نائمة حتى الغروب فافاقت على ضوضاء الخدم ، ففتحت
عينها وهي تحسب أنها في الصباح فرأت ريحانة جالسة بقربها فمسحت
عينها وقالت : « لقد أبطأت وغلب النعاس على »

قالت : « تخلفت عنك لتستوعبي سرى ثم جئت فرأيتك نائمة »

قالت : « ما هذه الضوضاء التي اسمعها ؟ »

قالت : « ان الاضياف في القاعة مع مولاى الدهقان » . فلما سمعت ذلك
اجفلت وأحست بميل شديد الى مشاهدة أبى مسلم ، وأدركت ريحانة
غرضها فقالت : « سألنى مولاى الدهقان عنك ، فأجبتك بأنك نائمة . . فهل
تريدى الذهاب الى القاعة ؟ »

قالت : « وماذا يفعلون هناك ؟ »

قالت : « انهم جاءوا للوداع ، فانهم على أهبة السفر في صباح الغد »

فوقفت ودبت من المرأة لتصلح من شأنها ، فسارعت ريحانة الى المشط
فسرحت لها شعرها وضفرته ، وأنتها بقارورة الطيب فتطيبت ، ولبست
ثوبا سماوى اللون ، والتفت بشال موشى بالحرير ، وهي تضطرب من التأثر
وترعد رعدة الحب ، وتظاهر بأنها إنما ترعد من البرد ، فجاءتها ريحانة
بطرف من الخز التفت به فغطى معظم أثوابها ، ومشت ريحانة بين يديها
حتى دخلت القاعة من بابها السرى ، ثم تحت ريحانة وأشرفت جلنار على
المجتمعين بحيث تراهم ولا يرونها ، فرأت أباهما جالسا على وسادة في صدر
القاعة وبين يديه عجن فيه مسك ، وهو يتشافل بتفتيت المسك بين أنامله
وقد فاحت رائحته حتى تضوع المكان بها ، ورات أباهما جالسا وقد بدل
ثياب السفر التي راته فيها بالأمس . فجعل على رأسه قلنسوة من خز أسود
وفوق أثوابه قباء أسود ، فتذكرت ما سمعته عن الشعار الأسود الخاص
بأصحاب هذه الدعوة . ورات خالدا بجانب أبى مسلم بمثل لباسه وقد
جلسا على وسادتين مئنتين ، دلالة على علو منزلتهما عند أبيها . فوقفت
هنيئة وهي ترتجف ، فانتبه لها أبوها فنادها وأشار إليها أن تجلس عند
بعض الأساطين فجلست لا تتكلم ، وتوجهت بكل جوارحها الى أبى مسلم
لترى ما يبدو منه بعد ما سمعته عنه . فلحظت منه التفاتاً لم تمهده من
قبل ، فأنشرح صدرها ، وكانوا قد أخذوا باطراف الحديث قبل وصولها
فخطبهم أبوها بالفارسية قائلا : « أراكم مسرعين في الرحيل هنا ، لعلكم لم
تراجعوا الى ضيافتنا ؟ »

فقال أبو مسلم : « كلا يا حضرة الدهقان ، بل نحن لانسى حسن ضيافتكم ونتمنى أن يكون كل الدهاقين مثلكم »

قال : « لا ريب عندي أنكم ستلافون من اخواننا الدهاقين كل رعاية ، وسيكونون عوناً لكم في هذه الدعوة لأنكم انما تدعون الى نصرتهم ، بل أنتم تسعون في انشاء دولة سيكون لال خراسان نفوذ عظيم فيها . فنسى تحكيم العرب في شؤوننا واستشارهم بالاموال دوننا . فقد كنا من قبلهم وفي أوائل دولتهم اهل السطوة وأصحاب الحكومة ، فما زالوا ينادوننا عليها ويتحكمون فينا ولا يمر يوم لا يأتوننا فيه بضريبة »

فقال أبو مسلم : « وأظن أن هذا هو السبب في بقاء معظم الدهاقين على الزرادشتية أو المجوسية »

قال الدهقان : « نعم هذا هو السبب وأنا أعرف جماعة من هؤلاء ، لولا ظلم هذه الدولة واستبدادها لاعتنقوا الاسلام ، على أن بعضهم هم بالاسلام ثم عدل عنه ، ولا ريب عندي أنهم اذا آتسوا من حكامهم رفقا فلن يتخلف أحد منهم عن الاسلام ، وأنا أضمن ذلك »

قال خالد : « يكفينا من الدهقان أن يبعث بعض أتباعه الى اصدقائه من الدهاقين لكي يحسنوا الظن بدموتنا »

وكان أبو مسلم في أثناء الكلام ينظر الى جلساء من طرف خفي ، وهي تسارقه النظر وقد كاد قلبها يطير سرورا لما رآته يتسم لها ، وأصبحت لا تبالي بما قد يحول بينها وبينه من المشاق ، بل استغرقت ترددها في أمره من قبل . ولا غرابة في ذلك لأن الانسان اذا هاجت عواطفه ، أصابه ضرب من الجنون فلا يقدر للأمور عواقبها ولا أخطارها . والحب سلطان مبيتد اذا لم يعترضه العقل جر صاحبه الى أكبر الكبائر . فكم من عاقل غفل عن حكم عقله في ساعة تغلبت فيها عواطفه ، فارتكب أمرا جر عليه الخراب أو العار أبد الدهر ، وقد كان في غنى من ذلك لو أنه تحكم في عواطفه ساعة أو بعض الساعة . ولو أعملت الفكرة في أكثر الجرائم التي يرتكبها البشر ويشقون بسببها لرأيتم أنها حدثت في مثل تلك الغفلة . فلا غرو اذا هان على جلساء ركوب ذلك المركب الخشن أرضاء لحبيبها ، ولم يعوزها للتفاني في ذلك الا ابتسامة خرفت أحشاءها وأضاعت رشدها . على أنها ظلت تتجلد وتنتظر بخلو الدهن مخافة أن يبدو أمرها لأحد من الحاضرين

أما أبو مسلم فلما سمع كلام خالد قال : « نعم يكفينا أن يحسن الدهاقين ظنهم بدموتنا ، فاذا رضي هؤلاء هان كل عسير ولم يعد يهمنا جند العرب ولا سيما أن دولتهم آخذة في الزوال »

فتذكر الدهقان أن هذا التعميم يشمل جند الكرماني لأنهم عرب ايضا ، فقال : « أظنك تعنى عرب مضر لأن عرب اليمن أعداء لبني أمية »

فادرك أبو مسلم انه يعرض بالكرماني ، وتذكر ما سمعه من الضحالك عن خطبة ابن الكرماني لجنار فقال : « ان اليمينية ينصروننا ويدعون لابراهيم الامام ، فهم اعداؤنا ونحن اعدائهم . اما اذا وقفوا في سبيلنا ودعوا لانفسهم أو لرجل آخر فهم اعداؤنا والسيف بيننا وبينهم »

فاختلج قلب جنار لهذا التصريح وتذكرت شأنها فيه ، فامتقع لونها وبالغت في الالتفاف بالशल وتنحنحت كأن سعالا داهمها ، فادرك أبو مسلم انها تخاطبه فتبسم ووجه خطابه الى الدهقان وقال : « اذا أصبحت مرو هدفا للنزاع بيننا وبين الكرماني ، أو بيننا وبين شببان ، فهي للفائز منا »

وكان الدهقان يفكر في مصير ابنته اذا تزوجها ابن الكرماني ، فرأى أن الكرماني أقوى وأمنع من أبي مسلم لكثرة جنده واستعداده ، فاضترم أن يمسك الحبل من الطرفين ، فاذا غلب الكرماني كانت ابنته عنده ونال بالمصاهرة غرضه ، واذا غلب أبو مسلم أمن على حياته وأمواله بما أبداه من الملاينة . ولم يكن عازما على نصرته حقيقة وإنما وعده بالمساعدة خداعا فقال : « نعم أن الكرماني مثلنا قام على بنى أمية ، ورجاله من القبائل اليمينية ، وهم اعداء عرب مضر أنصار بنى أمية . ولكن الكرماني عربي الأصل . وإن كان اسمه يوم غير ذلك ، فتخاف اذا فاز الا يكون لنا في دولته مقام . وأما أنتم فأنكم منا ونحن منكم ودولتكم دولتنا . . نعم أن الدعوة باسم خليفة عربي ، ولكنه سيكون نصيرنا لأننا نصرناه في دعوه . وزد على ذلك أنه أوصى بآبادة العرب من خراسان على ما سمعناه من وصيته التي بعث بها اليك »

فلما سمعت جنار كلام أبيها ، استبشرت وخيل اليها انه غير رايه في الكرماني ، واختلج قلبها فرحا وظهر ذلك على وجهها . ولو شاركنهم في الحديث لما خفي حالها على أبي مسلم ، ولكنها كانت صامته منزوية لا تجسر على الكلام لئلا يبدو شيء من عواطفها فيفتضح امرها .

وأما أبو مسلم فلم يندفع بأقوال الدهقان كل الانخداع ، لانه كان أكثر دهاء منه ، وهو ينسئ الظن بأقرب الناس اليه ولا يأمن أحدا على أمره ولا يعطي سره أحدا ، بل كان يضمر السوء لكل أنسان إذا لم ينفعه أو ينصره ، ويتيسر الناس على ما يعلمه في نفسه . والناس مغطوون على حب الذات ، وقلما يعملون عملا لا ينظرون فيه الى فائدتهم وإن تظاهروا بغير ذلك . والناس فئتان فئة قائدة ، وفئة مقودة ، والفئة الاولى هم خيرة الأنام وأهل العقول الكبيرة وأصحاب المطامع . فهؤلاء لا يقدمون على عمل الا وهم يرجون منه النفع لأنفسهم ، ولكنهم يختلفون في مطامعهم فبعضهم من يريد النفع لنفسه ويأبى الضرر لسواه وهم أهل الخير . وفيهم من لا يهمهم الا الوصول الى اقراضهم ولو خطوا اليها على جثث أقرب الناس اليهم .

وامثال هؤلاء كثيرون في تلك العصور ، واكثرهم يعدون من مظالم الرجال ، ومنهم أبو مسلم ، فقد كان واسع الطامع كبر النفس صلب القلب لا يمه الا الفوز في دعوته . وكان لا يحسن الظن بأحد ، فلما سمع مواعيد الدهقان اظهر تصديقه اياها تشجيها له على الثبات في قوله ، وهو في الواقع لا يطمئن اليه ولا سيما بعد ان علم بخطبة ابن الكرمانى جلنار . ولم يكن أبو مسلم يجهل ان ليس عنده من الرجال الا القليل ، فلما تصور ذلك هب من مقعده كانه تذكر شيئا نسيه . ووقف فوق الجميع ، فقال للدهقان : « أستودعك الله فاننا نبئت الليلة ، على أن نرحل في فجر الغد وانتم نيام ، فلا تنس وعودك فاننا نحارب في سبيل اخواننا الخراسانيين وجميع رجال فارس » فقال : « اطمئن . . سابلل أقصى الجهد في جمع كلمة الدهاقين على نصرتم » فقال خالد : « اذا فعلت ذلك فانك تفعله بخيرك وخير اهلك » . وقبل ان يخرج أبو مسلم من القاعة التفت الى جلنار وكانت ترامي كل حركة من حركاته ، فلما وقع نظرها على نظره توهمت انه ابتسم لها وأنه وعدا باللقاء القريب ، اعتمادا على رسالته اليها على لسان الضحاك ، فزاد هيامها به وأحسنت عند ذهابه كانه انخلع من قلبها ، ولكنها علت نفسها بما سمعته من ابيها من تحقير الكرمانى واعظام أمر ابي مسلم ، وحدثتها نفسها بان اياها قد غير رايه في خطيبتها



خرج أبو مسلم وخالد ، والقلمان بالشموخ بين أيديهما ، حتى بلغا مبيتها ، وظلت جلنار في مكاتها تنتظر الخلو بايها لعله يبدى ما يطمئنها . فلما عاد من توديع الرجلين ، ابتسم لها ودنا منها وجعل يمناه على كتفها وهو يتبع ابا مسلم بنظره ويقول : « طالما قلتم ولم تفعلوا » فلم يعجبها قوله لانه دل على انكراه أمر ابي مسلم ، فتجاهلت وقالت : « ومن هؤلاء يا أبتى ؟ »

قال : « هؤلاء أهل بيت النبى ، فانهم ما زالوا منذ اخذ بنو امية الملك يثبون الدعوة - من امثال ابي مسلم هذا - فتحسن هذا وفادتهم وتقدمهم بالمال ونصرتهم جهنمنا ، ثم لا نلبث أن نسمع بدعاب دعوتهم وان الامويين قتلوا صاحب الدعوة أو صلبوه ، فيقوم سواه وهكذا . وكانت الدعوة قبلا لابناء بنت النبى ، وأما اليوم فانهم يدعون لابناء معه . ولا ريب عندى في فشل هذه الدعوة لان نقل الدعوة من آل ابي طالب الى آل العباس يهيج غضب الطالبين كافة ، وهم المصحاب الدعوة ، وأهل خراسان لا يبرفونها

لسواهم . ثم ان هذا الغلام مغرور يريد أن يحارب هذه الدولة بسبعين رجلا أو مائة رجل ! »

وكانت جلنار تصفى الى كلام ابيا باستغراب ، ولو انتبه وهو واضح يده على كتفها لشعر بقشعريرة اعترتها عند سماع قوله . وخافت هى ظهور ذلك منها فتظاهرت باصلاح شعرها وتخلصت من يده وقالت : « سمعتك تطريه وتعدده بالمساعدة وتؤمله بالنصر »

قال ضاحكا : « وماذا خسرت ؟ ليس ذلك أفضل من أن اعدايه أو أعترض رايه وهو شديد الوطأة لا يبالي العواقب ، واذا عادانا لا نكون فى مامن من اذاه . هذا الى انى لا اقطع بفشل هذه الدعوة ، اذ لا آمن أن ينقلب الامر الى عكس ما أراه ، فيكون لنا عند أبى مسلم شغاعة لاعتقاده أننا على دعوته ، أما اذا كانت القلبة للكرمانى وأنت عنده فلن يصيبنا الا كل خير . أما نصر ابن سيار فانه مغلوب على أمره فى الحالين لأن سلطان بنى أمية ذاهب لا محالة ، وستنقسم مملكتهم الواسعة الى دول صغيرة يملكها أمراء مستقلون كما حدث لمملكة الفرس بعد الاسكندر اذ حكمها ملوك الطوائف . وفى اعتقادى أن خراسان ستكون إحدى تلك الممالك وسيملكها الكرمانى كما قلت لك غير مرة ، والعاقل من اغتنم الفرص عند سنوحها » . وكأنه تذكر وصية ريحانة بالآلح على ابنته فى شأن ابن الكرمانى وإن يترك أمره اليها ، فقال : « هلم بنا نتناول العشاء فقد حان وقته » . قال ذلك ومشى بجر مطرفه ويخطر فى مشيته والخدم يقفون له وجلنار تسير فى أثره حتى وصلا الى غرفة المائدة ، وقد أعدت فيها المآكل على خوان فوق السطاط عليه الكثير من الوان الأطعمة والأشربة والفاكهة . وكانت جلنار أثناء الطعام لا تتكلم وإنما كانت تتشباغل بالأكل وأفكارها تائهة فى أبى مسلم ، وهى تتصوره خارجا من القاعة وعليه تلك الحلة السوداء بعد أن نظر اليها النظرة الأخيرة . فلما تذكرت انه ذاهب فى الفجر ولن تراه الا اذا قدر لها لقاءه وهى تحسب ذلك بعيدا صعبا ، وقفت للقمة فى زورها ودمعت عينها رغم ارادتها . فأشارت الى أحد الخدم الواقفين للخدمة فجاءها بكأس من الفضة فيه ماء فشربت وهى تتظاهر بأن عينها دمعنا من الفضة وأنها تأملت منها ، ثم التمسست الأذن فى الانصراف قبل الفراغ من الطعام وذهبت الى غرفتها فوجدت ريحانة فى انتظارها



أظهار الدعوة

ما كاد أبو مسلم يخرج من عند الدهقان حتى استقدم كبار النقباء إليه ، وهم اثنا عشر اختارهم محمد بن علي والد إبراهيم الامام في أول الدعوة سنة ١٠٠ هـ . وأكثرهم من عرب اليمانية وكلهم من نخبة القواد ، وفيهم سليمان ابن كثير . وكان يومئذ في (سفيدنج) ، وأبو الحكم عيسى بن أعين وكان فني (فنين) التي هم سائرون إليها ، وقحطبة بن شبيب الطائي . ولاهز بن قريظ التميمي ، وأبو داود الذي تقدم ذكره . ونصر بن صبيح التميمي ، وشريك ابن غصبي التميمي ، وعبد الرحمن بن سليم . وكان فيهم من الفرس : خالد ابن برمك ، وأبو عون الحراساني ، فتناولوا جميعا العشاء مما أعده خدم الدهقان كالعادة . فلما فرغوا من الطعام ، قال لهم أبو مسلم : « انبأنا هاضون في صباح الغد الى (فنين) نزل فيها على أخينا أبي الحكم عيسى بن أعين ، وهناك نفكر في توجيه القواد الى الشيعة في الأطراف ، فتأهبوا للبهوض مبكرين . ومروا رجالكم بأعداد الأجمال اللازمة حتى نقوم من هنا في الفجر ونصل الى (فنين) في الضحى »

افتحذتوا في ذلك مليا ثم نهضوا الى خيامهم . وأصبحوا في الفجر وقد تأهبوا للرحيل . وكانت مياه المطر قد جفت واعتدل الطقس . فوصلوا الى فنين في الضحى ، ونزلوا هناك على عيسى بن أعين فنصبوا الخيام للرجال ، ونزل أبو مسلم وخاصسته الذين ذكرناهم في بيت عيسى ، وكان ذلك في شعبان سنة ١٢٩ هـ . وعند وصولهم عقدوا جلسة أقروا فيها انفاذ النقباء الى الأطراف لأظهار الدعوة وجع الرجال للقتال . وكانت الجلسة في قاعة غصت بأصحاب الله من المشايخ ، وكلهم ينتقدون لرأي أبي مسلم وهو شاب كأنه أحد ابنائهم ، ولم يروا غضاضة في ذلك نزولا على أمر الامام ، لأنهم انما قاموا يدعون له ويمتقدون صدقه ويمولون برأيه . فلما اجتمعوا وتشاوروا أخذ أبو مسلم في توجيههم ، فوجه أبا داود النقيب ومعه عمر بن أعين - أخو عيسى - الى (طخارستان) فما دون (بلخ) . ووجه نصرا بن صبيح وشريكا بن غصبي الى (مرو الروذ) - وهي غير مرو المحاصرة - ووجه عبد الرحمن بن سليم الى (الطالقان) . ووجه الجهم بن عطية الى (خوارزم) . وأرسل غيرهم أيضا ، وأوصاهم جميعا بأن يظهروا الدعوة في رمضان خمس

بقين منه الا اذا أعجلهم عدوهم دون الوقت بالأذى والمكروه ، فيحل لهم أن يدفعوا عن أنفسهم ويجردوا السيوف ويجاهدوا أعداء الله ، ومن شغله منهم عدوهم عن الوقت فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت . وأوصاهم بالصبر والثبات

وظل أبو مسلم في (فنين) الى اول رمضان ، ثم نهض بمن بقي من رجاله حتى نزل (سفيدنج) في اليوم الثاني من رمضان وفيها سليمان بن كثير الحزازي ، فأشرفوا على مرو عن بعد لأنها في سهل واسع غير محاط بالجبال حتى لا يرى المقيم بها جبلا وليس في شيء من حدودها جبل وأرضها سبخة كثيرة الرمال . فرحب سليمان بن كثير بأبي مسلم ورفاقه ، وأنزله وخالدا عنده ونزل الباقر في الحيام ، ولبثوا ينتظرون يوم ٢٦ رمضان المحدد لظهور الدعوة

وفي اليوم الثاني من وصوله الى هناك ، وقف هو وسليمان وخالد في مكان يشرفون منه على مرو وما حولها . فراوها محاطة بسور من طين وفي وسطها بناء هائل هو قلعتها التي تبدو كمدينة مرتفعة يراها القادم من بعيد . فقال أبو مسلم : « ما أضخم هذه القلعة وأعلى بناءها »

فقال سليمان : « الطريق فيها أنهم جاءوها بالماء من النهر بقناة على قناطر ، وقد دخلتها مرة فرأيتهم غرسوا على سطحها مياطخ ومياقل وما الى ذلك ، فاذا مشيت فيها تخيلت أنك في بستان على قمة جبل »

ورأى أبو مسلم خياما خارج السور وعليها رايات مختلفة الألوان والأشكال ، فتذكر ما سمعه من جاسوسه عن الكرمانى وشيبان ، فقال لسليمان : « هذان المعسكران للكرمانى وشيبان ؟ »

قال : « نعم ، وهما يحاربان نصرا بن سيار ، ووجالهما كثيرون في المعسكرين »

فقال أبو مسلم : « كأنك تخاف قلة عددنا ، ستري اننا كثيرون بأذن الله . ألا ترى أن نبث دعائنا في هذه القرى حول مرو ؟ »

قال : « حسنا تفعل أيها الأمير ، فإن أهل هذه القرى ملوا تعدى العرب على أغراسهم ، وهم لا يفرقون بين اليمينية والمضرية وإنما يرون أن السرب يظلمونهم وإن الفرس خير منهم ، فاذا بثثنا دعائنا بينهم على هذا الأسلوب استجابوا لهم »

فجمع أبو مسلم الدعوة وبث جماعة منهم في القرى المجاورة يدعون لآبراهيم الامام بقيادة أبي مسلم الحراساني ، فجاءهم في ليلة واحدة أهل ستين قرية . وكان أبو مسلم يجتمع بهم سرا ثم يردهم الى قراهم على أن ينتظروا ساعة اظهار الدعوة ، فيدعوهم اليه بنيران يوقدها

وفي ليلة الخميس لحس بقين من رمضان من سنة ١٢٩ هـ احتفل أبو مسلم

بذلك احتفالا كبيرا ، فجمع كبار الدعاة في ساحة (سفيدنج) • وعقد اللواء الذي بعث به الامام وسماه (الظل) على رمح طوله أربع عشرة ذراعا وغرسه امام المنزل الذي يقيم به ، وجاء برمح آخر طوله ١٣ ذراعا عقد عليه الراية التي سماها (السحاب) • فعل ذلك في مشهد موقر حضره النقباء وهو يقول « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير »

وبعد أن تلا الآية ، التفت الى النقباء وقال : « اتعلمون لماذا سمي مولانا الامام هذه الراية السحاب ؟ » فقالوا : « لا »

قال : « لقد سماها بذلك اشارة الى أن السحاب يطبق الأرض • وهل تعلمون لماذا سمي هذا اللواء بالظل ؟ »

قالوا : « لا » • فقال : « لأن الأرض لا تخلو من الظل ، وكذلك الأرض لا تخلو من خليفة عباسي أبد الدهر »

ثم جاءوا باللبسة السوداء ويسمونها « السواد » فلبسوها ، وأولهم في ذلك أبو مسلم وسليمان بن كثير وأخوته ومواليه ومن أجابوا الدعوة من أهل سفيدنج وكل الدعاة ، ثم أوقدوا النيران طبقا للاتفاق مع الشيعة الذين بايعوا فجاموا اليه • وكان (أهل التقادم) أول القادمين وعلى رأسهم أبو الرضاح في تسعمائة راجل وأربعة فرسان ، ومن أهل هرمز جماعة كبيرة كذلك مع أبي القاسم الجوباني في ألف وثلاثمائة راجل وستة عشر فارسا ، وفيهم من الدعاة أبو العباس المروزي ، فجعل أهل التقادم يكبرون من ناحيتهم ، ويحييهم أهل هرمز بالتكبير ، حتى دخلوا معسكر أبي مسلم بسفيدنج بعد ظهوره بيومين • وحسن أبو مسلم حصن سفيدنج وسد دروب المحلة



ولما كان عيد الفطر، أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي به وبالشيعة، ونصب له منبرا بالمعسكر وأمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة • وكان بنو أمية يبدأون بالخطبة قبل الصلاة مع الأذان والإقامة ، كما أمره بأن يكبر ست تكبيرات تباعا ثم يقرأ ويركع في السابعة ، ويكبر في الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعا ثم يقرأ ويركع في السادسة ، ويفتح الخطبة بالتكبير ثم يختتمها بالقرآن • وكان بنو أمية يكبرون في الركعة الأولى أربع تكبيرات ، وفي الثانية ثلاث تكبيرات ، فلما أتم سليمان الصلاة انصرف أبو مسلم والشيعة الى طعام أعد لهم

وكانت المائدة التي أعدها سليمان في فسطاط كبير بجانب المعسكر فجلسوا حولها مستبشرين ، وأبو مسلم في صدرها ساكت مفكر كمادته

يتناول اللقمة بعد اللقمة على مهل وعيناه تنظران الى ما وراء الباب من السهل
الواسع الذي لا يقف البصر في آخره على غير الأفق . وحوله النقباء والأهراء
وكلمهم هائبون منظره ، وفيهم من يفكر فيما يهددهم من القتال الشديد المقبل
فلما طعموا ، وكانت الشمس قد مالت عن خط الهاجرة ، نهضوا لشؤونهم
وكل في شغل من أمر نفسه أو أهله ، أما أبو مسلم فلم يكن همه الا تنظيم
من اجتمعوا اليه من الناس وهم كثيرون بالقياس الى الفترة التي اجتمعوا فيها ،
وقليلون اذا قيسوا برجال نصر في مرو ، ورجال الكرمانى وشيبيان خارجها .
وكان أبو مسلم لا ينفك يخلو بخالد بن برمك فقد كان موضع ثقته ومستودع
أسراره ، فلما خرج القوم من فسطاط المائدة انصرف هو وخالد معا الى
جانب من المعسكر على مرتفع يشرفان منه على مرو وضواحيها وعلى معسكرهما
فلما رأى أبو مسلم قلة جنده وكثرة أولئك ، التفت الى خالد وقد أراح
عمامته الى الوراء وابتسم - ونادرا ما كان يبتسم - فأقبل خالد عليه كأنه
يتأهب لتنفيذ أمره ، فقال أبو مسلم : « ألا يخيفك قلة جنودنا وكثرة جنود
عدونا ؟ »

فابتسم خالد وقال : « لا يخيفني شيء ما دمت أميرنا وقائدنا ، وقد
استبشرت اليوم بكثرة من جاءنا من الشيعة على قصر مدة ظهورها »

فاجابه أبو مسلم بقوله : « صدقت ، فالقلة ليست بالكثرة وانما هي
بحسن الادارة وضم الصفوف . نعم ان أعداءنا كثيرون ولكنهم أحزاب متفرقة
قد يقضي أحدها الآخر قبل خروجنا اليهم ، وربما كان لنا منهم عون عليهم .
أليس أهل اليمن مع الكرمانى ؟ وأهل مضر مع ابن سيار ؟ والحوارج على
الائنين ؟ ساروك مصير هؤلاء جميعا . ثم رفع نظره قرأى سوادا قادميا
من عرض الأفق وغبارا متصاعدا فاستبشر ، وسمع خالدا يقول : « أظن أن
جاعة من شيعتنا قادمون لنصرتنا »

فلم يجبه أبو مسلم وظل يحلق ببصره ، ثم قال : « لا أرى أعلاما سوداء ،
لذلك لا أظن أن القادمين شيعة لنا » . ولبثا هنيهة أخرى فانكشف القبار
عن قبة على فيل أبيض كبير ، وحول القبة بضعة فرسان يسير في ركابهم
جاعة من العبيد ، ووراء الفيل جال عليها أجمال الانية والفراش وغيرها .
فاستغربا ذلك وزاد استغرابهما لما رايا الركب متجها نحوهما ، فجلا
ينظران اليه لعلهما يتبينان شيئا من أمره فاذا بتلك القبة مصنوعة من
الديباج الأحمر وقد تدلت أستارها حتى لا يظهر شيء مما في داخلها ، وحول
عنق الفيل وعلى جبهته وفي مقدم صدره عقود وأوسمة مرصعة بحجارة
كريمة مختلفة الألوان ، وقد كسى ظهره وجوانبه بالديباج الأصفر الزاهي .
ويقود الفيل رجل طويل القامة عليه عباءة وعمامة ، ما لبث أبو مسلم أن
عرف حين اقترب انه الضحاك ، فتذكر حكاية جلنار وخطبتها الى ابن الكرمانى
وما كان من حديثهما عنها ، فاجفل لأول وهلة اذ ظنها مزفوفة اليه هو ،

ثم رأى الضحّاك يعهد بزمّام القليل الى عبد بجانبه ، ثم يسرع نحوه متادبا حتى اذا وقف بين يديه حياء تحية الامراء وهم بتقبيل يده ، فمنعه أبو مسلم وابتدّره قائلا : « ما شأنك ؟ » . فضحك الرجل وقال يصوت ضعيف : « لا تجزع ليست مزفوفة اليك ! » . ثم رفع صوته وقال : « أليس هذا معسكر أبي على الكرمانى ؟ »

فقال له خالد : « فحك الله ألا ترى الاعلام السوداء ؟ »

فتبأله الضحّاك ، وقال : « لقد أخطأنا الطريق ، أظن معسكر الكرمانى هو ذاك » . وأشار بيده اليه ، ثم أخذ يحك قفاه وظل واقفا مطرقا فقال خالد : « ثم ماذا ؟ »

وأدرك أبو مسلم أنه لم يأت اليه الا لأمر ذى شأن . فمشى وتبعه الضحّاك وظل خالد فى مكانه ، فلما انفردا قال الضحّاك : « إن هذه المسكينه مزفوفة الى ابن الكرمانى مرغمة ، وقد أوصتني بأن أحتال فى الدنو من معسكرك لكى تراك ، لأن قلبها » . « وتنتحى ثم قال : « واذا أرسلت نظرك الى القبة رأيتها تنظر اليك من خلال الستور خلسة فانظر » . وضحك

فرجع أبو مسلم نظره الى القبة وكانت قد صارت على نحو خمسين خطوة منه ، فرأى وجها مطلا من خلال الستور اذا شبهناه بالقمر ظلمناه ، لأن القمر صبيحة لا ماء فيها ولا حياة ، ولو كان لأبى مسلم قلب يهوى ما استخف بمواطن تلك الفتاة المستهامة . ولكنه خلق من عقل ودهاء وطمع وكبرياء وابعد قلبه عن محبة النساء ، ولم يعرف قلبه من أنواع الحب الا حب المال ، والانتصار بالرأى والتشجاعة

أما جلناز ، فذات قلب كبير ، لم يخفق بالحب لغير أبى مسلم ، والحب كله رجاء ، وقد زادها الضحّاك أملا بما نقله اليها من حب أبى مسلم لها ، فاستسلمت كل صعب فى سبيل مرضاته ، فقبلت أمر أبيها ورضيت بالزفاف الى ابن الكرمانى تقربا من معسكر حبيبها وعملا بأرادته . وأوصت الضحّاك بأن يحتال فى الوقوف هناك ليعلم أبو مسلم أنها جاءت الى الكرمانى بجسمها ، أما قلبها فمعه هو . فلما رآته ينظر الى قبتها اختلج قلبها فى صدرها ، وتوهمت أنها رأت أبا مسلم يتنسم لها ويحيبها ، فدعت عينها وأرخت الستر وتحولت الى الداخل وريحانة معها لم يخف عليها شيء من أمرها . أما الضحّاك فانه حتى رأسه لأبى مسلم وقال : « كن على يقين انى سأقوم بما يرضيك » . ثم عاد من حيث أتى وهو يقول بصوت عال : « نحن اذن قد أخطأنا الطريق الى معسكر أبى على . هلم بنا يا قوم الى تلك الاعلام اليمينية فان الكرمانى هناك ! »

ولما وصل الى مكان الفيل تناول زمامه وأشار الى أحد العبيد ، فانطلق مسرعا يمدو نحو معسكر الكرمانى ينبئهم بقدوم العروس ، وكان الكرمانى



« وزادت دهشة أبي مسلم وخالده لما رأيا الركب متجهما نحوهما »

قد عقد قران ابنه بجلنار في منزل الدهقان بعد أن أدى اليه المهر
أما خالد فإنه ترك أبا مسلم مع الضحاك وانصرف إلى المسكر ، فرأى
رجلا مسرعا نحوه وهو يقول : « أين الأمير ؟ » فقال : « وما الخبر ؟ »
فأشار بيده إلى مرو ، وقال : « لقد بدأت الحرب بين الكرمانى وبين نصر »
فالتفت خالد إلى مرو فرأى الفرسان قد خرجوا من المدينة ومعهم أعلام
بنى أمية ، وخرج اليهم رجال الكرمانى بأعلامهم ، وقد تطايرت النبال
واشتد القتال . وكان أبو مسلم قد أقبل نحو خالد ورأى مثل ما رأى ،
ففرح وقال : « لقد أوفت ساعة العمل »

فقال خالد : « هل نستعد للهجوم أيها الأمير ؟ »
قال : « احذر أن تفعل ، إنما شأننا اليوم أن نصبر لنرى عاقبة هذا
القتال »

قال : « ألا نفتحتم فرصة اشتغال نصر بالحرب ونهجم على المدينة »
قال : « إذا هجمنا لا نأمن أن يتحدا العدوان علينا ، ولكن نصبر إلى الغد » .
قال ذلك ومضى إلى منزل سليمان بن كثير ، فرأى النقباء قد اجتمعوا هناك
وهم يسألون عن أبي مسلم وكلهم يرون رأى خالد في الهجوم . فلما أقبل
أبو مسلم عليهم استشاروه ، فأمرهم بالتربص فسكتوا وأطاعوا
فلما غربت الشمس تراجع الجيشان وأمسكا عن القتال ورجع كل منهما
إلى مكانه ، والنقباء يرون أن أبا مسلم قد أخطأ لتقاعده عن اغتنام تلك
الفرصة وهو لا يقول شيئا . فلما أمسى المساء أمر الرقباء أن يبيتوا على
حذر ، ثم خلا إلى خالد وسليمان وهم بأن يكشفهما بما في ضميريه ، فسمعوا
طارقا يطرق الباب ففتحوا له وإذا بفارس دخل ومعه رجل موثق بصاحبه
والفارس يقول : « قد قبضنا على هذا الرجل في معسكرنا وليس هو منا » .
فلما رآه أبو مسلم على نور المصباح عرفه ، فصاح به : « الضحاك ؟ » قال :
« نعم يا مولاي »

فأشار إلى الفارس فتركه وانصرف ، ودخل الضحاك فأمر بحل وثاقه
وسأله عن أمره فقال : « هل أتكلم أم تأذن لي في خلوته ؟ »
فأدرك أنه يريد الخلوته ، فأشار إلى خالد وسليمان فذهبا إلى غرفة أخرى ،
وجلس أبو مسلم على وسادة وأمره أن يجلس وقال : « ما وراثة ؟ »
فجلس الضحاك جانبا متادبا وقال : « اسمع لي يا مولاي أن أثنى على
تريثك الليلة ، وكنت أخشى أن تأمر جندك بالهجوم »
قال : « ثم ماذا ؟ »

قال : « هل تأذن لي في أن أبدي رأيا ؟ »
قال : « قل بارك الله فيك ، ما أسرع ما اطلعت على الحفايا »

قال جادا : « قد رأيت يا مولاي أمرا هالتي وخفت عاقبته على رجالك اء
قال : « وما هو ؟ »

قال : « وصلنا بالمروس الى فسطاط الكرمانى فاذا هو وابنه على زوجها
المبارك ، قد ركبا لمحاربة نصر بن سيار صاحب مرو ، فانزلنا العروس في
خباياها بين عبيدها وجوارياها ، وخرجت لاستطلاع الاحوال فرايت جنود
الكرمانى كبيرا ، وكلهم من رجال اليمن الاشداء ، وفيهم العدة والنجدة
وربما زادوا على خمسة أضعاف رجالك . ولما خرج رجال نصر لقتاله رأيتهم
أيضا كثارا فخفت أن يفرك ذلك فتخرج برجالك للحرب وأنا لا أضمن لك
الفوز لعلنى أن الجندين وان تباينت عصبيتهم بين اليمن ومضر ، فانهم جميعا
من العرب فاذا رأوا الخراسانيين يحاربونهم اتحدوا عليهم »
قال : « هذا حق فأكمل »

قال : « فرأيت أن خير ما تفعله الآن أن تمكن البغضاء بين هذين الجيشين ،
فاعجب أبو مسلم بسداد رأيه لانه كان قد عزم عليه ، وقال : « ذلك هو
الرأى الصواب ، وهو الذى عزمت عليه . ولكن كيف السبيل الى اللقاء الفتنة
اللييلة حتى تتم لنا الحيلة فى الغد »
قال : « أتستشيرنى يا مولاي ؟ »

قال : « لا بأس من المشورة فانها آمن . عاقبة ، فاذا لم يعجبني رأيك
رجعت الى رأيي »

فاخذ الضحاك يحك جانب رأسه باحدى يديه ويده الاخرى على عمامته
يسندها لثلا تقيم ، ثم ضحك وقال : « أكرم بك يا ضحباك ، ان الامر
يستشيرك ! » ثم وقف وقفة الجد ، وقال : « الرأى يا سيدي أن تكتب كتابا
الى شيبان الحرورى صاحب الجند الآخر المعسكر وراء الكرمانى ، وتقول فى
سياق الحديث ما معناه : (أن قبائل اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تثقن
بهم ولا تركن اليهم ، فاني أرجو أن يمكنك الله منهم ، واذا بقيت لا أدع لأهل
اليمن شعرا ولا ظفرا) . أو نحو ذلك مما يدل على أنك تكره اليمنية ولا ترجو
خيرا منهم . وترسل هذا الكتاب مع رسول تأمره أن يجعل طريقه الى معسكر
شيبان من جهة معسكر المضربة أصحاب نصر بن سيار ، فيقبضون عليه
ويأخذون الكتاب منه ويطلعون عليه فيقوم فى نفوسهم أنك معهم قلبا وقالبا ،
فيميلون معك وتقوى نفوسهم على اليمنية . واكتب كتابا آخر الى شيبان
نفسه واطمن على المضربين ، ثم أرسل هذا الكتاب مع رسول يجعل طريقه
فى معسكر الكرمانى وهم يمتنون فيقبضون عليه ويطلعون على الكتاب
فيرون أنك معهم على المضربين وتقوى نفوسهم بك ، فاذا اشتد القتال فى الغد
وأردت النزول كان الفريقان معك . وضحك ضحكة طويلا ، فلم يتمالك
أبو مسلم عن مجاراته فى الضحك قليلا ، وقد سر بهذا الدهاء وقال : « ان

لك لسانا يا رجل ، وما أنت ضحاك كما تتظاهر . انى فاعل لساعتى ما
أشرت به . ثم نهض ليأمر الكاتب بذلك فأمسك الضحاك بذيله وقال :
« وأنا ماذا أعمل ؟ »

قال : « تنال عطاء جزيلًا جزاء صدق خدمتك »

قال : « انى لا ألتبس على ما أقوم به اجرا . فانى لم أفعل شيئًا استحق
عليه الأجر . ولعل أستطيع ذلك فيما بعد . وأما الآن فأنا ذاهب الى مولاتى
الدهقانة وسأبلغها سلامك وفتناك . ليس لأنك تحبها ولكن لأن ذلك
يسرها وينفس كربها ويعزيها عن رؤية عريسها الأعور ! »

قال : « ومن تعنى ؟ »

قال : « أعنى عليا بن الكرمانى فانه نصف أعمى . فضلا عن غرابة شكله ،
وهو مع ذلك زوجها بعقد مكتوب . وسترى كم ينفعنا هذا العقد ! » ثم
وقف لقبول يد أبى مسلم ، وخرج مهرولا



عاد خالد وسليمان الى أبى مسلم فامر بالكاتب فجاءه ، ثم أخبرهما بما عزم
عليه وأملى على الكاتب كتابين الى شيبان الخارجى دفعهما الى رسولين
بارعين ، وأمر أحدهما أن يمر بمسكن نصر بن سيار والآخر بمسكن الكرمانى ،
ومتى قرىء الكتابان يرجعان بهما اليه ولا يوصلانهما الى شيبان ، فسار
الرسولان وفعل ما أمرهما به

فلما اطلع الكرمانى على الكتاب وفيه ما فيه من نقمة أبى مسلم على قبائل
مضر ، توهم أن أبى مسلم معه على المضربة . ولما اطلع نصر بن سيار على
الكتاب الآخر توهم أن أبى مسلم معه على اليمنية ، فقويت نفس كل منهما على
قتال صاحبه . وكان أبو مسلم أثناء إقامته هناك قد كتب الى الكور باظهار
الامر فسود (البسن السواد) جماعة كبيرة فى (نسا رايبورد) و (مرو الروذ)
وغيرهما ، وأقبل الانصار اليه تباعا

وفى صباح الغد عاد الجيشان الى القتال بقلوب قوية وهواهما مع أبى
مسلم ، ولكن تم الحيلة كتب الى كل من نصر بن سيار والكرمانى كتابا يقول
فيه : « ان الامام ابراهيم صاحب الدعوة ، قد أوصانى بك وبرحالك خيرا
ولست أمدو رأيه » . فازداد الفريقان رغبة فيه ورهبة منه ، واشتدت
نقمة كل منهما على صاحبه . فلما احتدم القتال ركب أبو مسلم ومن معه من
النقباء والاتباع ، وأقبلوا على المتحاربين فلم يتعرض لهم أحد بسوء ، فنزل
بن معه بين خندق الكرمانى وخندق نصر وهابه الفريقان : ورأى بداهانه أن
يجرى الكرمانى حتى يعرضه للخطر فبعث اليه : « انى معك » . فسر

الكرمانى واشتد ساعده بانضمام أبى مسلم اليه . فلما رأى نصر ذلك أدرك حيلة أبى مسلم فبعث الى الكرمانى يقول : « ويحك لا تغتر ، فوالله انى لخائف عليك وعلى أصحابك منه ، فادخل مرو تكتب كتابا بيننا بالصلح » . وكان غرض نصر أن يفرق بين الكرمانى وأبى مسلم . فسمع الكرمانى كلامه ورجع الى صوابه وخاف أن يكون نصر مصيبا ، فدخل فسطاطه وظل أبى مسلم فى المعسكر

ثم خرج الكرمانى حتى وقف فى الرحبة بين المعسكرين فى مائة فارس وعليه قباء ذو طاق واحد وأرسل الى نصر يقول : « اخرج لنكتب بيننا الكتاب »

فلما رآه أبى مسلم يقول ذلك خاف حبوط مسماه . وكان أبى مسلم واقفا على جواده وعليه درع كاملة تقطى جسمه ويحارب من الجواد لايبالى تساقط النبال عليه . وبينما هو فى تلك الحيرة أبصر رجلا ملثما طويل القامة يسرع كالجواد المموج الى معسكر نصر وهو يتقى السهام بكفيه ، فعرف من حركته وقبافته أنه الضحّاك وما لبث أن رآه قد تغفل فى ذلك المعسكر . ثم رأى كوكبة من الفرسان خرجت من معسكر نصر وفى مقدمتها فارس يقول بأعلى صوته : « أنا الرجل الموتور ، أنا ابن الحرث ابن سريج ، جئتكم ياكرمانى يا ابن الفاعلة . أنت قتلت أبى وسأقتلك به » . قال ذلك وانقض انقضاض الصاعقة ، والتفت الكوكبتان واشتبكتا ، واشتد أذى المضربة . ثم راوا فارسا خرج من مرو يعرض المضربة ويسوق فرسه امامهم وقد جلله الشبيب ، ولكن الشيخوخة لم تغير شيئا من نشاطه وحيته . ولما ساق جواده لعبت الريح بلحيته وهى بيضاء عريضة ملء صدره ، وصاح فى رجاله يستحثهم . فعلم أبى مسلم أنه نصر بن سيار ، فقال فى نفسه لو ظهر فى بنى أمية مثل هذا الرجل قبل اختلال أمرهم لما عجل بسقوطهم ، ولكنه لن يستطيع أمرا . وهجم بعض الفرسان مع نصر ، فتغلبوا على الكرمانى وأصابوه بطعنة فخر عن فرسه فأجهزوا عليه ، وأمر نصر بصلبه فصلبوه

فلما رأى أبى مسلم قتل الكرمانى تظاهر بالأسف وتوقع فشل الينبية ، وإذا بعلى بن الكرمانى قد هجم يطالب بثأر أبيه . فهجم أبى مسلم معه ونادى رجاله فهجموا جميعا على نصر ورجاله ، فأرجعوه عن مواقعهم ، ثم تراجع الجيشان

رجع أبى مسلم من المعركة وقد سره مقتل الكرمانى ، وأخذ إثساء رجوعه بعمل فكرته فى تدبير الحيلة لقتل ابنه على ، ولكنه رأى أن يستعين به على نصر أولا ثم يقتله ويقتل شيبان الخارجى ، فوصل الى معسكره واجتمع اليه النقباء فنظر اليهم وقال : « ألم يكن رأينا صوابا ، قتلنا الكرمانى ولم نسفك دماء رجالنا . والرأى فوق شجاعة الشجعان ١٤ »

فأعجبوا بدهائه وحسن سياسته ، وازدادوا تغانيا فى طاعته وقالوا : « مر بما تشاء فانك صاحب القول الفضل »

سر الضحك

تركنا جنار في طريقها الى معسكر الكرمانى ، وقبل وصولها جاءها وفد من رجال الكرمانى استقبلوها وانزلوها في خباء خاص نصبوه في مؤخر المعسكر وانزلوا فيه احوال الاتية والفرش ، وادخلوا جنار غرفة من غرفه ليس فيها من النساء سواها ومعها بعض الجوارى وريحانة ، وقد أصبحت في هذه الغرية الصق بها من ظلها . وكانت ريحانة قد أحست انها هي المسئولة عنها ، وقد علمت ما هي معرضة له من الأخطار فوطنت النفس على بدل كل شيء في سبيل سلامتها

فلما وصلت جنار الى الخباء ، سبقتها الجوارى الى تهيئة ما يلزم من اسباب الراحة ، وقام الضحك بانزال الاحمال ومعها العبيد والغدم . ثم جاءت ريحانة فأدخلتها غرفتها وأخذت تنزع ما عليها من ثياب السفر وتلبسها ثوب البيت وهي صامتة لا تتكلم ، ثم لاحظت منها التفاتة الى جنار فرأت عينيها تدمعان فانقبضت نفسها وابتدرتها قائلة : « ما الذى يبكىك يامولاتى ؟ » . ولم تكذ تنطق بهذه العبارة حتى اختنق صوتها وفصت بريقها ولم تنبس بكلمة ، فتشافت بضر شعر سيدتها ، ثم تجلدت واعادت السؤال وهي تحاذر ان يخنق صوتها وقالت : « ما بالك يامولاتى لا تجيبين عن سؤالى ؟ »

فالتفت جنار الى ريحانة والدمع يتلألأ في عينيها ، وقالت لها بالفارسية : « امسالينى عن السبب وانت اعلم به منى ؟ اين نحن الآن ؟ كيف خرجت من دار ابى وقد كنت فيها في حصن حصين وجئت دار الحرب والنبال تتساقط على فسطاطى ، ثم اتى لا اعرف الى من انا صائرة ! »

فاجبت ريحانة ان تخفف عنها ، فقالت : « انت صائرة الى الامير على بن الكرمانى ، وكل هذا المعسكر رهن اشارتك »

قالت : « واين هو على هذا ؟ . اتى لم اره ولو رايت ما عرفته . سمحك الله يا ابنه . لقد فرطت في ، بل اللوم على انا فقد سلمت نفسى لرجل لا اعرفه ولم اره ، وقد وصلت الى منزله ولم اجده ! »

فقال ريحانة : « خفى عنك يامولاتى انه لا يلبث ان ياتى فقد اتفق وقت وصولنا مع وقت خروج الامير الكرمانى للاقاة جند مرو للقتال . ولا شك ان عليا ابنه معه وستريته عائدا وقد تلطخ جواده بدم الاعداء وفي وجهه عزة

النصر ، وهذا فخر لك . أن في ذلك لذة لم تتمود بها ، فإذا ذقتها مرة عرفت قيمتها ، أن لذة النصر عظيمة بامولاتي »

فلذعت جنار عند سماعها ذكر القتال ، وقالت : « أهو في ساحة القتال ؟ ألم تقولوا لي أنه صاحب مرو وله فيها الأمر والنهي ؟ »

قالت : « قد كان الأمر كذلك ، ولكنه خرج منها ولا يلبث أن يفتحها كما فتحها من قبل »

فصاحت وقد نسيت موقفها : « لا يهمني فتحها أم لم يفتحها ، اني لا أريده ، أخرجوني من هذا المكان اذهبى بى من هنا يا ربحانة ! »

فضحكت ربحانة تخفيفا لثورتها ، وكانت قد انتهت من تمشيطها وبديل ثيابها فالبستها ثوبا عنابي اللون جعلت عليه منقطة مرصعة ، ولفت كتفيها بمطرف من الخز الموشى مبطن بالقرو الثمين ، وقد احمر وجهها من اثر السفر وتوردت وجنتاها وتكسرت عيناها من البكاء وغشيها ذبول الاهتمام ، وتجلت في جبينها وبين عينيها وعلى أسراريرها دلائل الهيبة والحدر والجزع . واسترسل شعرها صغيرة واحدة على ظهرها وقد تلاا القرطان في اذنيها وكل منهما جوهرة واحدة نضء في الظلام ، غير مائق عنقها من العقود الثمينة وغير ما يحيط بمعصميهما من الدمالج والأساور ، فاصبحت فتنة للناظرين . فلما فرغت ربحانة من لباسها ، دعته الى الجلوس فجلست وسالت : « زأين الضحاك يا ترى ؟ »

قالت : « لا يلبث أن يابئنا ، فقد تركته يهتم بالاحمال وما اليها » . وصغفت فدخل خادم ، فقالت له : « أين الضحاك ؟ »

قال : « كان حول الغباء ، ثم ذهب ولا ادري أين هو الآن »

فاجفلت جنار ونظرت الى ربحانة كأنها تستطلع رايتها ، فقالت ربحانة : « هلم بنا نطل من باب الغباء نتفرج على العسكر عسى أن نرى الضحاك »

فنهضت ومشت وربحانة وراءها حتى أطلتا من باب الغباء وإذا بهن سقط بالقرب منهما عند الباب ، فذمرت جنار وتراجعت ، وأما ربحانة فكثيرا ما شهدت مثل هذه المعارك فلم تحفل به وتجلدت تشجيعا لمولاتها ، ثم ضحكت وقالت : « ما الذى أجفلك يا مولاتى ؟ »

فقالت وهي ترعد خوفا : « انهم يقتتلون على مقربة منا ، بالله ما هذا ؟ ما الذى جاء بى الى هذا المكان ؟ كيف رضيت بالمجء . . آه يا أبا مسلم ! » . وكانها نطقت باسمه سهوا فخطت ، وأخذت تمسح دموعها

وكانت ربحانة أعلم منها بتخرج الموقف ولكنها لم يسمعها الا التخفيف عنها ، وشمعت بأنها أساءت اليها اذ لم تمنعها من المجء فقالت : « الحرب بعيدة عنا ، تعالى انظرى الى المعركة فانها وراء هذا العسكر فيما بينه وبين المدينة . وأما

السهم فقد أفلت ووقع هنا صدفة . ثم أمسكها بيدها وأخرجتها من الخباء ، فاطلت على المعركة عن بعد فرأت الفرسان يتجاولون والسيوف تبرق في أيديهم وبعضهم يحمل الاتراس وبعضهم يشرعون الرماح وأكثر القتال بين الفرسان . ولذلك قلما كانوا يترامون بالنبال ، فالنبالة أكثر ما يكونون من المشاة . ولم تستطع جنار أن تشهد القتال طويلا ، فدخلت ودخلت ريحانة في أثرها وكلتاها صامتا وقد قلقتا لغياب الضحاك . حتى إذا دنا المغيب ، ازداد انقباض جنار وتصورت قرب مجيء زوجها الذي لم تره من قبل ولا أحبه قلبها لانشفاله بسواه . فأمسكت ريحانة بيدها فأحست برجفة فيها ، فقالت : « مابالك ترتعدنين يامولائي ؟ »

قالت : « انى أرتعد لقرب الساعة التى سألنى فيها ابن الكرماني ، بالله كيف أقباله ؟ أحقا هو بعلى ؟ كلا . . الموت أحب الي من قربه » . ثم قبضت على يد ريحانة بيديها وصاحت : « لا أطلب نجاتي الا على يدك »

قالت : « لا بأس عليك ياسيديتى ، على تدبير كل شيء ، وانما ارجو منك أن تتجلدى ولا تظهرى نفورك منه ، فقد يكون نعم الزوج . ولا يحق لك أن تبغضيه قبل أن تريه ؟ »

فنظرت اليها جنار من طرف عينيها ولبسان حالها يقول : « الا تعلمين ما يكنه فؤادى من حب ابى مسلم ؟ »

فأدركت ريحانة مرادها ، وقالت باسمسة : « ثقى بانك ستنالين بغيتك ، ولكن بالصبر والحرم »

وما لبثتا أن سمعتا صهيل الخيل وضوضاء الناس فاجفلتا معا ، أما ريحانة فتجلدت وقالت : « يظهر أن الفرسان قد رجعوا من المعركة » . ثم خرجت حتى اطلت من باب الخباء وعادت وهى تقول : « ها هو ذا الامير قد أتى على فرسه وهو مخضب بالدماء كما قلت لك ، وسيأتى اليك فلا تجزى »
فقالت : « والضحاك لم يات بعد ، أين هو ؟ . قد تركنا فى ساعة الحاجة اليه »

قالت : « لا تلومى الغائب حتى يحضر »
ثم جاء الخدم من رجال الكرماني يحملون الشموع مغروسة فى اعواد نصبوها فى جوانب الخباء ، فأضاء المكان وجنار لا تستطيع الوقوف من شدة التأثير . فجلست وقد اصطلكت ركبناها ، وإذا بالضوضاء تقترب من الخباء ، ثم سمعت رجلا يتكلم قرب الباب بصوت عال ويقول : « أين خباء عروسنا الدهقانة . . ؟ »

فلما سمعت جنار صوته تحققت انه زوجها فارتمدت فرائصها وازداد اضطرابها ، فتشافت بظهرها تلف به منكبيها ويدها ترتعشان وقد بردتا . فخرجت ريحانة لاستقباله لدى الباب ، وقالت : « اهلا بالامير الجليل ، ان

مولاي الدهقان يوصيك بابتنته خيرا ، ويقول لك انه قد عهد اليك بفلدة كبده
فكن بها رفيقا »

فقال : « لقد اوصى حريصا ، ان الدهقانة تنزل عندنا ارفع منزلة وامر
مكانة » . ومشى الى الغرفة وهو يقول : « واين هي ؟ »

ف قالت : « هي جالسة في حجرتها ، وقد أنهكتها تعب السفر اثناء النهار »
فادرك مرادها وقال : « اني انما اريد راحتها ، وقد احببت لقاءها
للترحيب بها » . ودخل وقد تنسم رائحة الطيب

وكانت جلنار جالسة وقد سمعت قوله فسكن زوعها واطرقت وهي
ترامى دخوله بجوارحها . فلما دخل حجرتها واقبل عليها وراى جمالها اخذت
بجامع قلبه ، ولكنه هابها وقال : « مرحبا بعروسنا لقد اتيت اهلا ونزلت
سهلا ، وصلى ان يكون مقامك عندنا مثل مقامك في بيت ابيك »

فرفت جلنار بصرها اليه لترى وجهه والحياء يغالبا ، فرأت شابا في نحو
الثلاثين من عمره قصير القامة عريض المنكبين توشع بعبادة من الحرير وتقلد
السيف وغرس الخنجر في منطقتيه وعلى راسه عمامة جواه ، وكان مستدير
الوجه واللحية دقيق الشاربين وقد ذهبت احدي عينيه . فلما دنا منها قعد
على البساط امامها ووضع السياف معارضا على حجره وقال : « لا بأس عليك
يا جلنار ، ارجو ان يذهب عنك تعب السفر الليلة ، وان يكون قدومك قال
خير على هذا المعسكر . فقد اتيت والحرب قائمة بيننا وبين صاحب مرو
وعندنا من هذه المعركة ظافرين بحول الله ، فمضى الله ان ياتينا بالفتح على
يديك وببركة قدومك »

وكانت جلنار مطرقة حياء لا تدري بماذا تجيب ، فاجابت ربحانة عنها :
« ذلك ما نرجوه ايها الامير البطل ، فقد قدمنا ونحن نتوقع ان يكون مقامنا
بمدينة مرو ، فمضى الا يكون نزولنا في هذا المعسكر طويلا »

فتحمس على وقال : « لو قدمتم بجيئكم قليلا لنزلتم توا في مرو ، وقد
كانت في قبضتنا فخرجت من ايدينا منذ بضعة ايام . ولكنها ستعود اليينا باذن
الله »

فأدرت جلنار غرض ربحانة من ذلك التعريض ، فقالت والحياء يغالب
منطقها : « لعل قدومنا كان شؤما عليكم ، فكيف تتوقعون ان يكون بركة ..
ولو كان كذلك لما كان نزولنا في غير دار الامارة بمرو ؟ »

فقال : « عفوا ايتها الدهقانة ، ان قدومك بركة وقال حسن . وانا على
يقين من ذلك ، وسترين صدق قولي »

قالت : « انت صادق ، ولكننا علمنا شؤم قدومنا من النبيل التي رايناها
تساقط حولنا منذ اتيت بنا المطايا في هذا الجبل ! »

فازداد على حماسا وأريحية واستسهل كل صعب في سبيل رضاها ، فقال : « انك ستبتئين غدا في دار الإمارة بأذن الله » . قال ذلك ارضاها لها ، ولم يدرك انه قيد نفسه بوعده دون الوصول اليه خרט القتل . فلم تفعل ربحانة عن انتهاز الفرصة ، فنظرت الى مولاتها وهي تظهر الإعجاب بأريحية على وقالت : « ان الأمير يمولاني قد وعد - ووعده عهد - بالابتئين غدا الا في دار الإمارة ! »

فقال على وقد أخذ الهيام منه مأخذا عظيما ، فأثار حماسه وحيته : « نعم لابتئين غدا الا في دار الإمارة » . ثم أدرك تسرعه فأراد أن يحتاط لنفسه فقال : « وإماهدك على اني لا أمتنع بهذا الوجه الجميل الا في تلك الدار » فاطرقت جنان حياء وسكنت . فأجابت ربحانة عنها قائلة : « بورك فيك من شهم حر ، والحر اذا عاهد وفي »

فنهض وهو يقول وقد ثارت النخوة في نفسه : « استودعك الله ، وسترين بلأني غدا ، فأذهبي الآن الى فراشك واستريحي » . وخرج يجز سيفه وراءه فلما توارى ، نظرت ربحانة الى سيدتها وقالت لها بالفارسية : « ما قولك في هذا العهد ؟ »

قالت : « لأبأس به ، ولكني أخاف أن يتمكن من دخول مرو غدا »
قالت : « لا أظنه يستطيع ذلك ، واذا أستطاع كان جديرا بك ، اذ لا يكون لأبي مسلم حينذاك شأن »

فقطعت كلامها وقالت : « لا تقولي هذا ، وانأبا مسلم مكبلا بالأغلال لأحب الى من سواه على عرش كسرى ! »

فقالت ربحانة : « دمي ذلك الى تقدير العزيز الحكيم ، وان غدا لنساظره قريب . ولكن غياب الضحاك قد أقلقني ، وهوانا جاء معنا ليكون في خدمتك . قومي الآن الى الطعام لم نرى مايكون »



جلست جنانا ومعها ربحانة الى المائدة ، ووقف بعض الجوارى في خدمتهما . ثم اذا بخادم قد دخل مهرولا وهو يقول : « الضحاك بالباب » . فتهللت جنانا وعافت الطعام شوقا الى سماع الضحاك ، ولم تكن ربحانة أقل منها رغبة في ذلك لتعلمه على ما وفتقا اليه تلك الليلة ، فقالت للخادم : « ادخله الى الحجرة الوسطى ، واحمل اليه الطعام وقل له ان الدهقانة ستوافيه على مجل »

فلما أنتهيا من طعامهما ذهبتا اليه فوجدته في انتظارهما ، فقالت له جنانا : « اين كنت يا رجل ؟ »

فتأدب في موقفه ويداه في منطقتة وعمامته مائلة على رأسه وقد نبش شمر

لحيته وشاربيه حتى تغمرت سحنته فما تماكنت جلنار عن الضحك ، ثم اجابها بضحكة طويلة . فاشارت اليه ان يقعد وقعدت واقعدت ريحانة بجانبها ، فحشا الضحاك على ركبتيه وقال : « لقد اذنبت بخروحي بلا استئذان ، ولكن العفو اقرب للتقوى »

فقال ريحانة : « كيف تتركنا وحدنا وقد اوصاك الدهقان برعاية مولانا وبالا تفارقها ؟ »

قال : « نعم اخطأت بمخالفتي وصية مولاي الدهقان ، ولكنني اصبت بجسارة مولاتي الدهقانة » . قال ذلك واطرق اطراق الحياء

فقالت : « دعنا من مجونك ، وقل اين كنت ؟ »

قال : « اذا كنت لم تفهمي كلامي فمولاتي الدهقانة قد فهمته » . ونظر الى جلنار وقال : « اليس كذلك ؟ »

فقالت جلنار : « لعلك ذهبت الى ابي مسلم ؟ »

فقهره لم قطع ضحكته بضعة ، وقال لريحانة : « ارايت الفرق بين من يفهم ومن لا يفهم ؟ »

فتناولت جلنار بمنقها نحوه وقالت : « وماذا فعلت ؟ »

قال : « غدا تعلمين ماذا فعلت »

فقالت ريحانة : « قل الآن ، فنقول لك ماذا فعلنا نحن »

قال : « انا اعرف ماذا فعلتما ، لقد اخلفنا العهد على صاحبنا الا يتزوج الا في دار الامارة »

فدهشت جلنار لاطلامه على ذلك والتفتت الى ريحانة لتشاركها في الاستغراب ، فالتفت الضحاك الى ريحانة وقال : « وهل من الغريب ان امرأ امرأ انا فعلته »

فقالت ريحانة : « وكيف ذلك ؟ ونحن انما حملناه على هذا الوعد خطوة خطوة ؟ »

قال : « انا وضعت الاساس وقد فكرت في الامر قبل خروجننا من بيت سيدي الدهقان ، فلما وصلنا كان قصارى همي ان الاقي الامير عليا ، فتركتكما وذهبت الى قرب المعركة حتى اذا عاد الامير على منها بشرته بجيء العروس ثم القيت اليه كلاما اعددت به ذهنه لذلك العهد ! »

فاستغربتا تيقظه وذكاه ، وقالت ريحانة : « ثم الى اين ذهبت ؟ »

قال : « ذهبت الى الامير الآخر » . ورفع بصره الى سقف الخلاء وتظاهر بأنه ينظر الى ما فيه من الرسوم الملونة ولم يضحك . ثم ارسل بصره الى جدران الحجر فابتدرته ريحانة قائلة : « وما الذي فعلته هناك ؟ »

قال : « غدا تعرفينه »

فقالت : « بحياة مولانا افصح واترك المجون »
فنظاهم بالجد ، ووجه خطابه الى جننار قائلا : « بحثت مع أبى مسلم فى الطريق المؤدى الى بقائه وحده فى هذا الميدان »
فقالت جننار : « وكيف ذلك ؟ قل »

فقص عليها ما دار بينه وبين أبى مسلم بايجاز ، وقال : « والحق يقال ان هذا الخراسانى نبیه عاقل ، ولا سيما لانه شهد لى بالذكاء » . وضحك
فقالت ريحانة : « ان ذكائك معلوم عندنا »

قال : « أشكرك على هذا الاطراء ، وآسف لانى نذرت الا اتزوج ! »
فقطعت جننار كلامه وقالت : « اكف من ريحانة ولا تعبت بها »
قال وهو يحك ذقنه : « كأنك تظنينها تكره ذلك ، ولكننى عملا بأمرك قد عفوت عنها ولا سيما لأنها تحبك »

فضحكت جننار وقد سرى منها وخف ما بها ، فلما رأت ريحانة سرور سيدتها شاركتها فيه وشعرت بفضل الضحك عليهما ، فقالت فى نفسها :
« لا ريب ان لهذا الرجل المهدار شأنًا ، وان أمره لعجيب »

ثم التفتت ريحانة الى سيدتها وقالت : « الانذهبين الى الفرائش يامولائى ؟ »
قالت : « نذهب » . ووقفت ، فوقف الضحاك وقال : « وانا ذاهب ، وقد لا انام الليلة ، فاذا طلبتمانى بعد ساعة ولم تجدانى فلا تحسبانى فررت »
قالت جننار : « افعل ما بدا لك ، اننا لانسى لك جيلا تبدله . واذا وفقنا الى ما نريد كان لك ما تطلب ، انصرف اذا شئت »

فخرج ليبيت فى فسطاط الاعوان والحاشية ، وكان الكرمانى وابنه قد استأنسا به عندما اجتمعا به فى غروب ذلك اليوم وأنسا فيه خفة الروح
ولم ينم تلك الليلة حتى علم ان رسول أبى مسلم مر بالمعسكر وقبضوا عليه ، ورأى الكرمانى فى فسطاطه يتلو كتاب أبى مسلم ومعه ابنه على وعثمان وكانا لا يباقران مجلسه وهما عمدته فى حروبه ، وعثمان أصغر من على . فلما تحقق الضحاك نجاح حيلته ذهب لينام

ولما التحم الجيشان فى صباح الغد وقف الضحاك يرصد حركاتهما ، فلما رأى الكرمانى قد قبل مصالحة نصر بن سيار أسرع الى معسكر نصر ملثما وحرش ابن الحرث على ان يثار لايه فجاء وقتل الكرمانى



تركنا ابا مسلم فى معسكره فرحا بما أوتيه من جواز حيلته على الكرمانى .
فلما تفرق عنه التقباء بعد العشاء الى خيامهم ظل هو فى فرقة وحده يعمل

فكرته في اتمام مشروعه للتفريق بين الجيوش المحيطة بمرو . وكان اذا خلا الى نفسه ربيض كالاسد واخذ في تدبير الامور بدهاء ، فاذا مل المجلس وقف وتمشى ذهابا وايابا كأنه عمر كاسر حبس في قفص من حديد وقد جاع فتحفز للوثوب على فريسة قريبة منه . وكان وهو يفكر ، يرى شبح الضحاك نصب عينيه ويتوقع أن يراه قادما اليه بحيلة بظنها الضحاك فتحا جديدا وهي عند أبي مسلم « قديمة » وانما كان يظهر اعجابه بظننته تشجيعا له على خدمة أخرى ، والضحاك يتوهم أن حقيقة مسامحه تخفى على أبي مسلم ، وما علم أن هذا الخراساني يقرأ كل ما يجول في خاطره ويدرك ما سيأتي به اليه أو يشير به عليه ، وانه انما يظهر له استحسانه واعجابه دهاء ومكرا ، وقد أضمر له السوء . فقد كان الناس في ذلك العصر أعداء بعضهم لبعض ، كل منهم يتربص من صاحبه غفلة ليفتاله ، وقد اختلفت العناصر وبأينت المقاصد وصدرت وصية الإمام ابراهيم بقتل كل من يشبهه فيه

وفيما كان أبو مسلم سابحا في عالم خياله ، يتمشى ويبدعه قضيب بلاعبه بين أنامله ، جاءه أحد الخراسي يقول : « أن بالسبب رجلا يطلب المقاتلة » . فادرك أنه الضحاك ، فأذن له فدخل وقد تنكر بقلنسوة من فلانس الفرس فوقها عمامة صغيرة فبدا كأنه من كهنة المجوس . فلما أقبل رحب به وبش له ، ولكن الضحاك قرأ في احمرار عينيه وتغضن جبينه مادله على أهمية الامر الذي يفكر فيه ، فوقف متسادبا فخطبه أبو مسلم قائلا : « اهلا بصديقنا الضحاك »

فأعظم الضحاك هذا التنازل من أبي مسلم وبالغ في التآدب في موقفه ، وقال : « انى لا أستحق هذا الاكرام يا مولاي ، وانما أنا عبدك أرجو رضاك » قال : « ومتى كان العربي عبدا للفارسي »

فوجم الضحاك لحظة ثم قال : « أن المسلمين اخوة ، وانما يتفاضلون بالتقوى والجهاد ، وقد ذهبت الدولة التي تحسب للعرب مزية على غيرهم ، وكان تعصبا للعرب سببا لذهاب سلطانهم . وكيف لا أكون عبدا لبطل خراسان صاحب دعوة الإمام ؟ »

فاستضحك أبو مسلم وقعد ، ثم اشار الى الضحاك فقعده جاثيا على كتفه وقد اطلق وسكت ، فابتدعه أبو مسلم قائلا : « ما ورايك يا ضحاك ؟ » قال : « ما ورائي الا الحير ، وقد جئتكم مهنتا بما أوتيت من الفوز الباهر ولعلى انفذ لك أمرا »

قال : « انما نحن مدينون بهذا الفوز لتدبيرك وسعيك ، واذا تم لنا النصر جعلناك في منصب يليق بأمثالك »

قال : « لا التمس الا رضا مولاي الأمير ، فمرنى بما تشاء »

قال : « قل ما الذى تراه الآن ؟ لقد أعجبني سداد رأيك بالامس »

فاطرق الضحاك هنيهة كأنه يعمل فكرته ، ثم قال : « ألا ترى بعد ان قتل
الكرماني ان تتخلص من ابنه فيخلو لك الجو ؟ »
قال : « وشيبان ؟ »

فضحك الضحاك وقال : « شيبان ؟ وما شان هذا الخارجى . فهو ليس
ممن يحسب لهم حساب ؟ »

قال : « كيف لا وهو صاحب جند وعصية مثل الكرماني »

قال : « اذا قتلت ابن الكرماني ، فأمر شيبان على »

وكان أبو مسلم ينظر اثناء حديثه الى قلنسوة الضحاك وفي نفسه ان يعلم
ما تحتها ، وقد لحظ من وراء حافتها ان رأس الضحاك حليق فأوما بالقضيب
الى القلنسوة وقال : « ومن أتاك بهذا القلنسوة ؟ » . وأظهر انه غمزها
بالقضيب سهوا فسقطت فبان رأسه حليقا . فوثب الضحاك وتضاحك ،
وبادر الى القلنسوة فأعادها الى رأسه وقال : « قد انتظمت في سلك المجوسية
من عهد قريب »

فتجاهل أبو مسلم ما أدركه من رؤية الرأس الحليق ، وتضاحك وقال :
« ان الكهانة خليقة بالفرس وليس بالعرب »

فأصلح الضحاك قلنسوته وقد امتقع لونه من تلك المفاجأة ، ولكنه صدق
ان ابا مسلم انما فعل ذلك سهوا فقال : « ان الرجل يغير زيه للوصول الى
غرضه ، ولو لم البسها ما استطعت بلوغ خيمنتك »

فاظهر أبو مسلم انه صدق قوله ، وقال : « انك لتعجبني بحدك وهزلك ،
فلنعد الى الجد . ما الحيلة اذا أردنا التخلص من ابن الكرماني ؟ »

قال : « ان قتل هذا الرجل سهل وصعب »

قال : « وما معنى ذلك ؟ »

قال : « ألا تذكر يامولاي مجلسنا في منزل دهقان مرو ، اذ قلت لك ان
اظهارك الميل لهذه الفتاة المفتونة سيكون حونا لك على تنفيذ ماريك ؟ »

ففهم أبو مسلم لمليحه ولكنه تجاهل وقال : « نعم أذكر ذلك ولكننى لم
افهم مرادك »

قال : « مرادى ان تتخذها نصيرة لك في خيمة ابن الكرماني وعلى فراشه »

قال : « أترأها تعيننا على قتله ؟ » . قال : « نعم ياسيدى أنا أضمن ذلك
على شرط ! »

قال : « وما هو الشرط ؟ » . قال : « ذلك شرط يسير . ترسل الى هذه
الفتاة علامة تؤكد لها رضاك عنها وان قتل ابن الكرماني يرضيك ، وأنا اثم

الباقي »

قال : « وما هى العلامة التى تعنيها ؟ »

قال : « علامة تعلم انها منك »

فنظر أبو مسلم الى الضحاك نظرة كشف بها أسرار قلبه كما يكشف أصحاب
أشعة رنتجن ما وراء الجوامد ، وقال : « لا أظنها تقنع بغير خاتمي »

قال : « تلك خير علامة تقضى بها الأرب »

فاطرق أبو مسلم كأنه يتردد ، ثم قال : « هل تعلم أهمية هذا الأمر ؟ انى
إذا دفعت اليك خاتمي فكأنني سلمت اليك امرى ؟ »

قال : « أعلم ذلك يا مولاي ، ولو علمت ان الأمر يقضى بدونه لما طلبته »

فنزح أبو مسلم الخاتم من أصبعه ودفعه اليه ، وقال : « هذا هو ، خذه
وامض مسرعا ومد الى به الليلة فاني لا أبيت بدونه »

فوقف الضحاك أجلا لا وتناول الخاتم وقبله ووضع على رأسه وقال : « قد
لا أستطيع مقابلة الدهقانة الليلة فأتيك في الصباح ومعى الخاتم باذن الله » .
قال : « سر في حراسة المولى »

ثم استأنف الكلام وقال : « البت هنا ريشما لمود اليك » . وخرج من
باب سرى في الفرقة ، وظل الضحاك واقفاً وقلبه يطبق سرورا لما استبشر به
من نجاح أمره ، وأصاخ بسمعه لعله يشعر بحركة أو يسمع صوتا يستدل
به على شيء فلم يسمع شيئا . ثم عاد أبو مسلم وقال : « أذهب يا ضحاك
واذا وقعت في خدمتنا كافأناك ، ولكن متى استوفقت من الفتاة فقل لها ألا
تعجل بالأمر بل تنتظر إشارة أخرى ، فهمت ؟ » . قال : « سمعا وطاعة » .
وانصرف



أصبحت جلدان في ذلك اليوم وقد تهيأ الجيشان للنزال ، وهى تخاف أن
ينتصر الكرمانى لأن هذا يمر قل مسلحيها ويخيب آمالها ، فوقفت مع
ماشطتها بحيث ترى المعركة عن بعد فرائت تضعف جند الكرمانى ثم رآته
عاد الى معسكره وكاد ينتصر فخافت ، وأخيرا علمت بما كان من قتله ثم
شاهدت تضعف عسكره وهجوم ابنه على واتحاده مع أبى مسلم فاستغربت
ذلك وأفلت عليها تفسيره ، فعادت الى خباتها مع ريحانة وقد انقبضت
نفسها وقالت لها بالفارسية : « ما الذى أراه يا ريحانة ، أبو مسلم ينصر
صاحبنا ؟ »

قالت : « لا يغرنك ما تشاهدهينه فانها حيلة من أبى مسلم ، ومتى جاء
الضحاك يفسر لنا كل شيء »

ولما غربت الشمس ولم يكن الضحاك قد جاء بعد ، انقبضت نفس جلدان

ولم تستطع طعاما ولا شرابا ، وريحانة تخفف عنها وتمنيها بالمواعيد . ثم سمعتا قرقة اللجم وصهيل الأفراس بباب الخباء ، فاجفلتا وعلمتا أن عليا قادم برجاله فمكنتا صامتتين ، وإذا بباب الخباء انفتح ودخل على وثيابه ملطخة بالدماء وقد أخذ الغضب منه مأخذا عظيما . فخافت جنسار من منظره ولم تعلم بماذا تخاطبه وهو على هذه الحال وقد قتل أبوه ، فلبثت صامتا . أما ريحانة فتجلدت واستقبلت عليا ، وقالت : « أحسن الله عزاء الأمير ، أن من يقتل في ساحة الوفي ويخلف مثلك لايوت ، وانك لأخذ بشاره »

فأجبه قولها فسرى عنه ، والتفت الى جنسار وقال : « لنا بقاء عروشنا الدهقانة أكبر عزاء وسوف أثار لأبى من أولئك الأنذال ، وما هى الا أن تطلع الشمس ونعود الى القتال فلا تغرب الا ونحن في دار الإمارة بأذن الله » . قال ذلك وهو يصلح من شأن خوذته على رأسه وابتسم وأشار الى جنسار أن تجلس فجلست صامتا - والقلوب اذا لم تفاهم عجزت الألسنة عن الكلام . فحمل سكوتها على محمل الحياء فعذرهما واكتفى بما سمعه من ريحانة ، ولكن جنسار لم يسمعها عند سماع ما قاله الا أن تجيبه قائلة : « ان العزاء بقاء مولاى الأمير ، حفظه المولى وأمانه على الأخذ بالثأر »

فلما سمع قولها انشرح صدره ، وقال : « انى سائر لأبى وسترين وتسرين » . ثم صفق فجاوته قيمة الخباء فأمرها أن تقوم على خدمة الدهقانة أحسن قيام . ثم خرج للاهتمام بأمر الجيش والاستعداد للقتال في الغد

فلما خرج ظلت الدهقانة صامتا وقد أخذتها شفقة على ذلك الشاب لما تضمره له من الشر ، ثم خافت أن يميل قلبها اليه فاستحضرت صورة أبى مسلم في ذهنها ، فذهب منه رسم على وهاجت مواطنها . فلما خلت بريحانة قالت : « متى يأتى الضحاك لنسأله عما حدث اليوم ؟ »

قالت ريحانة : « لا يلبث أن يأتى ، وقد أوصانا بالامس الا نستبطله اذا غاب »

قالت : « ان لهذا الرجل لشأننا ، فقد جاء ليكون فى خدمتى وأراه يقضى أكثر وقته خارجا »

فقالت ريحانة : « اذا غاب يامولاي فأما يغيب فى خدمتك أيضا ، هكذا فعل بالامس فلا تلومى الغائب حتى يحضر »

فأجابت جنسار قائلة : « انى والحق يقال لم أر مثل اخلاص هذا الرجل فى خدمتنا ، والغريب أنه عربى لم يستنكف أن يكون من موالينا »

قالت ريحانة : « ان العرب ليسوا الآن كما كانوا من قبل ، فقد انحلت عصبيتهم وانقسموا فيما بينهم ودالت دولتهم . . الا تذهبين لتتساول الطعام ؟ »

فنهضت جليار ومشت وهى تقول : « نذهب الى المائدة ريشما يعود ذلك المهذار »

فمشت ربحانة فى اثرها وهى تتمتع قائلة : « لا اظنه مهذارا »

وبعد أن تناولتا الطعام قضتا برهة يتحدثان ، وكلما سمعتا وقع اقدام فلثنا الضحاك قادما حتى طال انتظارهما وغلب عليهما النعاس . فذهبت جليار الى الفراش ، وظلت ربحانة جالسة بين يديها والنعاس يغالبا والقلق ينهبها . فانقضى هزيع من الليل ونام اهل المعسكر وساد السكون وسكت القضاصون والقراء ولم يات الضحاك بعد

وبينا هى فى سهوة من سهوات النعاس سمعت ضحكة الضحاك فدمرت وفتحت عينها فاذا هو واقف بازاء عمود الجبساء وكانهما عمودان . فهمت بأن تصبح به وخافت أن توقف سيدتها وترميها فافتريت منه وقالت بصوت منخفض : « ساحك الله على هذا الغياب »

فبشى وهو يشير اليها أن تتبعه فتبعته حتى خرجا من الغرفة الى غرفة اخرى ليس فيها نور ، وكانت رجلاها تتناقلان ، فمد يديه وامسك بيدها وشدها وهو يقول : « لا تخافى ، لا بأس عليك »

قالت : « دعنى احل اليك السراج لأرى وجهك وأسمع حديثك »

فضحك وقال : « ما اشد شوقك لرؤية هذا الوجه ا هاتى السراج »

فذهبت تمشى على رؤوس اصابعها حتى حلت السراج من فرفة جليار وجاءت به ووضعت به جانب العمود وجلست . فجلس الضحاك وكان قد أبدل بالقلنسوة العمامة التى يعرفه بها اهل المعسكر ، فابتدرته قائلة : « لقد اطلت الغياب الليلة ، ومولاتى الدهقانة نامت منقبضة النفس على اثر ما رآته من نصرة أبى مسلم لجند الكرمانى »

فقطع الضحاك كلامها وقال : « ألم يقتل الكرمانى ؟ تلك عاقبة انتصاره له . . واذا طالت نصرته لهذا البيت أجهز على أهله واحدا بعد واحد »

فلم تفهم ربحانة قوله ، فقالت : « بالله لا تكلمنى بالانصار »

قال : « قبحك الله ما اغلظ فهمك ا . ما تقرب هذا الخراسانى من قوم الا ابادهم فى سبيل مطامعه . فقد تظاهر بنصرة الكرمانى حتى يستعين به على صاحب مرو ، ولم يكن يقصد سرعة قتله ولكن الاقدار عجبت بذلك »

قالت : « ان مولانا الدهقانة فى قلق شديد لغيابك بعد علمها بمقتل الكرمانى ، فهل أوقفها لسماع حديثك ؟ »

قال : « سأوقفها بعد قليل وانما أريد أن اسر اليك أمرا أرجوان تساعدنى فيه خدمة لمولانا »

قالت : « وماذا تريد ؟ »

قال : « ان مقتل الكرمانى انما كان بمسعى انا توطئة لمقتل ابنه ليرضى عنا أبو مسلم قتل مولانا ما تمناه ! »

قالت : « انت سميت فى قتل الكرمانى ؟ لله ما اقدرك ! والآن تريد ان تقتل ابنه ؟ . كيف تستطيع ذلك ؟ »

فضحك وقال : « لا أستطيع ذلك الا بك »

فدهشت وقالت : « لعل من اهل السيف ولست أدري ؟ ! »

قال : « ليس الفوز بكثرة الجند يا ريحانة وانما ينال المرء مراده بالدهاء والصبر . وأنا الآن أت من عند أبى مسلم وقد وعده بقتل ابن الكرمانى ، وأصبح يتوقع ذلك منا بعد ان حدثته فى شأن مولانا الدهقانة معه ، وأنها ستكون عوناً له على نجاح مهمته . وليس من شيء يسهل عليه المهمة مثل قتل آل الكرمانى ليستأثر بالسلطة من دون بقية العرب »

فأجفلت ريحانة من هول طلبه ، وسكتت ولم تحر جواباً

فلما رآها ساكنة وقف وقال : « دعينى اذهب الى مولائى جنسار فانها أعلم منك بأهمية هذا الطلب »

فوقفت تقول : « لا اظن الدهقانة ترى قتل رجل يتفانى فى جها بلا ذنب اقترفه ، ولا هى اعتادت القتل . أمكت هنا ريثما أوقظها ثم ادعوك . وتركته ومضت لم عادت ونادته ، فتبعها والسراج بيدها حتى دخلت غرفة جنسار ، وكانت قد جلست فى الفراش والتفت بالمطرف ، فدخل ووقف متادباً ، فأمرته بالجلوس فجلس على طنفسة صغيرة عليها رسوم فارسية ملونة ، وجعل ركبته تحته . . وهى جلسة التادب عندهم

فلما استتب به المقام ، قالت جنسار : « لقد أزعجنى غيابك وانت تعلم ان أبى انما امر بمجيئك لتكون معى لأنى لم أزل اعد نفسى غريبة بين هؤلاء القوم ، ولكنك منذ أتينا هذا المسكر لا تمكث الا قليلاً وتتركنا على أحر من الجمر . فى انتظارك » . فاطرق الضحك ولم يجب ، فاستأنفت جنسار الكلام وكأنها استدركت أمرها فقالت : « لا أنكر أنك لا تضيف الا فى مهمة تهمنى ، وأنتك من أشد الناس غيرة على وسميا فى راحتى ، ولكنك أفلقتنى اليوم حتى كادت ترهق روحي »

فاتسم الضحك معتسداً ، وقال فى هدوء ووزانة واحترام : « يسوءنى بامولائى أن أسبب لك قلقاً ، وأقسم برأس مولائى الدهقان انى انما غبت فى خدمتك ، ومتى عرفت من أين أنا أت الآن عذرتنى ! »

قالت : « من أين ؟ » . فالتفت الى ريحانة كأنه يستشهرسدها وقال : « قصصت بعض حديثى على ريحانة أثناء رقادك ولا بأس من الإعادة ، أثبت

الآن من معسكر الخراسانيين بعد حديث مع الأمير أبي مسلم « قلنا سمعت اسم الأمير أبي مسلم بدأ الاحرار في وجهها وتجلت علامات الحب في عينيها وغلب عليها الحياء ، فاطرقت ثم قالت : « وماذا جرى ؟ » قال : « لم يحدث شيء بعد ، واخاف ألا يحدث شيء فيذهب سعينا هدرًا ! »

قالت وقد أوجست خوفًا من هذا التلميح : « ما الذي تخافه ؟ » قال وهو يخفض صوته : « أخاف أن ينقلب سعينا علينا ، فنحن انما ركبنا هذا المركب الخشن وحلنا دهقانة مرو إلى خيمة هذا الرجل ، وحلناها ما حلناها من المشقة وعرضناها للخطر ، كل ذلك لكي نصل إلى ما نبتغيه من قائد جنود الخراسانيين ، وقد فهمت من كلام ريحانة الآن ان أمرنا صائر إلى غير المراد ! »

فالتفتت إلى ريحانة وفي عينيها امارات الاستفهام ، فاجابتها هذه بنظرة الاستغراب . فقال الضحاك : « لا تستغربى يا مولاتى فانى افصح لك من مرادى بعبارة وجيزة . قد رايت اليوم ما كان من نصرة أبي مسلم لابن الكرمانى ، ولا اظنك تجهلين معنى هذه النصرة ، فابو مسلم لم ينصر عدوه هذا الا احتيالا حتى يتمكن من الفوز عليه في شيئين مهمين : الاول انت وهو الأهم عنده ، والثانى فتح مرو . وكذلك لا يفرتك ما يديه ابن الكرمانى من مداهنة أبي مسلم ، فهو انما يسايره لكي يحقق غرضه فيتزوج الدهقانة ويفتح مرو ، وكل من الأميرين لا ينال أربه الا بقتل صاحبه لينفرد بالفيثميتين . فابن الكرمانى يهيىء الوسيلة لقتل أبي مسلم ، وهذا يهيئها لقتل ابن الكرمانى . وترجيح الفوز لاحدهما راجع إليك ! »

فاستغربت جنار هذا التفصيل ، وادركت بعض مراد الضحاك ، وأشكل عليها البعض الآخر فقالت : « وما علاقتى بذلك ؟ »

فقال وهو يبالغ في خفض صوته وجنار تتطاوّل بعنفها نحوه : « ان ابن الكرمانى يتربص فظة من أبي مسلم ليفتاله ، ومن يدري متى يتأتى له ذلك ، وقد أراد أبو مسلم ان يسبقه فيقتله ، ولكن ريحانة تابى ذلك فأرجو الا يكون رأيك من رأيها »

فقالت : « هل ترضى ريحانة بفوز ابن الكرمانى ؟ لا اظن »

قال : « لم تقل ذلك صريحا ، ولكننى ذكرت لها وسيلة تسهل قتل هذا الرجل وتجمعك بأبى مسلم ففرقت مسامى »

فقطعت ريحانة كلامه ، ووجهت خطابها إلى جنار قائلة : « ليس الامر كذلك يا مولاتى ، ولكنه جاءنى برأى لا اظنك ترضين به ! »

فابتدتها الضحاك قائلا : « الا ترضى مولاتنا بقتل هذا الرجل واستقلالها بأبى مسلم ؟ »

قالت ربحانة : « ولكنك تريد أن يكون قتله على يدها »
فلما سمعت جنار قولها بدا الارتباك في وجهها ، ونظرت الى الضحاك
فراثة يصعد كتفيه ويقلب شفتيه ولسان حاله يقول : « ذلك لا يعني »
فقالت جنار : « احقا انت تعنى ذلك ؟ . أم يردنى أن أقتل هذا الرجل ؟
وكيف أقتله وهو لم يسيء الى ؟ »

قال : « تفعلين ما تشائين ، يبدو انك الفت الإقامة هنا ونسيت وعدك »
قالت : « لم أنس وعدى ولا غيرت عزمى ، وأنت تعلم ذلك »
فمد يده الى جيبه وأخرج الخاتم ودفعه اليها ، وقال : « هل تعرفين
صاحب هذا الخاتم ؟ »

فتناولته وحدقت فيه على ضوء السراج ، فاذا عليه اسم أبى مسلم . .
فاختلج قلبها في صدرها وهاجت عواطفها ونسجت منه رائحة حبيبها ،
ونظرت الى الضحاك وقالت : « هذا خاتمى ، ما الذى جاء به اليك ؟ »
قال : « لم أسرقه ، ولكن صاحبه دفعه الى دليلا على صدق رسالتى
فهو تصدقين ما أقول ؟ »

قالت : « وهل كذبتك فى شيء قبل الآن ؟ » . قال : « كلا »

قالت : « وما الذى يعنىك به الى ؟ »

قال : « قصصت عليك غرضه ، وخلاصة ذلك اننا ان لم نقتل صاحب
هذه الخيمة فسيقتل هو صاحب هذا الخاتم . فان أحدهما سيقتل الآخر
لا محالة ، فاذا ترددنا فى مقتل هذا فكأننا سعيينا فى قتل ذاك . ولا سبيل
الى ذلك الا بك ، فاخترى أحد الأمرين »

فأدركت جنار غرضه فاعظمت الطلب ، ولكنها أعظمت أن تعرض حبيبها
للخطر وهي تعتقد أنه يحبها وفى قتله ذهاب كل آمالها ، فلبثت حائرة ،
واستولى السكوت على الجميع . ثم فتحت جنار فاهها وقالت : « قد
أوقعتنى فى حيرة لا أعرف كيف أنجو منها ، أما أقتل فلا طاقة لى به ولكننى
أبدل جهدى فى منح الأذى عن ذاك »

فضحك وقال : « تمنعيني الأذى ؟ افعلنى ما بدا لك فليس على تبعه
ما يحدث من عاقبة هذا التردد »

فخافت تهديده وزادت حيرة وعادت الى صمتها فقال الضحاك : « كيف
تمنعين الأذى وأنت محبوسة فى هذه الخيمة لا تستطيعين مبارحتها الا بقتل
صاحبها ، وإذا لم نجعل بقتله سقنا هو الى قتل صاحبنا . . فنندم حين
لا ينفعنا الندم . . على أنك أنت صاحبة الشأن ونحن طوع أمرك ، والخسارة
انما تعود عليك فافعلنى ما تشائين »

فقالت : « أقتله يبدى ؟ بالله كيف أستطيع ذلك . . تبصر فى الامر

يا ضحكك ، وقل ماذا كنت تفعل لو كنت في موضعي ؟ »
قال : « لو كنت في مكانك لتضيت الأمر بشرية من ماء أو لقمة من طعام ! »
فأطرقته هنيهة ثم قالت : « لا ، لا أقدر على ذلك ، ولكنني أبلد جهدي
في منع الأذى عن .. وإذا استطعت المساعدة في .. » . وسكتت ثم قالت :
« دعني أتدبر المسألة »

فنهض الضحكاء وقد رجح عنده أنه سيقنع جنار في جلسة أخرى ،
وقال : « أرجى لي الخاتم لأرجعه إلى صاحبه .. وأنا على يقين أنك ستعودين
إلى رأيي »

فقالت : « وهل ترجعه إليه الليلة ؟ »

قال : « لا بد من ذلك ، فقد أعطانيه على هذا الشرط »
فتشاقلت جنار في دفع الخاتم إليه لأنها استأنست به وتنسجت منه ربح
حبيبها ، ثم فطنت إلى تشاقلها والضحك واقف في انتظارها ، فدفعته إليه
رغم إرادتها ، فتناوله وخرج .. وترك الدهقانة وماشطتها في بحور من
الهواجس



سار الضحكاء مسرعاً حتى خرج من المعسكر ، وقد انتصف الليل وأطل
القمر من وراء الجبال . فمضى مسرعاً إلى مكان نزع فيه جبنه وغير قيافته
وحل صدامته وتعمم بطريقة خاصة ، ومشط لحيته وشد منطقتة إلى وسطه
وأصلح من شأنه حتى ذهبت عنه هيئة المجون ، وولى وجهه نحو معسكر
شيبان الخارجى

وكان معسكر الخوارج وراء معسكر الكرمانى في منبسط من الأرض ،
والخوارج يسعون إلى نزع السلطة من كل مسلم ، ويرون أن الحكم لله وحده -
يقولون ذلك ويطلبون السلطة لأنفسهم ، ففرضهم فرض جميع طلاب الخلافه
في ذلك العهد وإن اختلفت الأسباب . وكان زعيمهم شيبان قد جاء برجاله
وحاصروا مرو قبل مجيء أبى مسلم ، ثم جاء الكرمانى فتنازعا على مرو
وكان نصر بن سيار صاحب مرو من أهل الدهله والحرم ، فكان إذا
خاف أحد العدوين استعان عليه بالعدو الآخر فلم يستطع أحد منهما أن
يتغلب عليه

وأما الضحكاء فكان من أمراء الخوارج ، شديد التمسك بمذهبهم . فلما
تحقق امتناع مرو على أصحابه وعلم ما كان من سعى الكرمانى في تزويج
ابنه من ابنة دهقان مرو، رأى أن يحتال في قتل الكرمانى غيلة ، وخطر له أن
يتنكر ويدخل في خدمة الدهقان ويحبب نفسه إلى الدهقانة حتى تستأنس

به ، ويكون في جلة من يحمل معها من الخدم والعبيد الى بيت زوجها ، فيتقرب من الكرمانى وينتهر فرصة غفلة منه ويقتله ، فيشتد لزر الخوارج وينفردوا بغزو مرو فتم لهم النصر . فاحتال حتى يسع الدهقان فيمن يسع له من الاسرى ، ويلد جهده للتقرب من الدهقانة بوساطة ريحانة بما كان يديه من المحون وخفة الظل حتى وثقت به كل الوثوق وصارت تعهد بأسرارها اليه . وكان يحرض ريحانة على تحبيب ابن الكرمانى الى سيدتها

وبينما هو يسعى في ذلك جاء أبو مسلم الى الدهقان ونزل عنده ، فاطلع الضحاك على مقاصده وعرف قوته فاعمل فكره في تدبير الحيلة ، ثم عهدت اليه ريحانة في السعى لدى أبى مسلم لتزويج الدهقانة به ، فرأى أن يستعين بأبى مسلم على قتل الكرمانى وابنه على يد جنار . فحسن له التظاهر بحبها ونقل اليها خبر رضاه بها من تلقاء نفسه . وأراد أن يستخدم الدهقانة لقتل الكرمانى وابنه وغيرهما إذا اقتضت الحال . ثم يتمكن من قتل أبى مسلم إذا ساعدته الأحوال ، والا فيكتفى بقتل ابن الكرمانى ليبقى اليمينية بلا أمير فيحضمهم على الاتحاد مع شيبان فينفرد أبو مسلم برجاله الخراسانيين وهم قليلون ، فيقلب الخوارج ويفتحون مرو ويتم لهم ما كانوا يأملونه من اخراج بنى أمية من خراسان والاستقلال بها

فلما جاء أبو مسلم الى مرو ، وعلم الضحاك ألا بد له من الاستعانة بالكرمانى على شيبان ونصر ، تظاهر بأنه على رأيه وأشار عليه بالتفريق بين الأميرين وزعم أنه استنبط هذا الرأى ليكتسب ثقة أبى مسلم ، توصلا الى اغرائه بقتل ابن الكرمانى على يد جنار ، وكان في خلال اقامته عند دهقان مرو ، وبعد قدومه الى معسكر الكرمانى ، يتردد سرا على معسكر الخوارج ويطلع شيبان على ما يدبر . ولذلك ظل شيبان بعد قدوم أبى مسلم الى مرو هادئا لا يحارب عملا بمشورة الضحاك ، فاما أن يتحارب أبو مسلم والكرمانى فيقضى أحدهما على الآخر فيخلو الجو لشيبان ، وأما أن يحتال الضحاك في قتل ابن الكرمانى

وكان الضحاك قد تواطأ مع شيبان في الليلة الماضية على أن يذهب الى أبى مسلم فيحرضه على قتل ابن الكرمانى على يد جنار ، فإذا تآلى له ذلك بعث دعاة الخوارج الى اليمينية من رجال الكرمانى يحرضونهم على الاتحاد معهم لأنهم عرب مثلهم ، ويطلعونهم على حيلة أبى مسلم في التفريق بينهم بالكتب التى أرسلها اليهم مع الرسول . وكان شيبان عازما على مهاجمة مرو في صباح الغد ، حالما يعلم بقتل ابن الكرمانى . فبعث أمزاه في المعسكر يستحثون الرجال على التأهب ، وأمر القصاصين أن يتلوا على الجيش أقوال عنبرة وغيره من اشعار الجاهليين في الحماسة والفخر ، استنهاضا للهمم وبحريضا للجند ، على عادة العرب في حروبهم حينذاك

القصاص ورفيقه

جلس شيبان في خيمته ينتظر قدوم الضحك ، فلما أبطل في قدومه عليه وقد مضى هزيع من الليل ، ضجر وخاف أن يغلب التعاس عليه وعلى أمرائه الساهرين معه . فأمر بعض غلمانه أن يأتيه بقصاص يتلو عليه بعض الأشعار أو القصص للتسلية . فذهب الغلام ثم عاد يقول أنه سمع قصاصاً ينشد اشعاراً حماسية بصوت رخييم ويضرب على الطنبور بأشجي الانغام فقال : « وأين هو ؟ »

قال : « بالقرب من فسطاط الأمير »

فأصاخ شيبان بسمعه ، فسمع نشيدا مطربا يدوي في ذلك الليل الهاديء تتخلله أنغام الطنبور ، فأمر القلام أن يأتي به ، فخرج الغلام ثم عاد ووراءه شيخ طالعن في السن طويل القامة عريض المنكبين ، عليه عمامة صغيرة ، واسع الصدر ، أبيض الشعر وقد قطت لحيته معظم صدره ، وعليه عباءة حمراء قصيرة ويده طنبور يضرب عليه بخفة ومهارة ، ومعه رجل قصير القامة على رأسه عمامة كبيرة لها زائدتان عريضتان احدهما مرسلة الى الوراء والاخرى مدلاة على جبينه فوق عينيه كأنه يشكو رمدا فبدا مغمض العينين ، اذا مشى تعلق برفيقه القصاص يلتمس الطريق في أثره ، ويده دَف صغير ينقر عليه تقرا جيلا

وكان شيبان في خيمة كبيرة قائمة على عدة أعمدة ، في أرضها بساط كبير قد جلس هو في صدره على وسادة ، وبين يديه بضعة أمراء من خاصته . فلما رأى القصاص داخلا أمره بالجلوس والإنشاد وأجلس رفيقه ، فبدا هذا بالنقر على الدف تقرا محكما ، وأخذ القصاص في الإنشاد بما يطرب الجماد . فأنشد بعض أشعار عنتره ، ثم أمره شيبان بأن ينشد أشعار غيره من الجاهليين ، فتلا أقوال زهير وطرفة وغيرهما وهو يضرب على الطنبور بما يحرك العواطف الحماسية ، وكلما قال يتأحاسيا حاج الأمراء وتحمسوا واستعادوه . وطلب اليه بعضهم أن يقص عليهم قصص حرب البسوس ، ويوم ذي قار الذي انتصف فيه العرب من العجم ، وغيرهما من أيام الجاهلية المشهورة ، فأجابهم الى كل ما طلبوه سواء أكان قصة أم شعرا أم ضربا على الطنبور ، بينما رفيقه ينقر على الدف تقرا حسنا ، ويساعده بالإنشاد وهو مطرق من ألم عينيه . فطرب الجميع ونسوا ما كانوا فيه من ملل الانتظار ، وتجمع

رجال الحاشية والخدم في الخيمة وحولها حتى تكاثروا واختلطوا
وبيناهم في تلك الضوضاء ، دخل غلام تخطي رقاب الناس حتى وقف
بين يدي شيبان وأسر إليه قولا . فأشار شيبان إشارة تحرك لها كل من في
المجلس من الأمراء والحاشية ووقفوا وعلت ضوضاؤهم وهموا بالخروج .
فوقف القصاص وأمسك به رفيقه وأرادا الخروج مع الخارجين ، فجاءهما
غلام وأومأ إليهما أن يذهبا إلى خيمة الحاشية بجوار الفسطاط . فخرج
القصاص ورفيقه ممسك بطرف ثوبه ، فرأى في طريقه رجلا طويلا دخل
الفسطاط فتنحى له الناس واستقبله شيبان بالترحاب وأجلسه إلى جانبه ،
وهو يقول : « أهلا بالأمير شبيب »

ولم تمض بضعة دقائق حتى خرج الناس من الفسطاط إلا الأمير شيبان
والأمير شبيب وبضعة أمراء آخرين . واتجه سائر الحاشية والأعوان إلى
خيمة بالقرب من الفسطاط . وأراد القصاص أن ينصرف فأمسكه بعض
الخدم ، وأمره أن يدخل الخيمة وينشد لبعض رجال الحاشية هناك ، فدخل
مع رفيقه وأخذ في الإنشاد والضرب والنقر . فبعث الأمير شيبان إليهم أن
يسكتوا لئلا يشوشوا عليهم حديثهم ، على أن يستبقوا القصاص إلى ما بعد
الفراغ من الحديث ، ففعلوا

فلما خلا شيبان بشبيب ومن ظل في الفسطاط من خاصته ، انطلق لسانه
بالتزحاج وهش له واستدناه حتى تماسرت ركبتهما وشيبان يقول : « بورك
في الأمير شبيب ، أرجو أن تكون قد أفلحت فأن لنا الظهور »
فقال : « النجاح لا ريب فيه باذن الله وبركة الأمير شيبان » . قال ذلك
وأخرج خاتما دفعه إليه

فدهش شيبان وتناول الخاتم ولفرس فيه ، فلما عرفه تبسم والتفت إلى
أمير بجانبه وقال : « هذا خاتم الشاب الخراساني ، فما قولكم فيمن يمكن من
الحصول عليه ؟ »

فأجاب أحد الأمراء قائلا : « وماذا نبتغنا خاتمه وهو معسكر أماننا ، وقد
اتحد مع هؤلاء اليمنية وقبض على زمام أميرهم ابن الكرمانى بعد أن قتل أباه ،
فإذا اتحدا على صاحب مروغلباه ولا فائدة من مقامنا هنا »

فضحك شبيب ، ووجه خطابه إلى الأمير شيبان وهو يتربع في مجلسه
ويده اليمنى على ركة شيبان واليسرى يحك بها ذقنه ، وقال : « لم أخط
خطوة إلا وأنا حاسب لها حسابا وأظننى أحسنت التدبير ، وسأبدى لكم رأيي
ولكم أن تغفروا فيه » . ثم التفت يمينا ويسارا كأنه يستوثق من خلو المكان
من الغريباء ، فابتدره شيبان قائلا : « تكلم فاننا في مأمن من العيون ، وليس
حولنا أحد نخافه على أفشاء سرنا »

فقال شبيب : « لا يهمنى أمر هذا الخاتم إلا بقدر ما نستطيع أن نقتل به ابن

الكرمانى اليوم أو غدا »

فقال شيبان متعجبا : « اليوم ؟ »

قال : « قد كنت أتوقع قتله الليلة ، ولكنه في حال لا يبقى بها الى ما بعد الغد »

فقال احد الامراء : « وكيف نقتله وهو محاط بالحراس والخدم ؟ »

فاعترضه شيبان قائلا : « نقتله بالدهاء والدكاء . وإذا كنتم تعرفون دهاء الامير شبيب فلا تستغربوا ذلك منه » . ثم التفت الى شبيب كأنه يلتمس منه اتمام الحديث فقال شبيب : « اذا قتل ابن الكرمانى فان رجاله يكونون معنا على أبى مسلم ، لأنهم حرب يمنيون مثلنا يكرهون عرب خراسان ومضر مرو ، ولا يجمع كلمتهم الآن الا أميرهم ابن الكرمانى ، فعنى قتل فعلى (وأشار بأصبعه الى صدره) ان اجمع كلمتهم تحت قدم الامير شيبان ، ومتى فعلنا ذلك تكاتفنا على قتل أبى مسلم وتشتيت جمعه ، ولا ريب ان نصرا صاحب مرو يساعدنا في ذلك او يلزم الحياء »

فقطع شيبان الحديث وقال : « بل يساعدنا لانه بعث الى في صباح هذا اليوم يطلب محالفتى »

فقال شبيب : « ولو لم يطلب هو نصرتنا لطلبنا نصرته ، وانما الغرض الاول ان نتخلص من ابن الكرمانى ، ولا تحسبن التخلص منه هينا ، بل هو يستحيل على سواى ، ولذلك حديث يطول شرحه ، والامير شيبان يعرف معظمه . فامن شيبان على كلامه . فقال شبيب موجه خطابه الى شيبان : « لقد كدت ازهدى روحها قبل ان اصل الى غرضى ، فقد جعلت هذه الفتاة المفتونة بحب ذلك الخراسانى تعتقد انه مفتون بها وانه لاسبيل لها اليه الا بقتل زوجها ابن الكرمانى . ولاشك انه اكثر هياما بحب الفتاة منها بحب أبى مسلم ، وآمل ان يهلكهم الحب جميعا . . وقد بذلت جهدى في تحريضها على قتل ابن الكرمانى بالسب أو ما الى ذلك ارضاء لحبيبها . وهو في الواقع لا يحبها ، ولكنه مالانى على اظهار الحب تنفيذا لقرضه كما خدمته انا باظهار التفانى في سبيل دعوته لتنفيذ غرضى ، وهو يحسب انه يخادمنى ويسايرنى ويظننى مخدوعا مغرورا وهو المخدوع المغرور . والغلاصة انى غررت به حتى دفع الى خاتمه علامة منه لتلك الدهقانة على انه يحبها ، ويريد منها ان تفتك بخطيبها . وقد آمنت منها ابا ، ولكنى ساعيد الكرة في الغد بحيث لا ينقضى الا وقد نفذت الحيلة »

فظهرت امارات الامجاب على وجوه السامعين ، وهم يتناولون بأعناقهم نحوه ويراعون حركات شفثيه وعينيه لاستيعاب أقواله . ثم أطرق وبسكت ، كأنه يفكر في أمر خطر له فسكتوا فجأة يتوقعون منه قولا ، فاذا هو يقطب حاجبيه ويرفهمهما كما يفعل الخائر ثم التفت الى شيبان وقال : « بقى امر لابد من الرجوع فيه اليكم »

فتوجهت أنظارهم اليه ، وقال شيبان : « وما الذي تريده ؟ »
قال : « لابد لنا من تمهيد السبيل لجمع كلمة هؤلاء اليمنية معا ، بحيث اذا
قتل أميرهم انحازوا إلينا وتم الأمر لنا »

فقال شيبان : « وهل تفعل ذلك قبل مقتل الرجل أو بعده ؟ »
قال : « يجب أن تمهد السبيل خوفا من الفشل ، وأرى أن يكون ذلك بمخاطبة
كبار الأمراء سرا . ولولا اشتغالي بما هواهم من ذلك لما كلفني تبغيض أبي مسلم
إلى اليمنية أكثر من اطلاعهم على حيلته في القاء الفتنة بينهم وبين المضرية ،
وهو الرأي الذي كنت عرضته عليه يوم وصوله كما تعلمون . فاذا اطلعوا
على هذا السر مع ما في قلوبهم من الكره الطبيعي للفرس اتحدوا معنا لاحتالة ،
فما قولكم ؟ »

فصاحوا بصوت واحد : « هذا هو الرأي الأعلى »
فوقف شبيب وهو يتوكأ على كتف الأمير شيبان ، وقال : « دعوني اذهب
الآن »

فقال شيبان : « إلى أين ؟ » . قال : « إلى أبي مسلم »
قال : « إلى أبي مسلم ؟ ولماذا ؟ »
قال : « لأعبد إليه خاتمه فقد فارقتة على ذلك ، فيجب أن أصدقه الوعد
لتتم الحيلة ، ولكي أستعمله ريثما أقتل ذلك المفرور » . قال ذلك ووقف ،
فوقف بقية الأمراء ، ثم خرج مسرعا لا يلوي على شيء ، وتركهم وكلهم معجب
بتدبيره ودهائه ، ولبثوا هنيهة يتشاورون وقد أنشروا صدورهم وأطمأنوا
قلوبهم وأيقنوا بالنجاح . وبدأ لهم أن يعودوا إلى سماع القصص وموسيقاه ،
فصفق الأمير شيبان فدخل أحد الفلمان فقال له : « إلى بالقصص » .
فخرج الغلام ثم عاد يقول : « لم أجد القصص ورفيقه يامولاي . . وأظنهما
ذهبا إلى الرقاد لأنني رايتهما وقد أستولى عليهما نعاس شديد حتى ناما
والناس جلوس في خيمة الخاصة ، فتركوهما نالحين وخرجوا ، فذهبت إليهما
الآن فلم أجدهما »

قال : « لا أظنهما ينصرفان قبل أن يأخذوا مكافأة ، ابحث عنهما جيدا حول
هذه الفساطيط فقد أطربانا وحق علينا إكرامهما »

فخرج الغلام وعاد ولم يعثر عليهما ، فأسف الأمير لذهابهما وأوصى الغلام
بأن يتحرى شأنهما في الغد لتلايتهما بالخل . وانفض المجلس وذهب الأمراء
إلى مضاجعهم ، وظل الأمير شيبان وحده يدبر وسائل الاتصال بالأمراء
اليمنية في الغد

أما شبيب فإنه لما بعد عن معسكر الخوارج ، اختلى لتبدل ثيابه ، فعاد إلى
مأكان فيه من مظهر المجون ، ثم سار توا إلى معسكر أبي مسلم . فوصل إلى

المسكر وقد انقضى معظم الليل ، وأقبل على المنزل الذي ترك أبا مسلم فيه ولم يستغرب أن يحده مستيقظا الى تلك الساعة لعلمه بما هو عليه من السهر على شؤونه واليقظة لتنفيذها . فلما وقف بالباب دخل به الخارس على أبي مسلم ، فاذا به لا يزال بلباس النهار ، فاحتفل به وبش له وناداه قائلا : « أهلا بالضحاك ، عسى أن تكون قد وفيت بالعهد »

فمد الضحاك يده وتقدم الى أبي مسلم باحترام واغاثم بين ابهامه والبسابة وقال : « هذا هو اغاثم يامولاي أدى مهمته ، شكرا له ولصاحبه »

فمد أبو مسلم يده وتناول اغاثم ، وقال : « بل الشكر لك أيها الهمام ، هل أرسلت الرجل الى خوارزم ؟ » . وكانت عادته اذا أراد قتل رجل أن يقول : « أرسلوه الى خوارزم »

قال : « لم أستطع ارساله الليلة ، لأنى وجدت الدهقانة مترددة في تنفيذ الحكم لأنها لم تتعود مثل هذه الامور » . وضحك

فجاراه أبو مسلم في الضحك ، وقال : « لا بأس من الانتظار ، ولكن هل استوفقت من قيامها بالامر فدا أو بعد قد ؟ »

قال : « نعم ، فانها لما رأت اغاثم هان عليها كل صعب في سبيل مرضاة صاحبه »

فاظهر أبو مسلم الاستحسان والاعجاب ، وأشار الى الضحاك أن يجلس وقال : « اذا وفقت الى ما نقول وفتحنا مرو ، كان لك عندنا مقام رفيع ورتبة عالية »

فشكر الضحاك هذا التلطف ولم يجلس ، وقال : « ان أسمي ما تتوق اليه نفسي ان أكون حائزا على رضا مولاي . واذا أذنت لي في الانصراف الآن ذهبت لإتمام امرك »

قال : « لا تعجل في الامر ثلثا بفسد علينا تدبيرنا ، ولا اظن الدهقانة توفيق الى التنفيذ قبل جلسة أخرى تقنعها فيها بلباقة ومهارة ، وهى الآن لاشك نائمة ، فالأحسن أن تبیت الليلة عندي فاذا طلع النهار قتبت بمهمتك »

فاظهر الطاعة وهو بفضل الذهاب لإتمام ما أبرمه مع شيبان ، ووقف لاجير جوابا ، وسكت أبو مسلم وأخذ يخطر في الفرقة ذهابا وإيابا ، فعلم الضحاك أنه يعمل فكرته في أمر مهم ، فظل سائكا مؤملا أن يرجع عن استيقاظه عنده . وبعد هنيهة وقف أبو مسلم بجانب الضحاك فجاءه وألقى يده على كتفه متلطفًا ، فاستأنس الضحاك بهذا التحبب وأصاح بسمعه لما سيقوله أبو مسلم فاذا به يتفرس في عينيه تفرس مستطلع ، ثم قال بعبارة ناعمة : « أشاعر أنت حقا بمنزلتك عندي وعظم تقنتي بك ؟ »

وكان الضحاك قد أوجس خيفة من تحديق أبي مسلم وصدق قرأسته

— ويكاد المريب يقول خذوني — فلما سمع منه هذا التلطف سرى عنه وقال :
« كيف لا أشعر بذلك وقد أعطيتني خاتمك وعهدت الي بأسرارك »

قال : « لا يزال عندي سر آخر .. هل أكاشفك به ؟ »

قال : « لك الامر ، أما انا فطوع مشيئتك »

قال : « اجلس اذن واصغ » . قال ذلك وأجلسه ويده على كتفه . فجلس الضحاك وهو يتناول بعنقه ليسمع ذلك السر الجديد لعله يساعده في غرضه



فلما جلسا قال أبو مسلم بصوت منخفض : « انك ولا شك تعلم عدد من معي من رجال خراسان ، وكلهم طوع بناني ، ولكنني لا أتق الا بعضهم ولا اسلم سرى الى أحد منهم ، وقد خطر لي في هذه الساعة خاطر اردت ان استشيرك فيه لما آتسته من اخلاصك وصدق خدمتك ودهائك ، وان كنت تتظاهر بالبله والمجون فانت اهل المراتب العالية . وقد حفظت امر تواطننا على قتل ابن الكرمانى فلم يعلم به حتى خالد بن برمك وسليمان بن كثير ، مخافة ان يطرأ ما يفسد علينا تدبيرنا ، وقد خطر لي الآن امر زادني خوفا من الفشل »
قال : « وما هو يامولاي ؟ »

قال : « اذا نحن قتلنا ابن الكرمانى ، فمن يضمن لنا انصياع رجاله الينا وهم عرب ونحن فرس . ألا تظنهم ينحازون الى غيرنا ؟ »
فتجاهل الضحاك وقال : « والى من يامولاي ؟ أما انحيازهم الى نصر فأمر بعيد لأنه قتل أميرهم الكبير »

فقطع أبو مسلم كلامه قائلا : « أنا أعلم انهم لا يحبون نصرا ، ولكنهم قد ينحازون الى الخوارج المسكرين هنا . اصدقنى لأنك عربى وتعرف أغراض العرب . ألا تظن أمراء اليمينية يؤثرون العرب علينا ؟ »

فأطرق الضحاك وقد وقع في حيرة لا يدري بماذا يجيب واستغرب السؤال ، ولكنه تجلد وتظاهر بالسداجة وقال : « أظنهم يفضلون العرب »

قال : « خطر لي خاطر استنصحتك فيه ، فاما أن توافقنى عليه أو ندفنه هنا لا يعلم به أحد »

قال : « انى طوع امرك يامولاي . »

قال : « علمت من اصحاب الخبر الذين يثبثهم في معسكر الخوارج منذ قدومى الى هذا المكان انهم ينوون محالفة نصر بن سيار صاحب مرو على حريتنا وحرب ابن الكرمانى ، فبدا لي الآن ان أحالف هؤلاء الخوارج على نصر وابن الكرمانى ، فاذا قتلنا هذا جعلنا قيادة العرب اليمينية كافة الى الامير

شيبان ، على أن يكون حليفنا على نصر ، لأن الهدف الذي نرمي اليه بدعوة الإمام إنما هو إخراج الخلافة من بني أمية ، وليس الغرض أن نفتتح مرو أوغيرها من مدن خراسان . وهذا سر ميق لو علمت أن طائرا تنسم ريحه تقتلك وأنت تعلم أنى أقتل على التهمة بأمر الإمام »

فتوسم الضحاك من وراء هذا السر خيرا كبيرا يعود عليه ، فاقبل على أبى مسلم وقال : « إذا كنت ترتاب في صدق نيتى فاقتلنى حالا »

فابتسم أبو مسلم وقال : « علمت مكنونات قلبك ، ولكن ليطمئن قلبي ، فأعلم أننا نرمي من وراء فتحنا مرو الى إخراجها من سلطان بني أمية ، ولا يهمننا من يتولاها بعدهم ، وإنى أخشى من الخوارج أن ينضموا الى رجال ابن الكرماني بعد قتله فيتعبوننا ، ولا سيما إذا حالقوا نصرا صاحب مرو . فهل من سبيل الى أميرهم شيبان ، هل تعرفه أو تعرف أحدا يتوسط بيننا وبينه لنبرم اتفاقا يقينا شر ما نخافه ؟ »

فلما سمع الضحاك قوله ، استبشر بالفوز وأيقن بنجاح مسعاه من أهون سبيل فقال : « أما الأمير شيبان فأنى أعرفه ، وهب أنى لا أعرفه فلا أعدم وسيلة اليه . وإذا جاز لكلى أن يبدى رأيا بين يدى صاحب دعوة الإمام إبراهيم ، فهو أن اهتلك بهذا الرأي الشديد ، ولا سيما بعد أن علمت الغرض الاساسى من القيام بهذه الدعوة ، لأن هؤلاء الخوارج لا يطمعون في أكثر من الاستيلاء على مرو . فإذا كان استيلاؤهم عليها برضاك كانوا عوننا كبيرا لك في سائر الفتوح ، ولا يخفى عليك أنهم يكرهون المضرة أكثر من كرههم الفرس ، فإذا حالقتهم نصروك وخدموك »

فأظهر أبو مسلم الارتياح الى نصيحة الضحاك ، وقال : « علينا إذن أن نتصل بالأمير شيبان . ولكنى لا أثق بأحدسواك ، فهل أعهد بهذا الأمر اليك ؟ » قال : « إذا كنت واقفا منى فانا أطوع لك من بنائك »

قال : « لا أثق بأحد سسواك فامكث عندنا الليلة ، وفى الغد أبعث معك برسالة تذهب بها الى الأمير شيبان » فقال : « سمعا وطاعة »

قال : « فاذهب الآن الى فراشك فى هذه الغرفة . (وأشار الى غرفة بالقرب من المكان) ، وفى صباح الغد أهيب لك الكتاب »

فأشار مطيعا وذهب الى فراشه . واستيقظ فى الصباح فإذا بخادم يدموه الى أبى مسلم ، فهورل حتى وقف بين يديه ، فدفع اليه كتابا مختوما وقال : « لا أريد أن يطلع عليه أحد من رجالى ، فاذهب به من هذا الطريق (وأشار الى طريق غير الذى اعتاد المجيء منه) . . . »

فتح مرو

تناول الضحّاك الكتاب وخباه ، ثم ودع ابا مسلم وخرج في لباس المجون من الجبة والعمامة المنحرفة والنعل في يديه ، ومشى من وراء الخيام حتى تواري عن ابي مسلم ، ثم مرج ليدور من وراء المعسكر وهو يسرع في خطواته ، فرأى بضعة فرسان عرف من لباسهم انهم من رجال ابي مسلم ، فتجنبهم مخافة أن يسألوه ، ولكنهم ظلوا يركضون أفراسهم نحوه ، فما لبثوا قليلا حتى أهدقوا به . وأشار أحدهم إلى رفاقه فانتضوا عليه ، فوقف وسألهم عما يريدون ؟ فابتدروا رجل منهم ملثم وسأله : « من الرجل ؟ »

فتحير ولم يدر بماذا يجيب ، فقال : « اني عابر سبيل »

فقال له : « ليس هذا سبيل للعبور ، قل من أنت وما شأنك ؟ »

قال : « لاشان لكم بى فانى سائر في مهمة » . ولم يجسر أن يخبرهم عن مهمته

فهم به بعضهم فشدوا وثاقه ، وقالوا له : « اما أن نخبرنا عن شأنك ، واما فانك أسير عندنا »

قال : « سيروا بى الى الامام ابي مسلم لتعلموا من أنا »

قالوا : « لانسير بك اليه ما لم نخبرنا »

فصاح فيهم : « اذا لم تسرعوا بى اليه فانكم نادمون »

فقالوا : « اذا كنت رسولا فاین الكتاب الذى انت ذاهب به ، والا فانت عدونا »

فطال الجدال بينه وبينهم وهو لا يجسر أن يذكر الكتاب الذى يحمله ، فاطاعهم خوفا على حياته وهو يهددهم بما سيلاقونه من غضب ابي مسلم اذا لم يطلقوا سراحه ، فاجابه الفارسي المثلث قائلا : « سارسل فارسا يطلع الامر على امرك ، فاذا امر باطلاقك اطلقناك »

فرضي الضحّاك بذلك وأذن لهم فساقوه الى خيمة على اكمة تشرف على معسكر ابي مسلم ، فوقفوا به هناك حينما وهو يتوقع رجوع الرسول حالا فشامت عيناه وهو ينظر الى المعسكر وقد تواري الرسول عن بصره وراء التلال والخيام ، ثم اذا به يرى حركة في معسكر الخراسانيين ، وسمع بعدها قرع الطبول ونفخ الابواق ، وتطلع فرأى الخراسانيين على خيولهم وقد شرعوا

الاسنة وساروا والاعلام السود تتقدمهم بعلوها لواء الامام ورايته ، وقد رفعوا
 بضع اذرع فوق سائر الاعلام . فابقن ان الخراسانيين يهاجون مرو ، ثم رآهم
 وقفوا تجاه المدينة فاستغرب وقوفهم . وأجال بصره في مرو ، فرأى اعلام
 ابن الكرمانى تخفق على الفرسان اليمنية ، وقد ركب رجال ابن الكرمانى
 وقرعوا طبولهم وشرعوا استنهم وأقبلوا على مرو من جانب آخر . فظن ان
 رجال الكرمانى قادمون لصد الخراسانيين ، ثم ما لبث ان رآهم يسرون نحو
 المدينة بعزم ثابت والسهام تتطاير فوق رؤوسهم . ولم تمض ساعة حتى
 دخلوها من أحد جوانبها ، ثم اذا بأبى مسلم ورجاله قد دخلوها من الجانب
 الآخر فاستغرب الضحاك ذلك وزاد استغرابه حين رأى اللواء والراية قد
 غرسا بباب قصر الامارة في وسط مرو ، فعلم ان ابا مسلم قد دخلها . ثم
 رأى حامية المدينة يخرجون منها فارين ، وعرف من اعلامهم البيض انهم
 جند بنى أمية . ورأى في جلة الهاربين جماعة من الفرسان عرف من قباظتهم
 انهم من كبار القوم ، واذا بأحد الفرسان الواقفين بجانبه يهتف قائلا : « هذا
 نصر بن سيار قد خرج هاربا »

فرأى الضحاك شيخا جليلا معمما بعمامة بيضاء كبيرة وقد انبسطت لحينه
 البيضاء على صدره وهو يهز جواده طلبا للفرار وحوله بضعة من فرسانه ،
 فتحقق انه نصر بن سيار ومعه اهله ، وأدرك انه لم يفر الا وهو لا يرى
 حيلة في استبقاء المدينة . فلما رأى الضحاك ذلك كله ، دهش ونسي أسره
 وأعمل فكرته فيما كان يتوقعه من اتحاد اليمنية والغوارج على أبى مسلم ،
 واستغرب عجلة أبى مسلم في الفتح على حين انهما كانا على موعد من قتل
 ابن الكرمانى قبل الفتح . وظل الضحاك واقفا مشرفا على مرو كأنها بين يديه
 ويراهى حركات الجند ، فما لبث ان رأى رجال الكرمانى يخرجون من مرو الى
 معسكرهم ومعهم ابن الكرمانى نفسه ، وقد عرفه من رايته ، فاستغرب
 رجوعه الى معسكره بعد الفتح ، وتذكر جنار في الحال وعلم انها في خوف
 ليس على حياتها ولكن على ان يفى ابن الكرمانى بوعده ان يتزوجها بعد فتح
 مرو . ثم تذكر ما تواطأ هو وأبو مسلم عليه من قتل ابن الكرمانى وضم رجاله
 الى رجال شيبان ، وتبادر الى ذهنه سوء الظن بأبى مسلم وخاف ان يكون
 قد خدعه ، على انه لم ير مسوقا لسوء الظن

وفيماء هو كذلك رأى فارسا جاء من أقصى مرو يسمى ، فعرف انه
 الرسول الذى كان قد ذهب الى أبى مسلم في شأنه عندما قبضوا عليه .
 ثم تقدم الرسول اليه مهرولا يقول : « لقد أسانا اليك والى الامر » . وأخذ في
 فك وثاقه ، وقال لرفاقه الفرسان : « ان الامير لا علم بالقبض على هذا العربى
 غضب غضبا شديدا لانه كان قد أنفذه في مهمة ذات بال ، وهو يقول لكم
 اكرموه وسيروا به اليه الآن في قصر الامارة »

فاطمان الضحاك لما علم انهم قبضوا عليه خطأ ، وركب جوادا جاءوه به

وسار معهم حتى دخلوا « مرو » . فشاهدوا الناس في هرج و مرج واكثرهم فرحون بالفتح لأن جمهورهم من الفرس وكانوا يقيسون العذاب في ظل سلطة العرب المضربة ، وكان نصر قد أراد اصلاح ما أفسده أسلافه فلم يستطع وذهب سعيه عبثا حتى خرجت مرو من يده . كان الخراسانيون قد ملوا حكومة العرب منذ تولاهما بنو أمية واخذوا يسومونهم سوء العذاب ، ويولون عليهم العمال لياخذوا الخراج باى وسيلة . وكان أهل مرو قبل الاسلام مجوسا ضربت عليهم الجزية ، فرغبوا في الاسلام غير مرة واسلم كثير من منهم ، ولكن بعض العمال كانوا يعدون اسلامهم حيلة للتخلص من الجزية فلا يرفعونها عنهم ويطالبونهم بها وهم مسلمون ، فارتد كثير منهم لذلك مرارا . الى أن تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز ، وكان مسلما حقا فبعث الى عماله الا يتقاضوا الجزية ممن أسلم . ومن اقواله في كتاب له الى الجراح عامله على خراسان وقد شكوه : « انظر من صلى قبلك ، فأعفه من الجزية » . فتسابق الناس الى الاسلام ، وقلت الجزية ، فكتب الجراح الى عمر بذلك فأجابته : « ان الله بعث نبيه محمدا داميا ولم يرسله جابيا » على ان هذه النعمة لم تدم على أهل خراسان لقصر خلافة عمر . فلما قتلوه وولوا من خلفه ، عادت الامور الى ما كانت عليه



وصل الضحاك الى قصر الامارة والناس يتدافعون عند بابه ، وفيهم الدهاقين والتجار والمشايخ والعلماء والصناع ، وقد اشند الزحام وعلت الضوضاء . فلما راوا فرسان ابي مسلم عرفوهم من قيافتهم ووسعوا لهم ، فترجلوا ، ودخل اثنان ومعهما الضحاك حتى قطعوا صحن الدار الى الباب الداخلى الكبير ، فراوا الناس يتسابقون اليه والحراس يوقفونهم ، وبالباب حارس من رجال ابي مسلم فعالما رأى الرجلين وسع لهما ومعهما الضحاك فلما وقف الضحاك بالباب ، رأى قاعة واسعة جلس في صدرها ابو مسلم وفوق راسه راية سوداء وعليه عمامة سوداء وثياب سود ، والى جانبه خالد بن برمك في مثل لباسه ، وبين يديه اثنا عشر اميرا باللباس الاسود عرف منهم : سليمان بن كثير ، وطلحة بن زريق . وعلم انهم النقباء الاثنا عشر الذين اختارهم الامام من السبعين نقيبا الذين قاموا بالدعوة العباسية في اولائها ، فلما دخل الضحاك وقع نظر ابي مسلم عليه فابتسم له وأشار اليه أن يدخل ويجلس على كرسى في بعض جوانب القاعة ، فدخل وحده وانصرف الحارسان ، فشاهد في بعض جوانب القاعة ركاما من البرابط والعيدان وآنية الخمر والمزامير تركها الامويون في القصر عند فرارهم ، فقال الضحاك في نفسه : « تلك آثار الترف الذى يدمر أهله تدميرا »

وكان أبو مسلم في شوره مع ثقبائه ، وما لبث أن أشسار اليهم فتنحوا جانباً الا طلحة بن زريق ، فظل واقفا بين يدي أبي مسلم وأشار الى الحاجب أن يدخل الناس لأخذ البيعة أزواجاً ، فدخل الفقهاء والعلماء ثم القواد والكتاب والاميان والدعايقن وهكذا ، فرأهم الضحاك يدخل أحدهم حتى يقف بين يدي أبي مسلم فيسلم عليه بالامارة قائلا : « السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته » . ثم ينادى بأعلى صوته ويقول وطلحة يتلو معه نص البيعة « أبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، والطاعة لأهل بيت الرسول رضى الله عنهم ، وعلينا بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشي الى بيت الله الحرام ، والا نسالكم رزقا ولا طعاما حتى يتبدى به ولا نكم » . فاذا فرغ رجع وتقدم سواه . وكانوا يتسابقون الى ذلك وامارات البشر ظاهرة على وجوههم ، فتعجب الضحاك من ذلك ، واستاء في سره لما رآه من ترحاب أهل مرو باغراسانيين ، وابقن ان صاحبه شيبان لا يستطيع دخولها الآن الا اذا حالف أبا مسلم ، وهذا لا يكون الا اذا قتل ابن الكرمانى

مضى معظم النهار فى اخذ البيعة ثم وقف أبو مسلم وأشار الى طلحة ان يأخذ البيعة منه بين يدي خالد بن برمك ، وتنحى الى بعض الغرف وأوما الى الضحاك فتبعه . فلما خلوا قال أبو مسلم : « لقد ساءنى ما أصابك من جهل أحد رجالي ، وقد كنت عازما على الانتقام منه امامك لو لم يتفق لنا ما سرنا فى هذا النهار ، ولعلك تستغرب فتح المدينة بمثل هذه السرعة على حين أننى كنت عازما على التأجيل بضعة أيام ريثما نتم اتفاقنا مع الأمير شيبان . ولكن سنحت لى فى هذا الصباح فرصة خفت ضياعها ، ونجحت »

وكان الضحاك جالسا على ركبتيه احتراماً لأبى مسلم ، ومع ما آنسه من انعطافه واقباله عليه اثناء الحديث بقى متهيبا أباه ، يظهر اصفاؤه واهتمامه بمراعاة حركة فمه ، لانه لم يكن يستطيع التفرس فى عينيه لخدمتهما ولما ينبعث من نورهما الباهر وقوتهما الغالبة على الابصار والعقول . فلما انتهى أبو مسلم من كلامه ، أظهر الضحاك رغبته فى سماع تكملة الحديث فقال أبو مسلم : « أما سبب هذه العجلة فان ابن الكرمانى بعث الى فى صباح اليوم بعد ذهابك رسولا يقول : (لقد آن فتح مرو فادخل أنت ورجالك من ناحية ، وادخل أنا ورجالي من ناحية أخرى ، فنسلم المدينة على أهون سبيل) . فظننته يخادعنى فبعثت اليه : (لست آمن من ان تجتمع يدك ويد نصر بن سيار على محاربتى ، ولكن ادخل أنت فابدأ الحرب مع أصحاب نصر . ثم ادخل أنا) . وقلت فى نفسى : (اذا كان قد فعل ذلك حيلة فلا يطعننى والا فليحمل الخطر وحده) . فنهض برجاله وأنشبت الحرب ، فأرسلت أنا بعض رجالي ودخلوا المدينة من ناحية أخرى ففتح علينا ،

فدخلت القصر وأمرت ابن الكرمانى ورجاله بالخروج منها الى معسكرهم
لكى يتمكن من مشروعه الذى تعلمه »

فذهل الضحاك لباس ذلك الرجل ودهائه ، ونسى ما كان يتكلفه من
الضحك فى تماجنه ، ولكنه خشى أن يخاله أبامسلم شك فى أمره ، فتضاحك
وقال : « انه لمشروع عظيم القدر ، فهل أنت مصر عليه ؟ »

قال : « أين كتابى الى شيبان ؟ »

فمد يده وأخرجه ودفعه اليه ، فقال أبو مسلم : « انى لا أزال مصرا
وربما زدت اصرارا بعد فتح مرو على يد ابن الكرمانى ، فانه قد ارتفع فى
عينى نفسه فيظن له فضلا علينا فتحققه نفسه أن يتحدانا . ولذلك فانى
لا آمنه ولا بد من قتله لئلا يكون حجر عثرة ، وقلته سهل عليك بوساطة
تلك الفتاة المفتونة . فاذا قتلته خلست سعيانا فى ضم رجاله الى رجال الامير
شيبان ثم أسلم اليه قيادة هذه المدينة وامضى فى عملى ، الا اذا كنت لا تثق
بهذا الحوروى وتخاف أن يخوننا اذا سلمنا الامر اليه »

قال : « لاخوف منه فانه اذا عاهد وفى ، ولاسيما بعد أن ملكت ناصية
الامر وبائعك الناس »

فقطع أبو مسلم كلامه ، وقال : « ألم تلاحظ أن البيعة كانت لأهل بيت
النبي عامة لا لبنى العباس ، لأن الناس لم يعرفوا لبنى العباس الحق فى
الخلافة بعد ، وإنما هم يعرفونه لآل أبى طالب ، ولذلك جعلنا البيعة مشتركة
فمن فاز من الرهطين أستأثر بالخلافة . فهل يؤخر هذا الامير شيبان عن
مخالفتنا » . قال : « كلا يا مولاي . . »

فقال : « فابدأ إذن بقتل ذلك الأعور كما وعدتني ، ولا تظن أحدا ينال من
المقام عندنا ما ستنااله ، وسأطلع الامام على فضلك »

قال : « انى لم أقم الا ببعض ما يجب ، ولا أتوقع جزاء غير رضاك »

قال : « هل تقتله الليلة ؟ » . قال : « سأبذل جهدى »

قال : « أريد أن يكون قتله سرا بحيث يظن رجاله أنه مات موتا طبيعيا »

قال : « اطمن يا مولاي » . ونهض الضحاك وحيى ، ثم هم بالخروج ،
فوقف أبو مسلم لوداعه وقال له : « مرج بابراهيم الخازن لعله ينفضك فى هذه
المهمة » . فلما سمع اسمه تذكر الليلة التى لقيه فيها فى بيت الدهقان وهو
يعلم مكره وضعف ذمامه فقال : « أين هو ؟ » . فأشار أبو مسلم الى غرفة
أخرى ، فسار الضحاك اليها



تركنا جنانا بعد ذهاب الضحاك جالسة فى فراشها ملتفة بالمعطف غارقة

في لجج الهواجس ، تفكر فيما سمعته منه ، وكلما تصورت أقدامها على قتل زوجها ارتعدت فرائصها واقشعر بدنهما . وكانت ريحانة تلاحظ اضطرابها ولا تلومها لعلها بهول الموقف على فتاة مثلاً . ثم غلب عليها النعاس فنامت ، ولم تستيقظ في الصباح إلا على قرع الطبول ونفخ الأبواق ، فذمرت ونادت ريحانة لتستفهم عما حدث فقالت لها : « ان الجند يتأهبون للهجوم على مرو » . فخفق قلبها وتوكلت على ريحانة حتى أطلت من الحياء ، فشاهدت مثل ما شاهدته في المرة الماضية ، وكانت قد ألفت النظر فلم يكن خوفها مثله في تلك المرة . ثم ما لبثت أن رأت ابن الكرمانى قادماً نحوها وهو مدجج بالسلاح وسيفه مجرد بيده ، فلما رآته مقللاً توارت حياء فناداها وصاح قائلاً والسيف بيمينه : « أبشري أيتها الدهقانة أننا فاتحون مرو اليوم وسنبيت الليلة في قصر الامارة ان شاء الله »

فخجلت وساءت البشرى ، فتراجعت واستترت وراء ريحانة ، فأجابت ريحانة قائلة : « نترك الله على أعدائك وبلغك مرادك »

فاكتفى على بذلك وهجم ورجاله في أثره ، فلما بعدوا قالت ريحانة لسيدتها بالفارسية : « انى أرى اكراسانيين أيضاً هاجمين » . فاطربها ذكر اكراسانيين لأن أبا مسلم فيهم ، وتقدمت بحيث ترى ذلك الجند فإذا هم يرحفون على مرو من الجهة الأخرى . فقالت : « اذا فتحوا مرو فلما يقتحمونها ببسالة أبى مسلم ، أين هو يا ترى ؟ »

فتناولت ريحانة وجعلت تحديق بنظرها في الجند حتى وقع بصرها على الراية واللواء وهما يناطحان السحاب علواً فقالت : « ينبغي أن يكون أبو مسلم هناك » . فحدقت جلتار ببصرها فرأت أبا مسلم وعرفته من طوله ولون فرسه ولباسه الأسود فتהלل وجهها فرحاً ، ولكنها ما لبثت أن أوجست خيفة عليه من النبال المتساقطة

ثم رأت علياً دخل مرو من ناحية ودخل أبو مسلم من ناحية أخرى ، فتتحقت فوزهما ، ولم تدرك أنفرح بذلك الفتح أم تحزن ، لأنها تذكرت وعد ابن الكرمانى أنه لا يتزوج بها إلا اذا فتح المدينة ، وتذكرت قول ريحانة أنه لا يستطيع فتحها ، فالتفت إليها وقالت : « كم قلت لى أنه لا قوى على فتح هذه المدينة ، وما قد فتحها ويلاه ! لقد دنا أوان الخطر » . قالت ذلك ورجعت الى غرفتها وجلست على الفراش وانفجرت باكياً ، وتبعثها ريحانة وأخذت تخفف عنها ، فقالت جلتار : « أين هو الضحاك يا ترى ؟ لعله يستطيع تخفيف ما بنا ؟ »

فقالت ريحانة : « لا يلبث أن يأتى وعنده الدواء الناجع لهذه الكارثة ! » فادركت جلتار أنها تعرض بقتل ابن الكرمانى ، فقالت : « ولكنه دواء أمر من الملقم ولا يمكننى شربه . كيف أقتل رجلاً يحبنى وإن كنت لا أحبه »

وآن وقت الغداء فتناولناه وهما يتوقعان أن يبعث على اليهما بالانتقال إلى قصر الإمارة ، وإذا هما تسمعان دبدبة وصهيلا وضوضاء ، ثم علمتا أن جند الكرمانى رجع عن مرو بعد فتحها فبقيت لآبى مسلم وحده . ولم تفهما السر فى ذلك ، فمكنتا تنتظران ما يكون ، وجلسا . وجلة قلقا . فلما رأت ريحانة قلقها ، قالت : « لا أدري لماذا تكرهين ابن الكرمانى وهو يتغاني فى هوالك ويجل مقامك ، وقد أوتي النصر بفتح هذه المدينة وانتقم لأبيه ؟ ! » فأسرعت جلنار ووضعت يدها على قم ريحانة كأنها تمنعها من الكلام اشتمرازا واكتفت بذلك جوابا . فادركت ريحانة أنها لا تود الخوض فى هذا الموضوع ، فسكتت وقد أخذتها الحيرة لا تدري كيف تنقل سيدتها من هذه المشكلة . فتركتها فى الغرفة وخرجت لتستطلع أحوال المعسكر بعد فتح مرو ، فوجدت الخيام لا تزال فى أماكنها وقد أعيدت الخيول إلى مرابطها . وغرست الأعلام فى مفارستها ، وتطلعت إلى فسطاط الأمير على فاذا هو لا يزال كما كان والراية منصوبة ببابه وأمامه وفود المهنيين والمنشدين . وسرها مود ابن الكرمانى إلى مضربه لأنها كانت بظنه سيبقى مع أبى مسلم فى قصر الإمارة فاطمان بالها . وكانت الشمس قد مالت نحو المغيب ، فالتفتت إلى ناحية مرو فرأت جماعة من الباعة خرجوا منها وفيهم من يحمل فاكهة أو طعاما أو ألعابا ليتكسبوا ببيعها فى ذلك المعسكر ، بعد أن زال الحصار من المدينة ، وشاهدت بين الخارجين رجلا طويلا قادما نحو الغباء ، فما لبثت أن عرفت أنه الضحالك فاستبشرت بقدومه ، وأرادت أن تسرع إلى سيدتها فأشار إليها أن تقف فوقفت . . حتى إذا دنا منها أومأ إليها فدخلت معه الغباء دون أن يراها أحد ، فقالت : « ما وراءك ؟ »

قال : « هل من حيلة لنا فى النجاة من ابن الكرمانى غير قتله ، لقد فتح مرو ، وحق له الدخول بعروسه ، إلا إذا كانت مولاتنا تؤثر الاقتران به ، وهذا يرجع إلى رأيها »

قالت : « انها لا تستطيع ذكر الاقتران به ، ولكنها فى الوقت نفسه لا تتصور الأقدام على قتله ! »

قال : « وأنت أيضا جبانة مثلها ؟ »

قالت : « أريد أن أقدم على قتله ، وكيف أقتله ؟ »

فضحك وتماجن وقال : « وهل القتل صبغة أو تطريز ؟ ! ليس أسهل منه على الإنسان ، ولا تظنى أن المراد قتله بالمبارزة أو المطافئة وإنما هى حسوة أو لقمة وقضى الأمر »

فسكتت ريحانة ولم تدبر بماذا تجيبه ، ولكنها صعدت كتفها كأنها تقول : « هذا لا يعنينى »

فقال الضحالك والاهتمام باد فى وجهه : « لا ينبغي أن نطاول مولاتنا

الدهقانة في ضعفها ، فانها لا تعلم شيئا من امور هذه الدنيا .. وهي مع ذلك تريد الوصول الى ابي مسلم ، والوصول اليه لا يكون الا بالنجاة من ابن الكرماني . وقد آتيتها بخاتمه تدليلا على رغبته ، فهي الآن احوج من ابي مسلم الى قتله لانه زوجها وقد قيدناه بمهده الا يقربها الا بعد فتح مرو ، وما قد فتحها وتوافد عليه الشعراء والمهنتون وبلغ قمة مجده ، فهل من سبيل الى دفعه الا بالموت ؟ وهل يتم ذلك الا بقتله سرا » . ثم سكت وحك ذقنه بسببته ، ثم حك ما وراء اذنه وقال : « انا لا اكلفك ولا اكلف الدهقانة ان تتولى الامر مباشرة .. فانا ادبر الحيلة ، ولكن ينبغي ان يكون ذلك في حضرتكما وانا اسقيه الكأس بأسلوب لطيف . والاجدر ان تطلعي الدهقانة على هذا العزم . انما اطلب اليك ان تسهلي لي الوصول اليه بحيث لا يعلم احد بقصدي ؟ »

فظلت ساكنة لا تعلم بماذا تجيبه ، ولكنها كانت اصبر على هذا الامر من جنار ، وقد خبرت الدنيا طويلا .. على انها ما زالت مرتبكة لا تدري هل توافق الضحاك بغير استئذان سيدتها . فلما رآها الضحاك ساكنة ولاحظ ترددها ، قال لها : « قد فهمت ما يجول في خاطرك ، لا تخافي . سيجري كل شيء ولا يشعر به احد ، فاكتمى هذا الامر عن الدهقانة وستبرين كيف اقوم بهممتي بلباقة وخفة » . قال ذلك ومشى وهو يقول : « سامود قريبا ، واحذري من ان تبوحى بذلك الى احد »

فعدلت ريحانة الى سيدتها وهي تفكر فيما عسى ان تكون حيلة الضحاك واسلوبه ، ولما دخلت على سيدتها سألها عما كانت تعمله فأخبرتها بما شاهدته من بقاء معسكر ابن الكرماني على حاله بمرابطة وفساطيطه وسائر احواله ، وان عليا في فسطاطه . وحدثتها نفسها بان تبوح لها بما قاله الضحاك ، ثم أمسكت وسكنت لترى ما يكون



عاد ابن الكرماني بعد فتح مرو الى معسكره عملا بمشورة ابي مسلم ، وعاد معه الامراء اليمينية وقد سرهم الفتح بعد ان ابوا فيه بلاء حسنا . ثم ذهب الى فسطاطه ليبدل ثيابه ويستقبل المهنتين ، وجال في خاطره ان يذهب لساعته الى جنار ليربها نفسه عائدا من الفتح ويخبرها بانه انتقم لآبيه ووفى بالوعد . ولكنه أجل ذهابه الى ما بعد استقبال المهنتين والمتشددين في فسطاطه لئلا يتبعوه الى هناك ، فجلس في صدر الخيمة وجلس امرأته بين يديه وهم يعجبون بتتاليته ، وكل منهم يذكر ما لقيه اثناء المعركة من الوقائع الغريبة . ثم اذن للشعراء فدخلوا وانشد كل منهم ما جادت به قريحته . فاذا فرغ احدهم من الانشاد اشار الامير الى كاتبه ان يعطيه

منحة ، على العادة الجارية ، وفيهم من ينشد قصيدته على الانعام الموقعة على الطنبور أو العود أو الدف . وقضوا في ذلك بقية يومهم الى ما قبل الغروب ، وقد طربوا جميعا الا عليا فقد نغسه غياب جلتار وود لو انها هناك لتسمع ما قيل فيه من المديح

وفيما هو في ذلك سمع ضجيجا بتخلله دف ينقرون عليه نقرا خاصا بالرقص . ثم دخل غلام يستأذن الأمير في دخول راقص مضحك معه دب غريب الشكل ، وكان الغلام يستأذن الأمير ولا يتمالك عن الضحك كان الاعجاب أخرجه من حد الاحتشام في حضرة الأمراء . فقال الأمير : « بدخل »

فدخل رجل طويل القامة عرف الأمراء كلهم انه الضحاك خادم الدهقانة ، وكانوا يستخفون دمه ويضحكون لرؤيته . فلما دخل القى التحية وتماجن ، فلم يتمالك الأمير عن الضحك وصاح فيه : « ويلك ، متى صرت رقاصا » قال : « عندما فتح مولاي الأمير مرو عاصمة خراسان ، فقد ندرت منذ صرت من أتباعه أن أرقص يوم الفتح وقد جئت لافي بندري »

فضحك الأمير وقد سره أن يسمع المديح من رجل ينتمي الى الدهقانة . وكم من بطل خاض المعامع واستقبل النبيل وعرض نفسه لأشد الأهوال التماسا لابتسامة حبيب يحبه ، تلك هي لذة النصر في أعلى درجاتها . وأراد على أن يسأل عن الدهقانة ثم احتشم لوجود الأمراء ، ولكنه استأنس بالضحك كثيرا وقال : « هل أنت الرقاص حقا ؟ »

قال : « كلا يا مولاي ، ولكن معي دبا يرقص رقصا غريبا »

قال : « أين هو ؟ »

قال : « بالباب » . وصاح : « ادخل يا مبارك »

فتوجهت أنظار الجميع الى الباب ، فسمعوا خشخشة الجلاجل والأجراس . ثم دخل الغلام يقود رجلا بجبل في عنقه وعلى الرجل جلد دب يكسو صدره وساقيه الى القدمين ويقطع سامديه الى الكتفين ، وقد ستر وجهه بوجه دب حتى لا يشك الناظر اليه في أنه دب حقيقي ، وتسد برجليه ويديه أجراسا ، وجعل حول عنقه جلاجل

فلما دخل الغلام سلم القود الى الضحاك ، فتناوله وجر الدب بعنف ، فدخل وأخذ في الرقص وهو يزجر ويثب كما يفعل الدب تماما . فلم يبق أحد من الجلوس الا أغرب في الضحك ، والضحك يتفنن في أساليب المجون . فلما تمكن الطرب من الأمير احتشم الضحاك للاقترب منه ، وقال بحيث لا يسمعه سواه : « لا ينقص هذا المجلس الا الدهقانة »

فلم يتمالك الأمير عند سماعه ذلك أن صاح : « يا ضحاك خذ هذا الدب وأرقصه في الخفاء ، وأنا قادم اليكم » . قال ذلك ووقف وقد استخفه السرور وهاجت عواطفه وأسكره النصر ، فوقف الأمراء احتراما . فمشى حتى خرج



« وكان الضحك يتفنن في أساليب المجون، فلم يبق أحد من الجلوس إلا أغرب في الضحك »

من الفسقاط والضحاك يسير بالدب أمامه وقد خيم الظلام ، ولم يجسر أحد من رجال ابن الكرمانى أن يتبعه الى الخباء ، فمشى وحده وقد التفت بعباءة من حرير وعلى رأسه عمامة صغيرة مزركشة زركشة جميلة ، وسار مختالا فى مشيته ، حتى اذا أقبل على الخباء تنحى الضحاك ودبه كى يعبر الأمير فدخل وهو يقول : « أين مرو سنا الدهقانة ؟ »

فتقدمت ريحانة وجلنار الى جانبها وعليها مطرفها ، وقد غطت رأسها بخمار من نسيج كشمير وردى اللون ، وعيناها تتلألآن من خلال الخمار ، والخباء يغالبها ويربدها فتنة وجمالا . فلما وقع بصره عليها ، حياها وقال : « لقد جئتك ضاحكا لاني انتقمتم لابي وغلبت صاحب مرو على مدينته ، ففر فرار الاندال وسوف أقتله باذن الله »

فأجابته ريحانة وهى تبتسم : « لقد كنا على يقين من فوز الأمير على عدوه لما نعلمه من بسالته وشدة بطشه ، فتحمد الله على ذلك »
ثم أشار الأمير الى الدهقانة بالجلوس وهو يقول : « وغدا ندخل قصر الإمارة »

فجلست جلنار مطرقة لاتتكلم ، فكان سكوتها أفصح من الكلام ، وظلت ريحانة واقفة ، فطس الأمير وأشار اليها أن تجلس ، فتنحت وأزادت الجلوس فى بعض جوانب الغرفة ، فأمرها أن تجلس بالقرب من سيدتها ، ثم صفق ونادى الضحاك فدخل وهو يقود الدب وراه . فلما رأت ريحانة الدب لم تتمالك عن الضحك لغرابة منظره ، فوقف الضحاك والدب بجانبه ، ثم أمره على أن يرقصه ، فجره بالمقود فلم ينتقل من مكانه فصاح فيه : « أرقص ولا تضحكنا بين يدي الأمير » . فلم يتحرك

فضحك الضحاك حتى كاد يستلقى ، والتفت الى الدب وقال له : « كأنك تستحى أن ترقص أمام النساء »

فلم يبق أحد هناك لم يغرب فى الضحك ولا سيما ابن الكرمانى فانه قهقهه قهقهة عالية ، فتظاهر الضحاك بالغضب من الدب وشده ثائية فظل واقفا كأنه صخر ، فتقدم نحوه ووضع أذنه على فمه كأنه يتلقى أوامره سرا ، وصبر هنيهة ثم تراجع وهو يضحك ويقول : « لم أكن أعلم أن الدب يشرب الخمر قبل الآن »

فالتفت ابن الكرمانى الى الضحاك وقال : « قد يكون اعتاد المسكر من صحبة رجال بنى أمية فى مرو ، فقد رأينا فى قصورهم مئات من آتية الخمر على أنوامها . وأما نحن فلا نشرب غير النبيذ فاسأله هل يريد نبيدا ؟ »
فعاد الضحاك الى مسأرة الدب ، ثم تحول عنه وقال : « لقد رضى بالنبيذ ليس ذلك غريبا ؟ وأغرب منه انه لم يطلب النبيذ الا فى الخباء » . وضحك فقال ابن الكرمانى : « يظهر أن دبك ألطف ذوقا منك ، وليس النبيذ عرما ولا سيما فى مثل هذا المجلس ، هات النبيذ يا غلام »

ولم تمض هنيهة حتى جاء الفلماني وهم يحملون مائدة عليها أصناف من نبيذ التمر والتفاح وغيرهما في الأبريق الرصاص وحولها الأقداح من الزجاج الصافي الملون ، وأدعى ابن السكرماني إلى الساقى أن يدير الأقداح على الحضور . فجاء غلام ممنطق بمنزور من حرير وتناول قدحا صب فيه نبيذا وقدمه إلى الأمير ، فتناوله وقدمه إلى الدهقانة فاعتلرت عن شربه فالح عليها فشربت بعضه وأعادته إليه فشربه ، وأمر الساقى أن يصب ويسقي الضحاك ودبه ففعل . ولما تقدم إلى الدب أعرض هذا عنه ، فتقدم الضحاك يقول : « لقد بالغ دينا في الدلال الليلة ، هات القدح » . وأخذ من الساقى وقدمه إلى الدب ، فتناوله بكفه الغليظة وشربه وأعاد القدح إلى المائدة وهو يخطو خطوات الدب المعروفة والجميع يضحكون . ثم عاد إلى مكانه وأخذ في الرقص من تلقاء نفسه وأجاد وأبدع ، والضحاك يطاوعه في تنقله كأنه يرقص معه . ثم وقف الدب فجأة ، فقال الضحاك : « لا ينبغي لنا أن نغفل طلب صاحبنا ، وأسرع إلى قدح ملاه نبيدا وقدمه إليه . فتراجع ولم يمد يده فصاح فيه : « ما الذي تريده لقد أتممتنا دلالا »

فتقدم الدب نحو المائدة ومد يده إلى الأبريق فقبض عليه وجعل يصب في الأقداح حتى ملأها ، والناس ينظرون إليه وقلوبهم تخفق خوفا على المائدة وما فوقها من « لباقة » الدب ، فذاهو قد ملأ الأقداح ولم يخطيء في واحد منها . ثم أخذها قدحا قدحا وقدمها إلى الحضور فشربوا وهم مسرورون وشرب هو أيضا ، واستحسنوا لباقة هذا الساقى . فصاروا يطلبون منه أن يسقيهم فسقامهم مرارا ، وجلناز لا تشرب الا قليلا . ثم أمسكت عن الشرب ، فظل الشرب مقصورا على الأمير والضحاك والدب حتى انقضى هزيع من الليل وهم في ذلك ، وقد أخذ الطرب من الأمير مأخذا عظيما . وعند ذلك تظاهر الدب بالسكر وأفلت من يد الضحاك وخرج من الخباء والقدح بيده ، فتبعة الضحاك وتظاهر بمراودته وأرجعه إلى الخباء والقدح لا يزال في يده ، فتقدم نحو الأمير فدفعه إليه وأخذ في الرقص . فتناول الأمير القدح وشربه كالعادة ، ثم صب الدب قدحا وقدمه إلى الضحاك فتناوله وشربه ثم صاح فيه : « ويلك لقد أكثرت من الشرب وأصبحت خائفا على نفسي منك . وأخاف ألا يكون الأمير متعودا بالشرب الكثير فيضره ، فاني مع تعودى النبيذ أوما أراى أشعر بدوار شديد » . قال ذلك وتظاهر بالسقوط على الأرض وبأن الدوار غلب عليه وأحسن بالميل إلى القى ، فتنحى وخرج من الخباء وتقيا ثم تقيا كل ما في جوفه غضبا والأمير يضحك منه ويقول : « انى لا أشعر بالدوار مطلقا »

وكان الضحاك قد ترك الزمام عند خروجه ، فأقلت الدب وخرج من الخباء وأركن إلى الفرار . فافترق الأمير في ضحكته ، ودخل الضحاك دخول المدهوش وصاح : « أين الدب الملعون ، يظهر أنه فر ، فوالله لأدركنه وأذيقه

العداب » . قال ذلك وأشار الى ريحانة اشالة خفية وخرج فادركت ريحانة ان الضحاك قد أنفذ حيلته وسقى الأمير سما ، فنهضت متظاهرة بالدوار وقالت للأمير : « أرى مولائي الدهقانة قد تأذت من الشراب أيضا » . وأمسكتها بيدها وقالت : « أرى ان تذهب الى فراشها ، هل يأمر مولاي بالانصراف ؟ »

فنهض وقد شعر بالدوار أيضا ، ولكنه تجلد وتظاهر بالقوة ووقف وهو يقول : « فلنصرف جيما »

وصفق فجاءه الغلمان وأسندوه وخرجوا به من الخباء الى فسطاطه ، وذهبت ريحانة بالدهقانة الى غرفة الرقاد . واشتغل الخدم في نقل آنية النبيذ من الخباء ، فلم تمض ساعة حتى خلا الخباء من الأمير وغلمانه

فلما خلت ريحانة بسيدتها ظهر عليها الاضطراب ، فاستعربت جنار ذلك منها فقالت وهي تتوسد الفراش : « ما لي أراك مضطربة يا ريحانة ؟ » فاجابتها بالفارسية وهي ترتعد من التائر وتحاول خفض صوتها : « أظنهم سموه يا مولائي »

فاجفلت جنار وجلست تقول : « سموه .. قتلوه ؟ »

قالت : « نعم ، ألم تنظري الى الدب كيف تظاهر بالسكر وخرج من الخباء ثم عاد والقدح في يده .. » قالت : « بلى »

قالت : « أظنه خرج ليضع السم في ذلك القدح .. وفي صباح الغد يظهر فعله ونسمع بموت ابن الكرمانى »

فاقشعر بدن جنار وصارت ترتجف من الخوف ، فابتدرتها ريحانة قائلة : « لا تستسلمي الى الضعف .. فان هذا أوان التعقل والدهاء وقد قضى الامر الذى كنا نخافه »

فارتبكت جنار وأعظمت الجريمة ، على أنها كانت وهى فى أسوأ حال من الاضطراب تشمر بفرح داخلى عميق لنجاتها من ابن الكرمانى وتقربها من حبيبها

فأخذت ريحانة تخفف عنها وتمنيها بقرب الاجتماع بحبيبها حتى سكن روعها وتظاهرت بالرقاد ولكنها لم تستطع نوما



اما أبو مسلم فكان ساهرا فى قصر الأمارة ينتظر عاقبة ما بينه لابن الكرمانى وللضحاك معا بوساطة ابراهيم الحازن . فقد راينا انه أوعز الى الضحاك ان يستعين بابراهيم الحازن على قتل ابن الكرمانى ، فسار اليه

واتفقا على ان يلبس ابراهيم جلد دب لينتقم من دس السم لعلى في القدح . ولكن ابا مسلم اوصى ابراهيم بان يقتل الضحاك ايضا . وكان قد كلفه كشف حقيقة الضحاك ليلة ذهابه الى شيبان ، فرافق القصاص وحمل الطنبور وتظاهر بالرمد واسدل طرف العمامة على عينيه لئلا يظن اليه احد . ولما كان شيبان وشبيب يتساران ، كان ابراهيم وراء خيمة شيبان يتظاهر بالنعاس ، وقد سمع كل ما دار بينهما ونقله الى ابي مسلم في تلك الليلة . فلما عاد الضحاك ليلتئذ خادعه ابو مسلم برغبته في مخالفة شيبان ، ريثما يتمكن من قتل ابن الكرمانى على يده ثم يقتله . ولما اوصاه باصطحاب ابراهيم ، امر هذا بقتله فوضع له السم في قدحه كما فعل بابن الكرمانى . ولكن طول اجله ساقه الى تغريغ ما في معدته ، وهو انما فعل ذلك لتنتطلى حيلته على ابن الكرمانى ويدفع التهمة عنه ، فنفعه ذلك اذ اخرج السم من جوفه قبل ان يؤثر في معدته . اما ابراهيم فظن انه قام بمهمته ، فطرح عنه جلد الدب وهرول مسرعا الى ابي مسلم ليزف اليه النبا ، فوجده ساهرا في انتظاره فلما اخبره بما كان سر ابو مسلم واثنى عليه ووعده بالجوائز الحسنى

واما الضحاك فقد كان متفقا مع ابراهيم على دس السم في قدح ابن الكرمانى ، وان يخرجا ليلتقيا في طرف المعسكر ويذهبا معا الى ابي مسلم ، فلما رأى ان ابراهيم افلت ، ظن انه فعل ذلك عمدا على ان ينتظره في المكان المتفق عليه فاسرع في اثره . ولكنه شعر في انشاء الطريق بطعم غريب في فيه ، واحس بانحطاط في قواه ، فنسب ذلك الى تأثير الشرب ، وخطر له انه ربما اصابه شيء من السم خطأ منه ، فعزم على سؤال ابراهيم . ولما وصل الى طرف المعسكر لم يجده ، فساء ظنه به ووقف يفكر فيما حدث في هذين اليومين ، فادرك ان ابا مسلم خدعه وسأيره حتى نال مراده بقتل ابن الكرمانى ثم اراد قتله هو ليتخلص منه . لكنه لم ير سببا يدعو الى ذلك لظنه ان ابا مسلم لا يعلم انه من امراء الخوارج . فرأى ان يذهب الى ابي مسلم ويلقاه على حذر ، فسار الى قصر الامارة حتى اذا اقبل على باب القاعة سأل الخارس عن الامير فقيل له انه في غرفته ، فهم ان يستأذن في الدخول عليه ، ثم وقف يفكر ، وكان الخارس قد عرفه بالامس ورأى ما كان من احتفاء ابي مسلم به ، فجلس الضحاك اليه واخذ يمازحه ويحدثه حتى اطمان اليه . فسأله عن الامير ومن عنده ، فقال : « عنده خازنه اليهودى »

قال : « الا يزال يهوديا حتى الآن ؟ »

قال : « يتظاهر بالاسلام والاسلام برىء منه ، فان هؤلاء اليهود فرحوا بالاسلام لانه نجاهم من ظلم الاكاسرة والقياصرة واكسبهم الاموال من العرب لانهم يعدونهم ابناء عمومتهم »

قال : « وهل ابراهيم مع ابي مسلم الآن ام خرج من عنده ؟ »

قال : « اظنه لا يزال عنده اذ لم يمض على دخوله زمن طويل »

قال : « فهو مشغول الآن »

قال : « وهل تريد ان تلقاه ؟ »

قال : « لا ، ولكنني كنت قد جئت اثناء النهار لاكماله في امر ، فبعد ان جلست في هذه القاعة دخل بي الى غرفة اخرى من باب آخر . وقد تركت هناك كتابا كان معي ، وضعته قرب مجلسي ونسيتته حينما نهضت ، فهل تظنني اجده في مكانه »

قال : « ينبغي ان يكون هناك ، هل ابحت لك عنه ؟ »

قال : « لا يصح وانت حارس ان تترك الباب ، اما اذا اذنت لي فاني ادخل للبحث عنه ثم اعود لاني اعلم بمكانه منك »

قال : « ادخل واحذر ان تحدث صوتا يشعر به الامير »

قال : « اطمن . وخلص نعليه فتابطهما ودخل القاعة ، فمشى نحو الغرفة التي علم ان ابا مسلم فيها مع ابراهيم . فلما دنا من بابها سمع ابا مسلم يقول : « هل ارسلتهما حقا الى خوارزم ؟ »

قال ابراهيم : « قد ارسلتهما الى خوارزم تنفيذا لامرك ، واظنهما الآن في عالم الاموات ! »

قال : « اخشى ان تكون اخطأت ونسيت المحروري الذي كان يحسب انه نجح في خداعنا عليه لعنة الله ، بقي ان اعهد اليك بامر يهمني ولك منه نفع كبير واجر كثير »

وكان الضحك واقفا بالباب يتسمع ممسكا انفاسه لئلا يسمع لها صوت ، وپوشك لعظم اضطرابه ان يسمع دقات قلبه ، واحس بارتعاش قدميه ، فقعده القرفصاء واصاخ بسمعه فاذا ابراهيم يقول : « بماذا بامر مولاي ؟ »

قال ابو مسلم : « بقي على ان اتخلص من شيبان امير الخوارج ، فاذا قتلناه تبعثر جند العرب وخلصت الدولة لنا »

قال : « هذا هو الصواب ، هل تريد ان ارسله الى خوارزم كما ارسلت ابن الكرمانى وشيبيا الملعون ؟ »

قال : « اخاف الا تنطلي عليه الحيلة ، فليس لنا في داره فتاة مثل الذهبانة تيسر علينا العمل . فارى ان نستقدم شيبان اليها بحجة التشاور في امر المحالفة ونقتله فيخلو لنا الجو »

قال : « ذلك امر يسير اذا شئت فعلته »

وساد السكوت ، فخاف الضحك ان يهم ابو مسلم بالخروج ، فاصاح بسمعه فلم يسمع حركة ، فعلم انه يفكر ثم سمعه يقول : « اذهب الآن ،

وسأنتك ماذا ينبغي أن تفعل ؟

فأدرك الضحاك أنها خارجان فرجع القهقري وودع الخاراس وشكره ، ثم سار مسرعا حتى خرج من مرو ، ومضى الى معسكر الخوارج وهو يلعن ذلك اليهودي الذي كان سببا في فشله . فمر في طريقه بمعسكر ابن الكرمانى ، فخطر له خاطر أنشرح له صدره لما توهمه فيه من السداد . قال في نفسه : « لأذهبن الى امراء اليمنية أصحاب الكرمانى ، وأطلبهم على مكيدة أبى مسلم وكيف اغتال أميرهم وأحرضهم على مخالفتنا » . ثم بدل ثيابه وأسرع الى فسطاط امير من اليمنية كان يعرفه ، فلما وصل اليه اعترضه أحد الخراس فسأله عن الأمير ، فقال : « أنه ذهب الى مرو منذ ساعة »

قال : « ولماذا ؟ » . قال : « لأن أبى مسلم دعا امراء اليمنية جميعهم اليه »

قال : « وهل ذهبوا جميعا ؟ » . قال : « نعم »

فبهت الضحاك لذلك الدهاء ، وتحقق أن أبى مسلم بعث اليهم ليكونوا في قبضته حتى اذا أصبح الصباح وعلما بموت ابن الكرمانى كان هو في مأمن من عصيانهم . ووقف برهة يفكر فيما ينبغي أن يفعل ، فلم ير حيلة غير الفرار بالخوارج الى أن يتسنى له سبيل للانتقام . فأسرع الى معسكرهم وهو يخاف أن يكون أبو مسلم قد دبر حيلة لاقاعهم وقد صار يرى أن هذا الرجل قادر على كل شيء ، فقصده الى شيبان حتى اذا أقبل على فسطاطه دخل وقص عليه ما وقع له وقال له : « لم يبق لنا أرب في البقاء هنا ، فانصرف برجالك الى مكان تلبث فيه عسى الله أن يحدث أمرا »

فتردد شيبان في أول الامر ، ثم اقتنع فأمر بالرحيل ، وطلب من الضحاك أن يصحبه فقال : « دعنى ألدبر الأمر ، فانى لن أرجع من هذا اغراسانى حتى انتقم منه شر انتقام » . قال ذلك وخرج



تركنا جلنار وقد استلقت في حجرها تحاول الرقاد ولا تستطيع لهول ما شاهده تلك الليلة من الأمر العظيم ، وريحانة الى جانبها تخفّف عنها وتفكر في الورطة التي وقعتا فيها ، وتبحث عن حيلة تنجوان بها من ذلك المعسكر قبل أن يصبح الامراء وعلما بموت ابن الكرمانى . فتذكرت الضحاك فقالت : « الآن وقت الضحاك ، انه لا يضيع الا عند الحاجة اليه »

فقالت جلنار : « وأين هو ؟ لا اظنه يتركنا الليلة وهو يعلم ما نحن فيه ، فلا بد من مجيئه عاجلا »

فقالت ريحانة : « واذا لم يات ؟ »

قالت : « الا ترين أن نحتال في الذهاب الى أبى مسلم في مرو ؟ »

فاطرت ربحانة هنيهة ثم قالت : « وما قولك في الرجوع الى بيت سيدى الدهقان ، فنقص عليه ما حدث فانه اذا علم بفوز ابى مسلم وموت ابن الكرمانى . . فلا شك انه يرضى بابى مسلم بعلا لك فترفين اليه مكرمة معززة »

فشق على جنار ان تعود الى بيت ابيها وتبعد عن مقر حبيبها ، فقالت : « ولماذا ذلك ؟ السنا على مقربة من مرو ؟ . وقد كان ابو مسلم يؤجل امرنا حتى يقتل ابن الكرمانى ويفتح مرو ، وقد تم له ما اراد ، ولم يعد هناك ما يدمو الى التأخير ؟ »

قالت : « لا اطمح يا سيدتى . فلو كان هذا قصده وقد علم بموت ابن الكرمانى لوجب ان يرسل اليك من يحملك اليه الآن »

قالت ذلك واطرقت ، فرفعت جنار نظرها وتفرست في وجهها لعلها تفهم شيئا مستترا وراء تلك العبارة ، فرائها مطرقة وفي وجهها ملامح الارتباب فقالت لها : « وماذا تعنين ؟ »

قالت : « لا اعنى شيئا ، ولكننى اقول مايجول بخاطرى ، واثت تعلمين انى اشد الناس رغبة في حفظ كرامتك . وان زفاف الفتاة من بيت ابيها لا يحفظ لكرامتها ، غير انى لا اشك في مقاصد ابى مسلم ولكننى احسبه مشتغلا الآن بتدبير شؤون ما بعد الفتح . فذهابك الى بيت ابيك والانتظار حتى يفرغ ابو مسلم من مهام الدولة لا يقلل شيئا من حبه لك او رغبته فيك »

وفينا هما في ذلك سمعتا سعال الضحاك وسط الخباء فاجفلتا ، ثم هرولت ربحانة نحو مصدر الصوت وهى تتعثر بأذيالها من المفاجأة والفرح ، وظلت جنار في فراشها وقلبها يكاد يطير من شدة الخفقان ، ثم رأت ربحانة عائدة يتبعها رجل غير الضحاك ، عليه قلنسوة طويلة بدون عمامة ، وجبة سوداء طويلة مثل زى اهل خراسان ، وقد احفى شاربيه وقص أطراف حاجبيه وقطبهما وقص لحيتيه . ولكنها ما لبثت ان عرفت انه الضحاك متنكرا ، فهشت له كما تهش لاقرب الناس اليها وابتمت وهى تقول : « لقد صدق ظنى ، انك لا تتركنا على ما نحن عليه . ما الذى اصاب ذلك الرجل ؟ اظنه يموت ؟ »

قال : « بل اظنه مات لانى رايت اهل لسطاطه في هرج واضطراب »

قالت : « فما العمل الآن ؟ »

قال : « ارى ان ترجى الى بيت سيدى الدهقان »

فلما سمعت ربحانة قوله التفتت الى سيدتها ولسان حالها يقول : « الم اقل لك ذلك ؟ »

فقالت جنار : « وكيف نذهب ؟ »

قال : « نذهب بأخف ما عندنا ، وأنا أدبر ذلك على أن تكتفى امرى عن كل انسان »

فاستغربت وقالت : « ماذا تعنى ؟ »

قال : « اعنى انى رهن اشارتك ولا ازال عبدك المطيع ، ولكننى لا احب أن يعلم أحد فى الدنيا أنى على قيد الحياة ، ولا تسألينى السبب الآن . أما اسمى الجديد فهو صالح ؟ »

فقلت : « سأفعل ذلك ، فما العمل يا صالح ؟ »

قال : « سأعد كل شىء حتى نتمكن من الرحيل فى الصباح والناس فى شغل هنا »

قلت : « الا ترى أن نصبر الى القدر لعل أبا مسلم يبعث بمن يحملنا اليه ؟ »

قال : « اذا شئت بقينا ، ولكننى لا أرى أبا مسلم باعنا اليك غدا ولا بعد غد ! »

فلم تستغرب قوله لأنها سمعت مثله من ربحانة ، لكنه لم يعجبها فقالت : « وكيف لا يبعث الى وأنت قلت لى انه انما أخر اجتماعنا حتى يفرغ من الحرب ويقتل هذا المسكين على يدنا ، وقد حدث هذا ، فهل من سبب آخر للتأجيل ؟ »

فقال : « لا ، ولكن أبا مسلم اليوم فى شغل عظيم بأمر هؤلاء اليمينية بعد مقتل أميرهم ، فاذا لم يتلاف أمرهم خاف عصيانهم أو انحيازهم الى الخوارج . ومهما يكن الأمر فان الذهب الى بيت أبيك أحفظ لكرامتك ، وليس ثمة ما يمنع أبا مسلم أن يطلبك من مولاى الدهقان فتزفين اليه معزة مكرمة »

فأذعنت وأشارت اليه أن يفعل ما يشاء

فقال : « مرى الخدم بأن يطيعونى ، ولا تقولى لهم انى الضحاك »

فاشارت الى ربحانة أن تفعل ما قاله . فخرجت ربحانة وقالت لقيمة الغباء : « لقد بعث مولانا الدهقان الليلة هذا الرجل ليرجع بنا اليه فى الصباح فاعملوا بأشارته » . فأخذ الضحاك فى الاستعداد للرحيل



في مجلس أبي مسلم

كان الدهقان قد زوج ابنته بابن الكرمانى طمعا فى الكسب على يده ، لاعتقاده بقوة الكرمانى وكثرة رجاله ، ولاستخفافه بأبى مسلم لقلة رجاله وصغر سنه ، وأصر فى قلبه انه اذا انقلبت الآية ورجحت كفة أبى مسلم تقرب اليه بالأموال والرجال . فكان لا يفغل عن استطلاع أحوال الجنود المسكرة حول مرو ، وكانت الأخبار تأتيه تباعا كلها تدل على نجاح الحراسانيين وتغلبهم . حتى اذا جاء الخبر بدخول أبى مسلم مرو حليفا لابن الكرمانى مع بقاء هذا فى معسكره تحقق فوز الحراسانيين ولبت يتوقع فرصة يتقرب بها من أبى مسلم وهو يظنه غير عالم بزفاف جلنار الى ابن الكرمانى ، فلما بلغه أن أبا مسلم دخل مرو ، بعث اليه بالهدايا والأموال ، وكتب اليه يهنئه بالنصر ، وأنه بذل جهده فى جمع كلمة الدهقانيين على نصرته . كل ذلك وهو لا يعلم بموت ابن الكرمانى ، فلما جاء الخبر بقدم ابنته خرج لاستقبالها وقبلها ورحب بها مستغربا بمجيئها ، ولما سألها فى ذلك لم تتمالك عن البكاء ، فأجابته ريحانة أنها ستطلعه على السبب فى خلوة . فأخرج من فى حضرة من الناس ، فقالت ريحانة : « ان مولاتى الدهقانة تبكى حرقا على سوء حظها »

قال : « ولم ؟ ماذا جرى ؟ »

قالت : « ان خطيبها توفى فى هذا الصباح فجأة »

قال : « على بن الكرمانى مات ؟ » . قالت : « نعم يا سيدى »

فأطرق يحك ذقنه ويعمل فكرته وقد ثبت عنده انتصار الحراسانيين وفشل الصرب فذهبت بقية آماله فيهم ، ونظر الى جلنار فاذا هى مطرقة تبكى ، فظنها تبكى زوجها وهى انما تبكى شوقا لحبيبها وضياعا آمالها ، لأنها كانت تتوقع أن ترى منه اهتماما بأمرها . فلما رآها الدهقان تبكى ، رق لها وقال : « لا تبكى يا جلنار ولا بأس عليك » . ثم وجه خطابه الى ريحانة وقال : « سمعتك تسمين ابن الكرمانى خطيبا وأنت تعلمين أننا عقدنا له عليها وزفناها اليه »

قالت : « نعم ولكنه لم يدخل على سيدتى بعد » . وحكت له ما كان من اشتراطه على نفسه فتح مرو قبل ذلك ، وأنه مات غداة الفتح

فلما علم بذلك انقضت غياهب الفشل عن قلبه ورأى في عودة جلنار اليه بابا جديدا للتقرب من أبي مسلم لاعتقاده أن أبا مسلم يرغب في مصاهرته . فنظر الى جلنار وهو يبتسم تخفيفا لاضطرابها وقال : « لا بأس عليك ، اني سأعوضك من ابن الكرمانى من هو خير منه وأقرب الينا وطنا ولغة وعادة »

فأدركت جلنار أنه يشير الى أبي مسلم ، فسرى عنها ، وانتعشت آمالها لأن أباها صار عوناً لها في الوصول الى حبيبها ، فأمنت ما كانت تخشاه من زواجها بأبي مسلم بغير علمه أو رضاه . فلما سمعت كلامه قالت : « بارك الله لي فيك من أب رحيم »

فأشار اليها أن تذهب الى غرفتها لترتاح من وعناء السفر ، فنهضت وريحانة معها فسأل أبوها : « وأين الضحاك انى لا أراه معكما ؟ » قالت ريحانة : « لا ندرى ما أصابه ، فقد ذهب بالأمس ونحن بعد في معسكر ابن الكرمانى ثم لم نره بعد ذلك »

قال : « وكأني رأيت معكما رجلا عليه القلنسوة والجببة ، فمن هذا ؟ » قالت : « هو رجل من أهل مرو اسمه صالح ، جادنا به ابن الكرمانى يوم الفتح وأضافه الى الخدم بدلا من الضحاك ولا بأس به »

ومشى الدهقان والدهقانة ، وعاد كل منهما الى حجرته وفى نفسه أنه خدع صاحبه . وأخذ الدهقان يفكر فى السبيل المؤدى الى نيل الخطوة فى عينى أبي مسلم بعد أن أصبح له الأمر فى خراسان ، فاعتزم بعد طول التفكير أن يزوجه ابنته ، على أن ينتظر جوابه على تهنيئته التى كتب بها اليه يوم الفتح . ولبت فى الانتظار يومين ، وفى اليوم الثالث جاء رسول أبي مسلم ومعه كتاب يثنى به عليه ويستقدمه اليه ليقيم عنده . فلما تلا الكتاب أسرع الى جلنار وأطلعها عليه ، فكان سرورها أعظم من سروره ولكنها أحببت أن تستوثق من أمر سيرها معه فقالت : « وهل عزمتم على السفر الى مرو ؟ »

قال : « وهل أستطيع غير ذلك ؟ »

قالت : « ومتى تذهب ؟ » قال : « ربما ذهبت غدا »

قالت : « ألا تحمل اليه الهدايا والأموال ؟ » قال : « لا بد من ذلك ، لأن الرجل أصبح ملك خراسان ، وأرى دعوته ناجحة لا ريب فيها ، فيجب أن نبذل جهدنا فى التقرب منه . وأرجو أن تساعدني على ذلك »

قالت : « أنا فتاتك ورحن اشارتك »

قال : « اذا أطلعني لم يبق شك فى فوزنا ، لأن النصر حاله ، وقد أخبرني رسوله حامل الكتاب بأن الخوارج رحلوا عن مرو ، وإن الذين بقوا أحياء من رجال الكرمانى انضموا الى جند أبي مسلم ، فهو الآن زعيم القوم

وامير مرو ، ولا يلبث أن تدعى له بلاد خراسان وما ورامها . فالتقرب منه غنم لا شك فيه »

فادركت أنه يشير الى امر زواجها منه ، فقالت وقد أشرق وجهها سرورا رغم ما تكلفته من السذاجة : « انتى لم أخالفك فى أمر على بن الكرماني وهو بعيد عنا جنسا ولغة ، فكيف أخالفك فى أمر خراساني هو كما وصفته » قال : « بورك فيك من ابنة مطيعة حكيمة » . وضما الى صدره وقبلها ثم قال : « سأذهب فى الغد وأغتتم أول فرصة لأكلمه فى شأنك ، ثم أبعت اليك فتاتى بموكب يليق بمقامنا »

فعلمت أنه لا ينوى اصطحابها ، فرضيت بما أراده وانتعشت آمالها فظهرت الارتياح ولكنها كانت تفضل الذهاب معه فقالت : « وما ضرك لو ذهبت معك فادخل مرو وأتفرج ريثما يتم لك ما تريد »

فأطرق لحظة ثم قال : « لا بأس من ذهابك معى ، فأتركك عند صديق لى من دهاقين مرو أعدهم يقيم بقصره بجوار دار الامارة »

ففرحت جلتار وظهر الفرح فى وجهها ، فأمر الدهقان خازنه بأن يمد الأموال ليحملها معه الى مرو ، وأن يعدوا الهدايا من الرقيق والثياب والأشياء الثمينة

وفى صباح اليوم التالى ركب فى كوكبة من الفرسان ، وجعل الهدايا فى حلة تسير فى أثره ومعها هودج جلتار وريحانة ، ومشى صالح مع الخدم . وفى المضجى وصل الموكب الى مرو يتقدمه رسول أبى مسلم . فدخلوا المدينة وساروا حتى أقبلوا على دار الامارة ، فأمر الدهقان أن ينزلوا جلتار فى قصر صديقه بقرب الدار فأنزلوها ، وترجل هو ورجال حاشيته يمشون بين يديه وعليهم الألبسة الفاخرة وبمناطقهم السيوف المحلاة بالذهب ، حتى أقبلوا على باب القصر وعليه الحراس . فاستأذنوا للدخول فأذن له أن يدخل وحده ، وأن يتحول رجال حاشيته الى دار الأضياف فدخل الدهقان وعليه قلنسوة حولها عمامة موشاة بالذهب وقد ارتدى جبة من الخز فوقها مطرف من الحرير المزركش يساوى مالا كثيرا . ونزع سيفه ودفعه الى بعض الخدم السائرين بين يديه

دخل القصر ومشى فى الصحن الداخلى حتى وصل الى القاعة التى يعقد فيها مجلس أبى مسلم ومعه نقباؤه وقواده . وهناك وجد فى صدرها أبا مسلم على كرسى ، وإلى جانبه خالد بن برمك وسليمان بن كثير وجماعة من النقباء فرحب به أبو مسلم وأمر له بالجلوس بين يديه ، فجلس وأعاد التحية ، فقال له أبو مسلم بالفارسية : « نشكرك على هداياك أيها الدهقان »

قال : « لم أهد شيئا وإنما قدمت ما يجب »

قال أبو مسلم : « بل أنت تفضلت ، ولا ننسى ضيافتك يوم نزلنا عندك » فانشرح صدر الدهقان لذلك الأطراء وقال : « كل ذلك واجب فمت به

لأن نصرة دعوتكم فرض على كل خراساني أو فارسي »
فنظر أبو مسلم إلى خالد فرآه ينظر إليه ، ثم حولا نظرهما إلى الدهقان
فإذا به يزداد تصدرا ويده في لحيته يمشطها بأنامله ، فقال له أبو مسلم :
« هل كنت عالما بذلك قبل الآن ؟ »

فاستغرب الدهقان السؤال وأوجس خيفة منه لعلمه أن أبا مسلم قليل
الكلام كثير المعاني ، فقال : « كيف لم أكن أعرفه ؟ ألا تذكر مجلسنا تلك
الليلة يوم تليت علينا وصية الامام وتماقدنا على نصرة هذه الدعوة لأنها
أمانة في عنق كل فارسي ؟ »

قال : « أتذكر نص الوصية ؟ »

قال : « أذكر فحواها »

قال : « وما فحواها ؟ »

فأجفل الدهقان من تدقيقه وازداد خوفا مما وراء ذلك ، ولكنه أسرها في
نفسه وقال : « أذكر أنه يوصيك بالألا تبقى في خراسان لسانا عرييا ، وإن
تقتل من شككت فيه »

ونظر أبو مسلم إلى الدهقان متفرسا ، فلم يطق الدهقان صبرا على تلك
النظرة خوفا من عواقبها وأطرق ، فقال له أبو مسلم : « وهل عملت بهذه
الوصية ؟ » وهل سمعت معنا على العرب أعدائنا ؟ » قال ذلك بلهجة
المرتاب وتجاهل العارف

فتجلد الدهقان وقال : « كيف لا وأنا لم أدخر وسعا في بذل الأموال
واستنهاض الدهاقين لنصرة هذه الدعوة » . وكان الدهقان يظن أبا مسلم
غير عالم بزفاف جلنار إلى ابن الكرمانى . فقال أبو مسلم : « أمن نصرة
المعجم على العرب أن تزف ابنتك إلى ابن الكرمانى ومعها الهدايا من الرقيق
والمال ؟ »

فوقع الرعب في قلب الدهقان ولم يدرك كيف يجيب ، ورقصت لحيته
وارتعشت أنامله وبدت الحيرة في وجهه ، ولكنه تجلد وقال : « إن زفاف
ابنتي إلى ذلك العربي إنما كان قبل مجلسنا الذى أشرت إليه
فقال : « ألا تذكر أن الفتاة كانت في بيتك لیسلة ذلك الاجتماع وقد
جالستنا ؟ »

فارتبك الدهقان في أمره وأخذ يتشاكل بأصلاح قلنسوته ومطرفه ويبلع
ريقه ويتنحج وقد امتنع لونه ، ثم قال : « انى رأيت من الفتاة ميلا إلى
ابن الكرمانى فسأيرتها فيما ترضاه لأنها وحيدتى »

قال : « أصبح ما تقول ؟ »

قال : « هذا هو الصحيح ورأس الأمير »

فقال : « واذا كنت كاذبا ؟ »

فلما سمع الدهقان ذلك ازداد رعدة وصار ينتفض ، والتفت الى من حوله من القواد والنقباء لعله يجد بينهم من ينصره ، فرآهم مطرقين لا يستطيع أحد منهم أن يفوه بكلمة ، فلم ير بدا من الجواب لأن السكوت اقرار بالكذب . ولم يكن يخطر له أن أبا مسلم مطلع على سر ابنته فقال : « حاشا لي أن أكذب بين يدي الأمير »

فقال أبو مسلم : « ان العقد لم يتم الا بعد زيارتنا ، وابنتك لم تكن راضية بذلك العربي وانما أنت رضىته لها استخفافا منك بدعوتنا وتزلفا الى العرب . وقد جادلتك هي في شأنه في الليلة التي كنا فيها عندك فكنت تصر على تزويجها به »

فلم يبق أحد من الحضور حتى خالده بن برمك الا وقد دهش من اطلاع أبي مسلم على هذه التفاصيل على انشغاله بمهام القيادة وتدبير شؤون الدعوة ، وجعلوا يتلفتون بعضهم الى بعض والدهقان يكاد يموت خوفا وقد جدد الدم في عروقه وود لو خسفت به الأرض وابتلعت ، ولم يعر جوابا . واستولى السكوت على الجلوس ، وهم مطرقون لا يتحركون كأن على رؤوسهم الطير ، الى أن وجه أبو مسلم خطابه الى النقباء وسألهم : « ما قولكم في هذا الحراساني الذي سمع وصية الامام بابادة العرب فنصرهم وصاهرهم ثم يقول انه ينصرنا ؟ »

فلم يجب أحد منهم بكلمة لعلمهم أنه لا يستشيرهم وانما هو يهدد الدهقان ، ثم قال له : « انك لم تحفظ وصية الامام ، فبدلا من أن تنصر الحراسانيين نصرت العرب وقد نصرتهم وهم أعداؤنا . أما أنا فالوصية منقوشة على صدرى أصعل بها »

فادرك الجميع مراد أبي مسلم حتى الدهقان نفسه ، وفهموا أنه يشير الى قول الامام : « من شككت فيه فاقتله » . فنظر الدهقان الى أبي مسلم نظرة المستغيث . فقال أبو مسلم : « ان طاعة الامام أولى من طاعة كل انسان ، وقد أوصاني أن أقتل كل من أشك فيه ، وقد شككت فيك فلا مفر من قتلك » . ثم نظر الى الباب فدخل أربعة على كل منهم دراعة من الجلد الى أسفل الركبة عليها رشاش من الدم ، وعلى رأسه قلنسوة طويلة ذات شعبتين عليها شيء من آثار الدماء ، وحول الدراعة منطقة من جلد علق فيها سيف

فلما دخلوا علم الدهقان أنهم الجلادون وسمع أبا مسلم يقول لهم : « خذوا هذا الحائن الى خوارزم »

فعلم الدهقان أنه يأمر بقتله ، فنهض وترامى على قدمي أبي مسلم وجعل يتضرع ويتوسل وهو يبكي ويقول : « اصفح يا مولاى عن ذنبى أعطك كل ما أملك »

فاجابه أبو مسلم وهو ينظر الى سقف القاعة : « ان مالك لنا قتلت أو بقيت حيا » . فلما لم ير الدهقان اصفاء من أبي مسلم ، تحول الى خالد بن برمك وتراعى على قدميه واستشفعه ، فرق خالد له ولم يكن أحد يجزؤ على مخاطبة أبي مسلم في شيء غيره ، فهمس في أذنه كلاما ، فقال أبو مسلم : « قد أجلنا قتله الآن ، خذوه الى السجن وسننظر في أمره » .

فتقدم الأربعة وساقوا الدهقان حتى خرجوا من باب سرى يؤدي الى غرفة مظلمة وضعوه فيها



نزلت جلنار في قصر الدهقان صديق أبيها بجوار دار الامارة ، وقد استأنست بقرب الحبيب . فانزلها صاحب القصر بين نسائه ، فلقبت عندهن كل اكرام واختفاء ، ولاسيما من الدهقان صاحبة المنزل ، لأنها كانت تعرفها وتعرف أمها قبلها ، ولكن جلنار لم تكن تستأنس بأحد لاشتغال ذهنها بأبي مسلم وما عسى أن يدور بينه وبين أبيها في شأنها ، وكانت تختلس الفرص لتخلو بريحانة وتحادثها فيما يهمها في انتظار عودة أبيها من تلك الزيارة . وعند الظهر كان أهل البيت ينتظرون مجيء الدهقان ليأكلوا معا ، فلما أبطل ظنوه أكل على مائدة الأمير فتخدوا وجلنار أكثرهم قلقا على غيابها ، لا خوفا على حياتها لأن ذلك لم يخطر لها ببال ، بل حبا في معرفة ما دار من الحديث عنها وقضت بقية ذلك النهار وهي على مثل الجمر ، وريحانة تعدها وتمنيها حتى أمسى المساء . فلاحظت في أهل القصر تفسيرا ورائهم يجتمعون ويتسارون ، وإذا لقوها تظاهروا بالمجاملة والمحاسنة فقلقت وأنبأت ريحانة بما لاحظته ، فقالت لها : « وأنا أيضا لاحظت ذلك فيهم » .

فقالت جلنار : « لا بد من أمر حدث لأبي »

وما أتمت كلامها حتى جاء خادم يقول لجلنار : « ان أحد خدمكم بالباب » فنهضت ريحانة وتبعته جلنار حتى أقبلتا على الباب ، فإذا هناك صالِح (أو الضحاك) وفي وجهه اضطراب فقالت ريحانة : « ما وراءك ؟ »

قال : « ادخلاني الى مكان لا يسمى فيه أحد سواكما »

فدخلتا به الى غرفة وأقفلتا الباب فجلس وجلنار يتزايد قلقها وخفقان قلبها حتى بدأ صالِح بالكلام فقال لها : « هل سمعت ما حدث اليوم في مجلس أبي مسلم ؟ » . قالت : « لا » .

فقص عليها ما دار بين أبي مسلم وأبيها كأنه كان حاضرا حتى بلغ الى حيث أمر أبو مسلم بقتله ، فاقشعر بدنهما وامتقع لونهما ، ثم أخبرها بتوسط خالد بالمفو عنه وأنهم أجلوا قتله وحبسوه . فطار صوابها ، وقالت :

« أبحكم على أبي بالقتل ٠٠٩ ولماذا ؟ »

قال : « لأنه زفك الى ابن الكرماني ورغب في مصاحرتة وهو عربي ، وكان مولاي الدهقان يدعى التحزب للفرس »

فاطرت ثم التفتت الى ريحانة كأنها تستطلع رأيها ، فرأتها اشد حيرة منها فنظرت الى صالح وقالت : « هذا أوان المروءة وصديق الخدمة » وترقرق الدمع في عينيها

فوقف صالح وقال : « اني رهين أمرك يا مولاتي والذي أراه . . » وسكت . فازدادت جلنار قلقا لتردده فقالت : « قل ، ما الذي تراه ؟ »

قال : « لا أرى أحدا يستطيع التوسط في ذلك بسواك »

فصادف قوله هوى في نفسها ، فقد طالما تمننت لقاء هذا الذي وهبته قلبها وظنت أنه يادلها حبا بحب ، ولم يتسن لهما أن يجتمعا . فرأت في ذهابها اليه للشفاعة في أبيها ما قد يمهّد السبيل الى ما تطمح فيه من عتاب المحبين ، فنهضت وقالت : « سأذهب اليه الآن »

فقال صالح : « حسنا تفعلين ، وأنا أستأذن لك عليه من الحاجب فقد عرفته وهو الذي قص على الحديث اليوم . انهضى غير مأمورة ، وتخمرى ريشا أعود اليك بالأذن » . وخرج

فدخلت جلنار حجرة هناك ، وأصلحت من شأنها قليلا والتفت بالمطرف المزركش ولقت رأسها بشال موشى . فقالت ريحانة : « هل أذهب معك يا مولاتي ؟ »

قالت : « ربما لا يأذن لنا بالدخول معا وأنا أحب أن أخاطبه على انفراد »

ثم جاء صالح يقول : « هلم يا مولاتي ، قد أذن الأمير »

فنهضت وقد تسارع خفقان قلبها وتصاعد الدم الى وجهها فخرجت من باب القصر والليل قد سدل نقابه . ولم تمش خطوات قليلة حتى أطلت على باب القاعة وصالح يمشى بجانبها . فقال لها : « لا يخلو دخولك حتى أطلت على الأمير من باعث على الحذر ، فكوني على يقين اني آتيك كما تأتي المردة اذا شعرت بضيق ، ولكن احذري أن تناديني باسمي القديم »

فاوجست من هذا التحذير خوفا ، ولكنها شغلت بما حاجه فيها لقاء أبي مسلم لأول مرة على انفراد ، وفي قلبها من لواعج الحب وعوامل الاعجاب ما فيه ، فاوصلها صالح الى الباب وأشار الى الحاجب فوقف لها وأدخلها القاعة وقد وسع لها ستر الباب بيده ، فرأت قاعة كبيرة في بعض أركانها شموع منيرة . وفي صدر القاعة رجل متكئ على وسادة وعليه ثياب الامارة كأنه في مجلس الحكم ، فسبقها الحاجب حتى وقف بين يدي الرجل وقال : « قد أنت الفتاة التي استأذنت في الدخول على الأمير »

فقال أبو مسلم : « أين هي ؟ » وأشار بيده الى الحاجب فخرج ، ومشّت

جلنار وهي تخطو الهويناء ورجلاها لا تساعداها على السرعة لما ساورها من رعب لدخولها وحدها على أبي مسلم . وإذا كان الرجال الأشداء يرتعدون في حضرته ، فكيف بفتاة مفتونة قاست الصعاب للحصول على رضاها ؟

فلما أقبلت جلنار، اعتدل أبو مسلم في مجلسه وكان يلبس الصمامة السوداء والجبّة السوداء ، وقال بالعربية : « أهلا بالدهقانة »
فاجابته بالفارسية : « لست دهقانة وإنما أنا أمك »

فأشار اليها أن تقعد فقعدت على وسادة بين يديه ، وقد أرعبتها الخلوة مع رجل تحبه وتعتقد أنه يحبها فغلب عليها الحياء تمازجه رعشة الحب . ثم تذكرت أباهما وأنها أنت من أجله ، فلبثت تنتظر ما يقوله أبو مسلم . فقال لها بالفارسية : « أراكم لا تحبون من الفرس الا لغتهم ، وأما فيما خلا ذلك فأنتم عرب »

فأدركت أنه يعرض بالسبب الذي حكم على أبيها من أجله ، فرفضت بصرها اليه فلم تستطع التفرد في وجهه ، وأحسّت كأن سهاما تتطاير من عينيه الى عينيها ، وكان نورا باهرا يسطع من حدقتيه فيبهز الناظر اليهما . فقالت وهي مطرقة : « وكيف نكون عربا وقد بذلنا النفس والنفيس في سبيل الفرس؟ » على أننا لو أردنا أن نكون عربا ما استطعنا الى ذلك سبيلا
قال : « وأنت أيضا تتعبدن خداعي ؟ »

فلما سمعت ما في كلامه من الجفاء رأت غير ما غرسه الضحك في ذهنها من حبه لها ، على أنها حملت ذلك منه على عمل غضبه من أبيها فقالت : « حاش لله أن أخادعك، وما أنت ممن يخدعون لأنك تخترق القلوب بعينيك وتكشف غوامض الأسرار بذكائك ، فاني لغتاة مثل أن تجرؤ على خداعك ولكنني أقول لك الحق »

فقطع أبو مسلم كلامها وقال : « الحق أن أبالك خدعنا ، فقد تقرب منا وأظهر الميل الى نصرتنا ، على حين كان يخابر ابن الكرماني ليصاخره وقد زكك اليه . هل تنكرين ذلك ؟ »

فأفحمها ، ورائ أن تطرق باب الاستعطاف بالحب فقالت : « لا ريب أن أبي ارتكب خطأ كبيرا بنزويجي من ذلك العربي ، ولو علم ما في قلبي لما رضى به . ومع ذلك فإن ذلك العربي المسكين لم يبل من آماله غير الفشل ، فقال : « لقد خدعنا أبوك وأثار الشك عندنا في تصرفه ، فحل لنا قتله عملا بوصية الامام صاحب الهدوة »

فصاحت : « العفو يا مولاي ، اعف عن أبي وإن كان ذنبه كبيرا . ان المصاهرة التي تنهونه بالاقدام عليها خداعا كانت سببا في أن عجلت بقتل عدوك . وهب أن أبي فعل ذلك رغبة عن أبي مسلم ، فإن في هذا القلب (وأشارت الى صدرها) من الحب له، ما لو تفرق في عشيرة لكان كل منهم

عاشقا ، • وشعرت عندما نطقت بهذه العبارة ، بأنها تسرعت فى اظهار شعورها •• ولكنها لم تستطع صبرا ، وقد أرادت أن تستطلع ما فى قلبه أما هو فلما سمع تصريحها بحبه استغربه وعده تهورا ، فأغضى عنه وقال : « انى اشكرك على حيك آيتها الدهقانة ، ولا أنكر أنك خدمت الخراسانيين ، غير أن ذلك لا يبرىء أباك »

فاستغربت جوابه « البارد » على خطابها الحار ، وقالت : « ألا تزال تذكر ذنب أبى بجانب اخلاصى فى حيك ؟ »

قال : « لا تقولى حبى ، بل قولى حب دعوتى ومنفعة خراسان »
فأنكرت تنصله من الحب وشعرت بأنها فى واد وهو فى واد ، فقالت : « بل فى حيك أيها الأمير »

قال : « وما الباعث على ذلك والحب ينتهى الى الزواج ، وأنا لا مارب لى فى النساء وأعد الزواج جنونا ، فقد تزوجت ويكفى للانسان أن يجن فى حياته مرة واحدة • وأعلمى يا جلنار انى لو كنت ممن يهيمون بالنساء لما استطعت القيام بالدعوة التى أنا قائم بها • • وكانت جلنار تسمع كلامه وقلبها ينفطر غيظا خيبة أملها ، لكنها تجلجت وقالت وصوتها يرتجف : « ألم تحبنى من قبل ؟ »

قال : « لم أحبك ولم أحب سواك من النساء ، ولا أريد أن أحب امرأة »
قالت : « ألم تقل لرسولى أنك أحببتنى عندما رأيتنى ، وأنتك تؤجل امر الزواج الى أن تضع الحرب أوزارها ؟ »

قال : « أظنك تمنين ذلك المهادر المتافق ، لقد قتلتك جزاء خيانتك ، فلا تصدقنى قوله • »

فتذكرت جلنار ما قاله لها الضحاك من أنه لا يريد أن يعلم أحد ببقائه حيا ، فسكتت وهى مقتنعة بصدقه لاختبارها اياه من قبل ، ولأنها رأت غيرته عليها وتقانيه فى خدمتها ، فترجع عندها غدر أبى مسلم ، وأنه استخدمها واستخدم الضحاك فى تنفيذ ما ربه لقتل ابن الكرماتى ثم قتل الضحاك ، فخافت اذا هى جادلته أن يفضب ويأمر بقتلها ، وليس أسهل عليه من القتل • فاستجمعت رشدها وعمدت الى الملاينة لانتقاذ أبيها فقالت : « لا تفضب أيها الأمير فانى لم أحبك طمعا فى الزواج منك ، ولكننى أحببت مناقبك وسجاياك »

فأدرك أبو مسلم أنها تمكر خوفا من غضبه ، فمكر وقال لها : « وأنا أحببت مناقبك وشكرت غيرتك ونصرتك »

فلما سمعت هذه المجاملة وتحققت أنه لا يحبها شعرت بذهاب حبها ، ولكنها لم تر بدا من استعطافه لتتخذ أباه ، فقالت : « هل لى أن أطمع فى أن تهب لى ذنب أبى فتمغفو عنه ؟ »

قال : « ذنب أبيك لا يغفر لانه خان »
فقالت : « هب أنه خان ، فأجعل خيائته مقابل خيائتي ابن الكرمانى »
قال : « انك لم تقتليه فى سبيل دعوتى ، بل طمعا فى الزواج منى »
قالت : « وهل تعد ذلك ذنبا ؟ على كل حال ، لقد ساعدتكم فى قتل رجل كان زوجى ، أفلا تكافئنى على قتله بالعفو عن أبى ؟ »
قال : « اتعدين ذلك فضيلة وهى خيانة ، ثم تتوقعين أن أتزوجك . ومن بضمن لى أنك لا تقتلينى ؟ » أما أبوك فلا تمنبى نفسك فى شأنه ، فلو أردت العفو عنه ما استطعت ، وقد سبق السيف العذل »
فنهضت ثم جثت بين يديه وهمت بتقبيل ركبتيه ، وذرفت الدمع وهى تقول : « أستحلفك بالامام ابراهيم صاحب الدعوة أن تعفو عن أبى ، لاني أصبحت بعد جفاكك وليس لى سواء » . قالت ذلك بصوت متهدج وهى تشرق بدموعها
فدفعها وأدار وجهه عنها ، وقال : « لا سبيل الى حياة أبيك »
فاجفلت وتراجعت وقالت : « ماذا تعنى ؟ هل قتلته » . قال : « نعم »
فصاحت : « قتلته ، لا ، لم تقتله . بل أجلت النظر فى أمره الى الغد . بالله الا صدقتنى ، الا أشفقت على شبابى وأبقيت لى أبى . . أنا مسكينة وحيدة » . وأغرقت فى البكاء حتى كاد يغمى عليها
ولم يكن ذلك ليؤثر فى قلب أبى مسلم ، فأجابها بقوله : « قلت لك انه قتل » . وإذا كنت لا تصدقين ، فسترين أباك رأى العين » . ثم صفق فدخل غلام فقال : « اثنتى بالدعقان »
فلما سمعته انتعشت آمالها وتوهمت أنه لا يزال حيا ، فتابعت الغلام بنظرها فرأته يدخل دهليزا فى جانب القاعة ، ثم عاد وفى يده طبق كبير فوقه غطاء وتقدم به حتى وضعه بين يديها ، وكشف الغطاء فرأت رأس أبيها فى قاع الطبق وقد تجمد الدم حوله وتلطخت لحيته وشارباه ، واشتبك شعر رأسه ، وتلوث بالدم ، وعيناه مفتوحتان كأنهما تنظران إليها . فلما وقع نظرها عليه ، صاحت : « وإبتاه ! » . والتفتت الى أبى مسلم وقد غاب رشدها ولم تعد تفقه ما تقول ، ولطمت خديها وصاحت : « قتلته يا ظالم ! ويلاه ! » وأخذت فى البكاء حتى دوت القاعة بصوت نواحها
فقال لها أبو مسلم : « اسكتى أو أرسلك الى خوارزم »
فأدركت أنه يهددها بالقتل ، ولكنها لم تكن تبالي الموت لفرط حزنها
فقالت : « أرسلنى الى حيث شئت ، لم يبق للحياة عندى قيمة بعد خيانة حبيبى وقتل أبى » . وعادت الى البكاء بصوت عال
فصاح أبو مسلم بالحاجب فجاءه فقال : « خذ هذه الفتاة الى سجن النساء ولولا خوفى أن يقال قتل امرأة لقتلتها »

الفرار

مشيت جلنار مع الحاجب وهى تيكى وتصيح : « وأبتاه » . حتى اذا دنت من باب القاعة سمعت الحاجب يكلمها همسا ويقول : « لا تخافى يا سيدتى ، لا بأس عليك »

فعرفت صوت صالح ، فنظرت الى ثيابه فاذا هى ثياب الحاجب . فاستغربت قيامه بتلك الحيلة ، ولكنها كانت فى شغل من الحزن . ورأس أبيها الملطخ بالدم ما يزال ماثلا أمام عينيها . فلما خرج بها من الباب ، رأت فى الدهليز شبيحا نائما وبقربه ثياب . فالتقط صالح الثياب بخفة ، ودفعها الى جلنار وهو يقول : « البسى » ، فاذا هى جبتة وقلنسوته . فلبستهما بسرعة ، وعبرا الدهليز حتى بلغا الباب الخارجى . فخرجا ، ولم يعترضهما الحراس لاعتقادهم أنهما الحاجب وأحد الخدم . فلما خرجا من دار الامارة ، مشى بها صالح الى حجرة فى خان وقد قطع الطريق سالكين لا ينطقان

وأخذ صالح فى تخفيف الامر على جلنار ، فقال لها : « ألم الملح لك غير مرة أنه خائن غادر ؟ » قد سمعته ينكر ما قاله لى عن حبه لك واقتتانه بجمالك ، ولكن أنى لى أن أكذبه وهو صاحب السيف ولا شفقة عنده ولا عهد له . ولم أكن أعلم أنه فعل ذلك خداعا حتى يستخدمنا فى قتل ذلك الرجل المسكين ، وقد أراد قتلى معه فأوصى الرجل الذى أرسله معى لقتل ابن الكرمانى بأن يدس السم فى قدحى أيضا ، ولولا القدر والقوى لكنت الآن فى عالم الأموات ، وهو يظننى ميتا وقد قال لك ذلك الليلة . على أنى لم أكن أتوقع أن ينكر حبك ، وأنه يبغى اذاك أو أذى مولائى الدهقان ، والا لمنتك من الذهب اليه . وقد احتظت وحيات ما يلزم للفرار بك عند الحاجة ، فأغربت الحاجب حتى أسكرته . وليست ثيابه وتزييت بزيه لا تمكن من انقاذك ، وقد وفقت الى ذلك بحول الله »

وكانت جلنار تسمح كلامه وكأنها فى حلم ، لما مر بها تلك الليلة من الأهوال وذهاب آمالها أدراج الرياح ، فاستغربت فى التأمل وصالح جالس بين يديها ، ثم قال لها : « أتأذنين لى فى أن أذهب لاستقدام ربحانة ؟ »

فانتبهت وقالت : « لا بد من ذلك » اذهب حفظك الله »

فقال لها : « أعطينى جبتى وقلنسوتى »

فلما خلعتهما ، لبسهما وهو يقول : دامكئى فى هذه الحجرة ، ولا تخرجى منها حتى أعود . • وخرج وأغلق الباب وراءه

فجلست وقد خلت بنفسها فى تلك الحجرة الحفيرة ، فتلفتت فلم تجد حولها إلا جدراناً عارية عليها رفوف من الخشب قد سمرت فيها • وعلى الأرض حصير بال فوقه فراش قذر ، والمكان موحش مظلم • وذكرت قصر أبيها وما كانت فيه من النعيم وما بنته من قصور الآمال ، وكيف تهدمت تلك القصور فى ساعة ، فقتل والدها وخانها حبيبها وخرجت هاربة تائهة لا تعرف مقرها ، وفكرت فى أسباب هذا الشقاء فلم تجد ملوماً غير أبي مسلم ، وتصورت ما كان له من الحب فى قلبها وكيف قابلها بالجفاء وهددها بالقتل بعد أن فتك بابيها • فانقلب حبها بغضاً شديداً وأصبحت لا تستطيع تصوره • وهذه سنة الطبيعة فى البشر ، فإن المحب إذا رأى من حبيبه غدرًا أو خيانة انقلب حبه بغضاً شديداً ، وما نرى أباً مسلماً من الشدة والقسوة ، ولعل عذره أنه كان يكره النساء وبعد الزواج جنونا ، بل هو لا يعرف عواطف المحبين لأنه لم يكن يحب ولا يشعر بالحب • وذلك نادر فى الناس لأن الحب يدمت الاخلاق ويلطف الطباع وهو أبو الشفقة وشقيق الخنان ، ولولا ذلك لاكل الناس بعضهم بعضاً • وقد كان أبو مسلم لا يبالى بقتل أبيه أو أخيه إذا رآه حاجزاً فى سبيل مطامحه • فلما علم بتلاعب الدهقان ، بادى الى قتله ليأمن شره ، ولو كان فى صدر أبي مسلم ذرة من حب لاستجاب لاستغاثته جلنار ، ولم يكافئها على حبها بعرض رأس أبيها عليها

قضت جلنار فى مثل هذه الهواجس حيناً حتى نسيت نفسها ، ثم فطنت الى أنها وحيدة فى تلك الحجرة لا تسمع الا صهيل الخيل فى الحان وقد ملأته رائحة الدواب • وتذكرت بيت أبيها وموته ، فظلم عليها الحزن فعدت الى البكاء ولم تر ما يفرج كربها سواه • ولكنها كانت تحاذر أن يسمع صوتها ، فيأتى اليها أحد وهمى وحدها • والمصيبة تبدو ساعة وقوعها هينة فى عيني صاحبها ، ثم تعظم عنده حتى تبدو على حقيقتها ، فإذا طال صبره عليها تصاغرحت حتى يزول وقتها • وكذلك جلنار لم تدرك عظم مصيبتها لأول وهلة ، فلما خلت بنفسها وأطلقت العنان لخيالها أخذت مصيبتها تنجل لها وتعاظم عندها ، وكانت حتى هذه الساعة تشعر بشيء كالانقطاع نحو أبي مسلم هو بقية الحب الصادق له ، على أن ذلك الشعور لم يكن يكتم الاكلمح البصر ثم يزول ويخلفه الغضب وحسب الانتقام

وغلب عليها النعاس ، فغمضت عيناها لحظات قليلة رأت فى اثناها فيما يرى النائم أباً مسلماً كما رآته للمرة الأولى فى بيت أبيها ، وأنه جامها ولاطفها فتشاكيا وتعتابا • وتذكرت وهو يلاطفها ما كان من جفائه وخيانتة عهدا بقتل أبيها ، فتوهمت أن الجفاء كان فى الحلم وأنها عادت الى اليقظة فראت حبيبها على عهد • ثم ما لبثت أن استيقظت فראت حلمها يقظة ويقتتها

حلما • ولكن شبيب أبى مسلم كان لا يزال مرسوما أمامها ، فجعلت تخاطبه وتعاتبه قائلة : « أهذا شرط المحبة يا قاسى القلب ؟ تقتل أبى وتخون عهدى ثم تهدونى بالقتل وتزج بى فى السجن ؟ »

وفىما هى كذلك سمعت خشخشة ورات شيئا مر من بين يديها مرور السهم ، فاجفلت ونظرت حولها ، فاذا هو جرد دخل الحجرة من ثقب فى الحائط تحت الباب وانصرف الى ثقب تحت بعض الجدران ، فقلقت وخافت الجلوس على الحصير ، فوقفت وكان لوقوفها فجأة ضجة أفرغت جرذا كان كامنا وراء الفراش فنفر ، وكان لعدوه على الحصير خشخشة شغلت جلنار عن مواجهتها • وأصبح معها تجنب الجردان والحشرات ، مخافة أن تمس يدها أو رجلها • وحدتها نفسها بأن تخرج من الحجرة ولكنها لم تجرؤ لأنها لا تعرف أحدا فى الحان ، فاستبطأت عودة الضحك وخافت أن يكون لا بطلاله سبب ينذر بالشر ، فضاقت الدنيا فى عينيها • ثم سمعت سماله فى فناء الدار ، فخفق قلبها بسرعة ونهيات للملاقاة ، وأصغت لتسمع وقع قدميه على السلم ثم فى طريقه الى الحجرة فلم تسمع شيئا ، فاستغربت وتوهمت أنها سمعت هتاف بعض الأرواح من الجان ، فأقشعر بدنهما وجد الدم فى عروقها • لمظلت واقفة فى مكانها لا تجرؤ على المشى ولا على القعود ، وأمسكت تنفسها مبالغة فى الانقباض • فمضت دقائق وهى لا تسمع غير وقع حوافر الدواب وأصوات شخيرها ، ثم سمعت صوتا لم تشك فى أنه صوت صالح يقول : « أعد كل شيء ريثما أعود » • ثم سمعت خفق نسماله على السلم فاطمان خاطرها ، وأسرعت نحو الباب وفتحتته فرأت صالحا وحده والدهشة ظاهرة على أوجهه • فقالت : « أين ريحانة ؟ »

قال : « هى هنا ، هيا بنا للخروج من المدينة قبل اقفال أبوابها ، والحيول معدة فى فناء الحان » • قال ذلك وأخذ يبحث عن جبة الحاجب وقلنسوته وكان قد تركهما هناك عند ذهابه ، ولبسهما بعد أن خلع قلنسوته وجبته بأسرع من لمح البصر ، ثم مشى بين يدى جلنار

فتبعته على السلم وهى تتمتع بأذيالها ، ولما وصلا الى فناء الحان رأت جلنار ثلاثة جياد مسرجة وريحانة واقفة بجانب واحد منها ، فقال صالح : « اركبى يا مولاتى هذا الجواد » • وأشار الى ريحانة فركبت جوادا ، وركب هو الجواد الباقي ، وأشار الى صاحب الحان فأمر رجلا بأن يسير فى ركبهم ليعود بالجياد • ثم ساق جواده أولا ، وقال لجلنار : « تثبتي على جوادك يا مولاتى يا تبيعينا » • وأوصى الرجل بأن يبقى الى جانبها ليساعدها عند الحاجة

مشى الركب على هذه الصورة وكلهم سكوت ، وجلنار تصبر نفسها عن استطلاع السبب الذى أوجب هذه العجلة • وبعد قليل وصلوا الى باب

المدينة فوجدوه موصدا كالعادة عند الغروب . فصاح صالِح بالبواب صيحة
ذئ سلطان : « ما بال بابك لا يزال مقفلا ، كنت نائما عندما جاءك الأمر
بفتحه منذ ساعة ؟ »

فراى البواب رجلا يخاطبه كمن له سلطان وعليه ثياب الحجاب ، فصدقه
وخاف أن يبلغ أمره لأبى مسلم ، لأنه كان عند العشاء غائبا إذ ذهب لتناول
الطعام فى منزله ، ولم يدر فى خلدِه أن الأمير بعث من يأمر بفتح الباب .
فطن الأمر جاءه أثناء غيابه فهم بالاعتذار فقطع صالح كلامه قائلا : « لا بأس
الآن ، أسرع وافتح الباب فان مهمتنا عاجلة ولا وقت لدينا لسماع الاعتذار » .
فأسرع الرجل وفتح الباب ، وما أن أصبحوا خارج المدينة حتى ساقوا
خيولهم وصالح دليلهم ، وكلما قطع مسافة تفقد جنار وريحانة فقد كان
الظلام غمما . ولكنه كان خبيرا بتلك المنطقة ، يعرف الطرق السهلة والصعبة
والجبهات المأهولة وغير المأهولة . فلما بعدوا عن مرو ، أمسك عنان جواده حتى
لحق به جواد جنار ، وسألها : « هل أنت متعبة ؟ » فقالت : « نعم ، تعبت
ولم أفهم سبب هذه العجلة »

قال : « سأخبرك عند وصولنا الى القصر »

قالت : « وأى قصر ؟ »

قال : « قصر مولاى الدهقان فاننا على مقربة منه »

فاطمان قلبها لقربها من بيت أبيها ، وبعد قليل أطلوا على القصر ، فأسرع
الى الباب فطرقه ، وصاح بالبواب : « افتح للدهقانة » ، فدعش الباب ولم
يصدق حتى سمع صوتها تناديه . ففتح لهم ، فدخلوا على جيادهم وترجلوا
فى الحديقة ، ومد صالح يده وأعطى الفلام كيسا وأمره بالرجوع ، فركب
أحد الجياد وساق الجوادين الآخرين وراءه ورجع الى مرو

وكان أهل القصر نياما ، فأمرت الدهقانة البواب ألا يوقظ أحدا منهم
حتى الصباح . ودخلت وصالح وريحانة معها الى قاعة أبيها ، وهى على مثل
الجمر لاستطلاع الخبر . فلما دخلوا قالت : « قل ما وراءك يا صالح ، فقد
أقلقك بالى »

قال : « ان الذى ستسمعينه أخطر ، فلا ينبغي لنا أن نبيت هنا ، فاسمحي
لى أن أمر بأعداد الخيول من مرابط أبيك لنبرح القصر مسرعين »

قالت : « افعل » . فابقظ السياس ، وأمرهم أن يعدوا ثلاثة جياد سهلة
القياد . وعاد الى القاعة وجنار وريحانة فى انتظاره على أحر من الجمر ، فلما
دخل جلس جاثيا وقال : « انى لما رجعت لاستقدام ريحانة مررت بدار
الإمارة ، قرأيت الناس فى هرج ومرج ، وعلمت أن أبا مسلم علم بفراقك فأمر
بالبحث عنك فى غرف الدار وما يجاورها . فاذا لم يجدوك بعثوا من يأمر
بوابى المدينة بمنع الناس من المرور الا من عرفوه أو أتاهم بجواز ، فهرولت

مسرعا الى قصر صاحبكم الدهقان . وناديت ريحانة وأتيت بها حتى وصلت الى الحان . ثم امرت صاحب الحان بأسراج الجياد ، وذهبت لاستعدادكم فركبنا وجئنا الى هنا »

فأعجبت بدعائه وغيرته ، وقالت : « وما هو الباعث على سرعة خروجنا من هذا القصر ؟ »

قال : « السبب يا سيدتي أن أبا مسلم سيبحث في صباح الغد من مصادر هذا القصر وما فيه ، وقد سمعته يقول ذلك عندما هدد المرحوم أباك بالقتل ، فلا بد له بعد أن يعلم بفراقك من مرو أن يبحث عنك هنا - وهل في وسعك الوقوف في وجهه وهو صاحب السلطان وليس في قلبه شفقة ولا حنان ؟ ، فعظمت مصيبتها بهذا الخبر ، لأنها كانت تنوى لباسها أن تأوي الى بيت أبيها فتقيم به وتعيش راضية ، وتتناسى مقتل أبيها بالزواج من أحد الدهاقين . فلما سمعت كلام صالح غصت بريقها ، ولم تتمالك عن البكاء وقالت : « ألا يكفي هذا الظالم قتل أبي وخيانة عهدي حتى يضع يده على أموالنا وضياعنا ؟ »

قالت ذلك وأجهشت بالبكاء ، وشاركتها ريحانة ، فقال صالح : « ان البكاء لا ينفعنا يا مولاتي ، بل هو يزيد في وقع المصيبة ، وليس حطام الدنيا مما يطعم فيه بعد ذهاب صاحبه . دعي أبا مسلم يفعل ما يريد ، وسوف ينال جزاءه باذن الله . سوف ننتقم منه انتقاما ينسيك كل هذا العذاب »

فارتاحت نفسها الى ذكر الانتقام ، وليس أشفى منه لقلب الموتور ، فقالت : « أنتقم لي منه ؟ »

قال : « أنتقم لك ولي . ألم يأمر بقتلي ، ولولا المقادير لذهبت مع ابن الكرماني في ساعة واحدة ؟ ولكن الله أبقاني لأنتقم لك »

فقالت : « ان الاقدار دبرت ذلك رفقا بي ، لأنني لولاك ما عرفت مصيري . فلان كيف العمل ؟ »

قال : « ينبغي لنا قبل كل شيء أن نحمل ما في هذا القصر من خيف الحمل وغالى الثمن . فاعهدي الى في ذلك وعلى تدبيره »

فالتفت جلنار الى ريحانة وقالت : « ريحانة تعرف كل شيء »

فقال لها : « اذهبي وأتيني بالنقود والحلي »

فنهضت ريحانة ، فقالت لها جلنار : « لا تتركي شيئا من الحلي ولا النقود ولا تنسي ثيابي . واختاري منها أحسنها وأمرى الخازن أن يعطيك مفتاح خزانة أبي لعله أبقى فيها شيئا لم يحمله الى ذلك الحائن »

فقالت ريحانة : « ان هذه الأموال تحتاج الى دابة أو دابتين لحملها »

قالت : « مرى السياس أن يعدوا بفلين مع الدواب التي يعملونها
فخرجت ربحانة وظل صالح مع جلنار ، فقال لها : «أريد منك يا مولاتي
أن تتخلفي بأخلاق الرجال وتخلي عنك ضعف النساء ، فأننا مقبلون على
عمل عظيم يقتضى الصبر والدهاء ، فإذا كنت لا تصبرين على التعب أو
لا تريدين الانتقام فقولى الآن ولا تحمل نفسك مشقة الاسفار »

فقالت : « وكيف لا أرغب فى الانتقام من رجل سلبنى أهلى ومالى
وأخرجنى من بيت أبى طريدة شريده ، وخان عهدى وهددنى بالقتل ؟ فإذا
كنت أنت تريد الانتقام لأنه أراد قتلك فكيف بى أنا ؟ ولا تحسب خيانة
العهد أخف وقعا على نفسى من اليتيم . ولا لوم على إذا أردت قتله وأنا فتاة ،
فهو الذى علمنى قتل الرجال ، وأنت تعلم كم ترددت يوم اقترح علينا قتل
ابن الكرمانى ، وكم أعظمت تلك الجريمة ثم ارتكبتها التماسا لقربه وتضحية
لحبه ، فكافانى بالخيانة والخدر ، فلا غرو إذا انقلبت عاقبة سعيه عليه »

قال : « إذا كنت مصممة على هذا فانا طوع مشيئتك . وأما الآن فلا بد
لنا من وضع الحيلة للبه فى العمل ، لأننا لا نقدر على هذا الرجل بالسيف
وهو صاحب القوة ، ولا نقدر عليه بالدهاء وهو أدهى الناس »

فأجست جلنار بقصر باعها فى هذا الشأن وبأن الارتباك فى وجهها ،
فابتسم صالح وقال : « لا تقنطى يا مولاتى ، ولا تقبلى أنى أسألك لمعجزى عن
الوسيلة ، ولكننى أستطلع رأيك »

قالت : « كيف أعرف الوسائل وأنا لم أخرج من بيت أبى قبل ذلك ،
فدبر أنت ما تراه وأنا معك »

قال : « ذلك ما كنت أرجوه من تعقلك وحزمك . فاعلمى يا مولاتى أننا
لا نقدر على الكيد لأننى مسلم الا فى الشام عند الأمويين ، فهم أعداؤه
الألداء وهم الذين ينتقمون لنا منه »

قالت : « وكيف ينتقمون لنا ؟ هل يجردون جيشا لقتاله دفاعا عنا ، وهب
أنهم يفعلون فهل تراهم يفلحون والرجل محصن فى مرو ؟ »

قال : « لا أعنى أن يجردوا جيشا لحربه ، لأنهم كما قلت لا يفعلون ذلك
من أجلنا ، وإذا فعلوه لا يفلحون . ولكننى أهدبهم الى جذر الشجرة ليقطعوه
فتسقط الشجرة »

فلم تفهم جلنار مراده فقالت « وأى شجرة تعنى ؟ »

قال : « أعنى صاحب هذه الدعوة الذى قام أبو مسلم وأصحابه يدعون
الناس إليها باسمه »

قالت : « أظنك تعنى ابراهيم الامام ؟ »

قال : « إياه أعنى »

قالت : « وكيف تتوصل الى ذلك الجذر وأين هو ؟ »

قال : « هو في الشام في مكان لا يعرفه الا القليلون »

قالت : « وهل تعرفه ؟ وأين هو ؟ »

قال : « انه في الحميمة في أرض البلقاء بالشام »

قالت : « وما النى جاء به الى هناك ؟ »

فقال : « لا يتسع الوقت لسرد حكايته بالتطويل فاختصرها لك ، وهي انه لما مات النبي لم يوص بالخلافة لأحد فاختلف أصحابه عليها . وكانوا فئتين : المهاجرين الذين هاجروا معه من مكة الى المدينة فرارا من ظلم أهلها ، والانصار الذين نصروه لما جاء المدينة . وبعد خلاف شديد أجمعوا على أن المهاجرين أولى بالخلافة فتولاها واحد منهم ثم الثاني والثالث ، شورى بينهم ، ولم يكونوا يعرفون توريث الملك كما يفصل الفرس . ولكن أهل النبي الاقربين كانوا يرون التوريث ويعدون خروج الخلافة من أيديهم حيفا وظلما . واقترب الاقربين من النبي عمه العباس وابن عمه علي بن أبي طالب . فبعد الخلاف الثلاثة تولاها علي ابن عمه لكنها لم تبق في ولده ، فأخذها منهم بنو أمية بالدهاء والعصبية ، وتوارثوها نحو مائة سنة ، حتى مروان بن محمد الذي يحاربه أبو مسلم الآن . وكان أولاد علي وأولاد العباس في هذه الفترة يسعون الى استرجاع الخلافة ، وهم أهل البيت وكل منهم يطلبها لنفسه . وآل علي فئتان احدهما نسل ولده من فاطمة بنت النبي ، والاخرى نسل ابنه من أخرى واسمه محمد بن الحنفية . وكان كل من هؤلاء يطلبها لنفسه أيضا . فانفق أن هاشم بن محمد بن الحنفية جاء دمشق وافدا على سليمان بن عبد الملك الأموي ، فرأى سليمان منه فصاحة وقوة فخافه وأوعز بدس السم له في اللبن ، فلما أحس هاشم قرب أجله وهو راجع الى المدينة خشى أن يموت قبل أن يعهد في أمر الخلافة لأحد من أهله ، ولم يكن أحد منهم معه ، فعرج على بلد في البلقاء يقال لها الحميمة كان ينو العباس يقيمون بها ويدعون الناس الى بيعتهم سرا . وكان صاحب دعوتهم يومئذ محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس ، فنزل عنده هاشم وأوصى اليه . وكان معه جماعة من شيعته أنزلهم عنده وأوصاه بهم ، ولما مات هاشم أخذ محمد في بث الدعاة ، ثم مات هو أيضا وخلف أولادا كثيرين منهم الامام ابراهيم ، فقام بعد أبيه بالأمر واستكثر من بث الدعاة الى الأطراف ولاسيما خراسان ، لأن الشيعة كانوا أشد وثوقا بأهل خراسان »

فسألته جنانا قائلة : « ولماذا لم يسعوا في غير هذه البلاد ؟ »

قال : « لأن هوى أهل الشام ومصر مع بني أمية ، وفيهما أهل الدولة . أما الحجاز فأهله قليلون لا يستطيعون القيام بالدعوة . وأما أهل البصرة والكوفة فكان أهل البيت لا يأمنون جانبهم لأنهم خانوهم غير مرة . وهذا فضلا عن أن الخراسانيين ناقمون على بني أمية لاحتقارهم إياهم ولعسفهم فيهم

كما تعلمين ، فراوا منهم أذنا صاغية • وكان أهل خراسان من قبل يبايعون لآل علي ضد بني أمية ، فوفق إبراهيم الامام الى أبي مسلم هذا وبعثه قائدا لبعثاته ونقبائه ، فتمكن بدعائه وبأسه وقسوته من فتح مرو كما رأيت ، وهو يتظاهر بالمبايعة لأهل البيت على التعميم ، فالتأسي يبايعون الآن لإبراهيم الامام باسم أهل بيت النبي على أن يتناوبها العباسيون والعلويون • ولكنني أرى العباسيين يعتزمون أن يستأثروا بالأمر لأنفسهم ، فأبراهيم الامام هو مركز الدائرة التي تدور عليها هذه الدعوة وهو مقيم بالحميصة ، ولا يعلم به مروان بن محمد صاحب دولة أمية • فالذي أراه ان نسعى في كشف هذا السر لمروان فيبعت من يقبض عليه ، ومتى حبسه أو قتله ذهبت مساعي أبي مسلم هدرا فيشتد أمر بني أمية • وهذا أشد انتقام نستطيعه

فارتاحت جلنار الى رأيه ، وقالت : « هذا هو الصواب »
قال : « لا بد لنا من مغادرة هذا المكان سريعا بما خف حملته وغلا ثمنه ، ثم نساخر الى العراق فالشام ونسعى في الأمر »
فقال : « لمن نترك هذا القصر وهذه الحقائق ؟ »
قال : « نتركها لذلك الظالم صاحب السلطان الآن • وهو يطلب حياتنا ، فاذا نجونا بها غلبناه ، ولا يغنيه البنيان ولا الأشجار شيئا عما سئد بربه لهلاكه بأذن الله »



وفيما هما في الحديث جاءت ريحانة مسرعة تقول : « قد أعددت ما يلزم وجعت الحلي والنقود والثياب ، وهي كثيرة تحتاج الى عدة بغال لحملها ، وأوصيت السائس أن يعد الجياد والبغال »
فقال صالح لجلنار : « هلم بنا يا مولاتي »

فنهضت وخرجت من القاعة وأطلت على الحديقة ، فسمعت صهيل الجياد رأت البغال وعليها الأجمال ، فذكرت أنها خارجة من البيت الذي ولدت فيه وربيت بين أشجاره وجدرانه في عز ونعيم وحولها الجوارى والحشم ، ورأت كيف تخرج منه هاربة الى ديار غربة لم تطأها قدمها من قبل ، سعيها الى أمر خطير يقصر عنه كبار الرجال ، فقلب عليها ضعف النساء فدمعت عينها • وكان صالح يراقبها ويخاف ضعفها ، فلما لحظ ذلك فيها ابتدرها قائلا : « لا بد لنا من الاسراع قبل أن يدركنا ذلك الظالم برجاله ويقبض علينا جميعا فينال منا مرامه وتذهب مساعينا أدراج الرياح ، فاختراري من خدمك اثنين أو ثلاثة تثقين بهم يكونون معنا لخدمتك »

فلما سمعت قوله ، قنعت بالنجاة والتفتت الى ريحانة وقالت : « من ترين أن نصلطح من الحدم الأتماء ؟ »

قالت : « نصطحب سعيدا الصقلبي ، فانه أمين ذكى فيكون في خدمتك خاصة ، وتأخذ معنا أبا العينين ، لأن أصله من العراق ويعرف عادات البلاد وطرقها فيكون لنا عوناً ودليلاً ، وإذا شئت خادماً ثالثاً فسلیمان الحلبي لا بأس به لأن أصله من الشام »

فاستحسن جلتار رأيها وقالت لها : « ابعتي اليهم الساعة » فمضت ريحانة في مهمتها هذه ، ووقفت جلتار في انتظارها تفكر في أمرها وفي مصير القصر وأهله ، قائلة لنفسها : « إن أهل هذا القصر سعداء لأنهم لم يعلموا بما أصاب مولاهم ولا بما يهددهم من الخطر في الغد ! » ثم نظرت الى صالح وقالت له : « أترك أهل هذا القصر مهددين في خطر القتل والأسر ولا تحذرهم ؟ »

قال : « لا بد من ذلك ، ولكن بعد خروجنا ونجاتنا بما معنا »

ثم جاءت ريحانة ومعهما الخدم الثلاثة . وكان سعيد الصقلبي من أسرى الأندلس لما فتحها موسى بن نصير سنة ٩٢ هـ . وقد أخذ يومئذ وهو في الخامسة من عمره ، فكان من نصيب أحد الجنود ، وباعه هذا الى أحد النخاسين الذين يتجرون بالرقيق الأبيض ، فالحقه بمن عنده من الحصيان وسماه سعيداً ، ثم اشتراه منه دهقان مرو ، وعاش في قصره زمناً طويلاً يتكلم بالعربية والفارسية ، ناسياً لغة بلده . وسموه صقلبياً لبياضه ، وكان طويل القامة والساقين ، قليل شعر الوجه ، صغير العينين ، صوته كصوت النساء . وأما أبو العينين فللقب بذلك لكبر عينيه وجحوظهما ، وأصله من أنباط العراق ، دخل في خدمة الدهقان من صغره . وانقطع اليه . وأما سليمان الحلبي فأصله رومي ، وقد وقع أسيراً في إحدى المعارك بين الروم والعرب ، وبيع على العادة الجارية في تلك الأيام ، وظل ينتقل من سيد الى سيد حتى دخل في حوزة الدهقان . فأعجب هذا بحسن خلقه ، ورأى فيه مروءة فأعتقه وخيره بين البقاء عنده أو الذهاب الى بلده ، فآثر المكوث عنده لأنه ألف المكان ولم يعد يعرف مصير أهله

وأخذ الثلاثة يستعدون للرحيل وهم لا يعرفون الغرض منه . وكان الفجر قد دنا فأشار صالح بالركوب ، فركبوا وهو في مقدمتهم ، بعد أن ذكر لبواب القصر وبقية الخدم أنه عائد اليهم بعد قليل ، فصعدوا ذلك لأنهم لم يعلموا بمقتل دهقانهم ، ولا بما ينويه أبو مسلم من الفتك بهم

وبدا الركب سيره بعد الفجر بقليل ، فلما بعدوا من المحلة أوقفهم صالح وأخبرهم أنهم ذاهبون في خدمة الدهقانة جلتار الى الحج ، وأن ذهابها لا ينبغي أن يعلم به أحد ، فإذا سئلوا عن المكان الذي جاؤا منه فليذكروا أنهم من مدينة بلخ ، خرجوا يريدون اللحاق بقافلة سبقتهم منذ يومين قاصدة بيت الله الحرام . وأوصاهم ألا يذكروا اسم الدهقانة ولا الدهقان

لأسباب سيظلمهم عليها بعد قليل . ثم تقدم الى الدهقانة ، وقال لها :
« سأرجع الى القصر لأخبر من فيه بالواقع ، فأبعثني معي رجلا من أتباعك
يؤيد قولي . وامكنوا هنا حتى نعود »

فأمرت سعيدا الصقلي أن يرافقه ، فسار معه طوعا لا مرها وهو لا يفهم
القصـد من ذلك . ولكن صالحا أسر اليه حقيقة الأمر وأوصاه بأن يساعده في
إداء تلك المهمة ، فلما بلغا القصر ، رأيا أهله في مرج وقد استيقظوا من
رقادهم وعلموا بمسير مولاتهم ، فدعا صالح قيم الدار وأخبره على انفراد
بمقتل الدهقان وأن أبا مسلم سيرسل من يستولي على القصر وما فيه ، وطلب
اليه أن يتدبر الأمر على أساس أن الدهقان اعتق عبيده وجواريه جميعا وأن
القصر صار ملكا حلالا لهم

وسأله القيم عن الدهقانة ، فأجابته بقوله : « انها انتقلت الى بعض أهلها
في نيسابور ، وقد أرسلتني لأبشركم بالعتق والحرية ، وبأن لكم كل ما في
القصر ، وهذا سعيد يؤيد قولي »

وأمن سعيد على قوله مؤكدا أن الدهقانة أوصته بهم خيرا ، وأنه بعد أن
يعاونهم على تدبير أمرهم سيوافيها الى نيسابور بعد بضعة أيام

وعاد صالح وسعيد الى الدهقانة ومن معها ، وجدوا في السير حتى انتصف
النهار وقد بعدوا عن مرو ، فخطوا رحالهم للاستراحة ، ونصبوا خيامهم
بجانب عين ماء في ظل الأشجار . ثم دخل صالح على جلتار في خيمتها
وعندها ريحانة وقال لها : « ينبغي أن نطلع خاصة خدمك على الأمر ، ونكتمه
عن الآخرين من السياس وأمثالهم »

فقالت : « أفعل ما تراه ، فاني ما زلت أحسبني في حلم من هول ما رأيته
بالأمس ، كما اني لم أذق طعم النوم »

قال : « نحن هنا في مأمن ، فنامي واستريحي لأن سفرنا طويل .
وسأدبر أنا الأمر الآخر »

قالت : « وأي أمر تعني ؟ » قال : « أظنن صالحا يفغل عن فرصة
تسبح له فلا يفطنها ؟ » سأدبر حيلة ألقى بها الشقاق بين أبي مسلم
ونقبائه »

قالت : « وكيف ذلك ؟ وأي النقباء تعني ؟ »

قال : « أتعرفن سليمان بن كثير ؟ »

قالت : « أنت أخبرتنني بأنه كبير النقباء وأنه قديم في تلك الدعوة »

قال : « هو أقدم من أبي مسلم فيها ، ولكنه كان يدعو أهل خراسان الى
بيعة أبناء علي بن طالب ، فلما توفي صاحب الدعوة العلوية ، وآلت بعد ذلك
الى الامام ابراهيم ، اختار أبا مسلم رئيسا للنقباء وفي مقدمتهم سليمان بن

كثير ، وهذا كما تعلمين شيخ وقور ، فشق عليه أن يكون مرؤسا لشباب ناشئ كابي مسلم ولم يقبل أن يكون تحت قيادته الا مرغما . على أن ابا مسلم ما لبث أن حول الدعوة فجعلها لآل النبي عامة من العباسيين والعلويين . والذي أراه أنه فعل ذلك تمهيدا لنقل الدعوة الى آل العباس وحدهم . واني أعلم أن سليمان بن كثير لا يريد ذلك بل يؤثر بقاء الدعوة لآل علي ، ولهذا أرى أن اكتب الى سليمان أستحثه على البيعة لآل علي . وأبين له غرض أبي مسلم لأهيج الضغائن بين الرجلين ، وهما دعامة الدعوة فإذا اختلفا اختلف نظامها .

فأعجبت جننار بدعائه ، وتجددت قواها وآمالها وقالت : « بورك فيك ، افعل ما نراه »

فنهض وقال لريحانة : « أنت ايضا في حاجة الى النوم ، فاذهبي الى فراشك وأنا ذاهب الى شاني » . قال ذلك ومضى الى حيث اتحي ناحية ، وكتب كتابا هذا نصه :

« من دهقان يخاف أن يذكر اسمه الى سليمان بن كثير

« أما بعد فانك جئتنا منذ بضع سنين تدعونا الى بيعة أهل النبي ، لأنهم أقرب للثقوى والعدل ، فاطعنا وباعنساك للنجو من ظلم بني أمية لأنهم يرهقوننا بخراجهم ويسبون البنا ، وكنا نرجو أن تكون نجاتنا على يدك وأنت شيخ عاقل حكيم . ثم ما لبثنا أن رأيناك وجميع النقباء في قبضة غلام لا يعرف له أصل ، وقد استبد بكم وتطاول عليكم ، وحسبنا أول الأمر ألا ضير من رياسته عليكم ، وانه اختير لها لميزة فيه ، ولكننا وجدناه لا يمتاز إلا بسفك الدماء والفسوة وحب الأثرة ، وانه انما يستخدمكم لطامعه ولا يبالي أن يقتل أيا كان التماسا للسلطان ، فيستخدم الناس لفرضه ثم يقتلهم ، كما فعل بالكرماني ، وكما فعل بدھقان مرو الذي قتله شر قتلة . وهو يزعم أنه يقتل على الشبهة بأمر الامام ، وقد عرفنا الأئمة يحاسبون أنفسهم على حشرة يقتلونهم ، فكيف يقتل الناس ؟ بل كيف يقتل كبار المسلمين الذين هم عمد الدعوة وخراسان في قبضتهم . ومن أجل ذلك أصبح دهاقين خراسان وأنا منهم في خوف على حياتهم من ظلم ذلك الغلام . على أن ظلمه لن يلبث أن يشمل النقباء أنفسهم وأنت في مقدمتهم ، فلا بد من أن يأتي يومك ، وهو لا يحتاج في تبرير قتلك الى أكثر من الشبهة . والذنب في ذلك ذنبك أنت ، لأنك سبب هذا البلاء ، وقد كنت على رأس النقباء تدعو الناس الى بيعة خليفة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا يقتل المسلمين ولا يظلمهم ، فجعلت نفسك عبدا لغلام يزعم أن امامه أمره بقتل الناس على الشبهة . وما أراه الا متلاعبا بكم جميعا ، فهذا هو قد حول البيعة من أبناء على الى أهل البيت عامة ، تمهيدا لاجراجها من العلويين

وجعلها في بني العباس وحدهم ، وذلك ليستقل بها صاحبه ومولاه الامام ابراهيم ، وتذهب مساعي العلويين ونقبائهم هباء منثورا . فاذا كنتم لا تزالون وفيكم بقية عقل وحيه ، فاستدركوا الامر قبل استفحالها ، وارجعوا البيعة لاصحابها الا تقياء . واعلموا انكم اذا فعلتم ذلك كان دهاقين خراسان وكل أهل فارس من انصاركم

« فيادر يا ابن كثير الى استدراك ما فات وارجع البيعة لاصحابها ، وانفذ المسلمين من أناس يقتلون على الشبهة ، ولا يستثنون . فان لم تفصل فستكون أول من تقع النعمة على رأسه . وهذا انذار لك ولكل النقباء الذين استسلموا لذلك الغلام ، والسلام »

ولما فرغ من كتابة الكتاب ، لفه وجعله في أنبوب من القصب الفارسي ، وحمل الأنبوب بعد أن سدده وخرج الى خيمة الخدم ، فلقى سعيدا في الطريق عائدا من خيمة جلنار ، فناداه وسأله عن الدهقان ، فلما علم منه أنها ما زالت مستغرقة في النوم ، قال له : « عندي كتاب أريد أن أبعث به الى مرو ، فهل عندك خادم تثق في أمانته لنرسله في هذه المهمة على أن يكتب امرها ؟ »

فقال : « عندنا سائس أبكم سريع الفهم »

قال : « ان البكم نافع في هذه المهمة ، ولكن الأبكم يكون أصم ايضا ، فكيف نفهمه مرادنا ؟ »

قال : « ان هذا الأبكم غير أصم ، فهو يسمع ولكنه لا يقدر على الكلام » قال : « وهل امتحنت أمانته ؟ » قال : « نعم » . ثم أشار الى أحد السياس ، فجاء اليهما مهرولا ، وهو قصير القامة أسمر اللون ممثلي الجسم ، ودلائل الصحة بادية في استدارة وجهه وغلظ عنقه واتساع صدره ، وكان جذعه عاريا الى الحقوين فبان الشعر كثيفا على صدره وكثفيه . ولم يكن عليه من الكساء الا سراويل قصيرة تغطي فخذه الى أعلى الركبة ، فوقف وأشار برأسه اشارة التحية ، فقال له صالح : « أتعرف مرو ؟ » . فأشار برأسه أن « نعم »

قال : « أتعرف أمرا اسمه سليمان بن كثير ؟ » . فأشار بيديه وأصابه أنه عرفه عندما نزل أبو مسلم على الدهقان

وتحقق صالح من اشارات أخرى أنه يعرف الأمير ، فسأله الأنبوب وقال له : « خذ هذا وامض مسرعا الى مرو ، فاذهب توا الى دار الامارة حيث تجد الأمير هناك فادفعه اليه ولا تجبه بأي شيء . ثم ارجع الينا فتجدنا في انتظارك هنا أو في المحطة التالية »

فتناول السائس الأنبوب ، وهم بالانصراف ، فاستوقفه صالح وقال : « اختر لنفسك دابة تركبها » . فضحك السائس وأشار الى قدميه الفيلطتين ،

وقبض يده بشدة معبرا بذلك عن قوتهما وعن اعتماده عليهما أكثر من أي دابة . فريت صالح كتفه تحببا وثناء ، وقال له : « بورك فيك » . فأشار الرجل برأسه إشارة الوداع ، ومضى آخذا طريقه الى مرو ، وكأنه نعمة تفدو هربا من مطاردة صياد ، وظل صالح وسعيد ينظران اليه ويعجبان من سرعته حتى توارى عن أبصارهما . فمضى صالح الى خيمته حيث استلقى ، وأخذ يفكر فيما ينبغي له أن يعمل بعد ذلك



رأى صالح أن المكان الذي نزلوا به لا يبعد كثيرا من مرو ، وخيل اليه أن أبا مسلم علم بمكانهم ، فأرسل من يقتفى أثرهم ويقبض عليهم ، ثم الحاقهم بمن سبقوهم من ضحاياهم العديدين . فاعتزم الرحيل من ذلك المكان ، اتقاء لذلك الخطر المحقق إذا هم وقعوا في قبضة أبي مسلم ، ولكنه رأى تسذرا متأبعا السير في تلك الساعة ، لما تشكوه جلائر من التعب والاجهاد وشدة حاجتها الى النوم ، فعزم على السفر حالما تستيقظ ولو في منتصف الليل . وبينما هو غارق في تلك الهواجس ، اذ سمع أجراسا ترن عن بعد ، فاختلج قلبه ونهض مذعورا ، لعلهم أنها أجراس قافلة مارة من هناك . وأصاح بسمعه ليتبين وجهة القافلة ، فأدرك أنها قادمة من الشمال . ورجع عنده أنها من القوافل التي تتردد بين العراق وخراسان ، فخرج من خيمته لعله يراها عن بعد ، ولكنه لم يستطع لاحتجابها خلف التلال ، فأسرع الى ثيابه وتكر لباس حاجب أبي مسلم وقلنسوته ، ثم ذهب الى سعيد وأبي العيينة وسليمان ، وأخبرهم بخبر القافلة وأنه عازم على تنسم الأخبار منها ، وأوصاهم بأن يكونوا على حذر فلا تبدر منهم كلمة أو إشارة تدل على حالهم . ثم امتطى جوادا مضى به الى مصدر صوت الأجراس . فلما لاح له القافلة ، وجدها تتألف من بعض الجمال ، وفي مقدمتها حمار يمتطيه دليل شيخ ، وإلى جانبي القافلة فرسان مدحجون بالسلاح لمراستها ، فعلم أنهم قاصدون أبا مسلم بأموال ومؤونة . فوقف معترضا طريقهم ، وأشار بيده الى أقرب الفرسان اليه مستقديا ، فلما جاءه الفارس ، صاح به في لهجة الآمر قائلا : « لماذا هذا التباطؤ في المسير ؟ »

فلما سمعه الفارس يخاطبه بهذه اللهجة ، ورأى عليه ثياب حجاب أبي مسلم ، ظنه قادما من لدنه لاستعجالهم فقال : « أتعدون مسيرنا بطيئا وقد جئنا من الكوفة الى مرو في عشرين يوما حاملين هذه الأثقال ؟ »

فقال صالح : « بارك الله فيكم ، ان الأمير متلهف على وصولكم ، خشية أن يقابلكم في الطريق نصر بن سيار ، ومن فروا معه في هذه الأودية بعد فتح مرو »

فقال الفارس : « وهل فتحتهم مرو ؟ » قال : « فتحناها منذ بضعة أيام .
وأعلام الحق تخفق الآن فوق دار الامارة ، ولو عجلتم قليلا لاشتركتم في
الغنيمة . كيف فارقتم شيعتنا في الكوفة ؟ »
قال : « تركناهم في خير ، وستشدد قلوبهم بخبر الفتح ، ولا سيما
أبو سلمة »

قال : « وكيف أبو سلمة ؟ »

قال : « هو عمدتنا وذخرنا ، وهذه الاموال كلها من عنده ، فاته لا يدخر
وسعا في سبيل الدعوة »

فتذكر صالح أن أبا سلمة هذا من كبار الاغنياء ، وأنه بذل ماله في
نصرة الشيعة ، وكان قبل ظهور أبي مسلم ينصر شيعة على أسوة بسليمان
ابن كثير ، فلما تحولت الدعوة الى العباسيين ورأسها أبو مسلم ، أذعن كما أذعن
ابن كثير ، وصار يبذل أمواله في نصرتهم . ومرت القافلة وهما واقفان
يتكلمان ، وصالح ينظر الى الأعمال الكثيرة وفيها صناديق الاموال . فقال
للفارس : « واصلوا السير مسرعين الى مرو ، ولا تقفوا في هذه المحطة
لتصلوا عند العشاء . أما أنا فسأجعل طريقى الى الكوفة لنبشر شيعتنا
بالفتح »

ثم سار الفارس في سبيله ، وتظاهر صالح بأنه يسير نحو الكوفة ، حتى
إذا توارت القافلة عن بصره ، رجع مقتفيا أثرها بحيث يرى أطرافها ولا
يراه أحد من أهلها ، فرأها لم تقف عند وصولها الى المحطة الا قليلا ثم
أقلعت ، فسر بذلك ، ومضى الى خيمته وبدل ثيابه ، وهو يفكر في أبي
سلمة الحلال والسبيل الى تحويله عن نصرة أبي مسلم ، وفيما هو في ذلك
جاء اليه سعيد الصقلبي مسرعا مضطربا وقال له : « أدرك مولاي الدهقانة ،
فإنها آفقت من نومها تبكي وتنتحب ، ولا تعلم ما بها »

فعلم أنها تبكي يتمها وغربتها وقد أخلفت تعي مصابها وتبين هوله ،
فأسرع الى خيمتها ، فلقى ريحانة بالباب تشير اليه أن يسرع . فدخل الخيمة
فرأى جلنار جالسة وشعرها مرسل على كتفها ، وقد احمرت عيناها وتكرست
أهدابها من البكاء ، فلما رآته قالت له : « آه يا صالح ، بل يا ضحاك لأنني
هكذا كنت اناديك أيام نعيمى »

فقال : « هونى عليك يا مولاتى ، هل حدث شيء جديد ؟ »

قالت وهي تمسك نفسها عن البكاء : « آه يا صالح ، كنت نائمة فرأيت
كان ذلك القاسى جادني وفي يده خنجر ، وهم يقتل ، فصحت به : (ويلك
يا ظالم ، أهدأ جزء المحبة ؟) وعنفته وعاتبته عتابا شديدا وهو واقف
لا يتكلم . وكنت مع شدة غيظي وحنقي أشعر بشيء في قلبي يجذبني نحوه ،
وكان بين ناظريه وقلبي رباط لا أدرى كنهه ، فقلت له : (لا يفرنك ضعف
هذا القلب فاني سأغلبه وأغلبك وأنتقم لأبى شر انتقام) .. »

فقطع صالِح كلامها متماجنا وقال : « احذري أن تذكرى اسمى أو تقولى له انى خادمك فى الانتقام لثلاث يرسلى الى خوارزم » . قال ذلك وضحك فلم يسمع جلنار الا الضحك رغم ما بها ، ثم أمسكت نفسها ونظرت اليه شزرا ، فابتدرها قائلا : « لا ذنب لى فانك ناديتنى باسمى القديم وتمنيت أن أرجع اليه فرجعت ، والضحك على كل حال خير من البكاء » . ولم تكن أعهدك تهتمين بأضغاث الأحلام وتستسلمين للضعف النسائى . وقد طلبت اليك منذ أول خطوة خطوناها أن تخلصى هذا الضعف »

قالت : « لا أزال متعبة ، لا أستطيع تفكيرا أو عملا »
قال : « لا أكلفك عملا ، فقد شرعت فى العمل فكتبت كتابا الى سليمان ابن كثير (وذكر فحواه) ، وانما أطلب اليك الصبر »

فشعرت جلنار بثقل أزيح عن صدرها وقالت : « صدقت لا حيلة لى غير الصبر » . ثم مسحت عينيها والتفتت الى ريحانة فرأتها تذرف الدموع بلا بكاء ولا شهيق . فلما رأت مولاتها تنظر اليها تبسمت والدمع ملء عينيها وقالت : « تجلدى يا مولاتى ، ان الفرج قريب بأذن الله »

ورأى صالح أن يغير مجرى الحديث فقال لجلنار : « أخبرينى يا مولاتى ، هل تعرفين أبا سلمة الحلال ؟ »

فطلت جلنار صامتا مطرقة كأنها تستوحى ذاكرتها ، ويخيل اليها أنها سمعت بهذا الاسم قبل الآن ، فبادرت ريحانة الى الجواب قائلة : « أظن مولاتى لا تذكره ، ولكننى أعرف هذا الاسم جيدا فانه لرجل فارسي من أثرياء العراق وفارس ، وكان بينه وبين مولاي رحمه الله علاقات قديمة ، وكثيرا ما كان يزوره وينزل فى داره أياها . وكانت مولاتى لا تزال صغيرة فابتسم صالح وبدا السرور فى وجهه وقال : « ان الرجل من أكبر دعائم هذه الدعوة ، فهو يؤيدها بماله كما يؤيدها أبو مسلم بسيفه ودهائه . وكان كابن كثير يدعو للعلويين ثم أطاع أنا مسلم فى الدعوة الجديدة مرغما . فاذا استطعنا تحويلهما عن الدعوة ضمننا فشلها وفشل أبى مسلم ، ولاسيما اذا استطعنا القبض على ابراهيم الامام نزيل الحميمة »

فقالت جلنار : « تذكرت أبا سلمة هذا ، وأذكر أنه جاءنا مرة ومع الهدايا والأحمال وفيها الحلى والجواهر وكان أبى رحمه الله يحبه »

فقالت ريحانة : « وأنا أعرف امرأة من نسائه أصلها من مرو ، بينها وبين أم مولاتى الدهقانة رحمة الله قرابة »

فقال صالح : « لقد هان الأمر الآن ، فأرى ان نحمل مولاتنا الى الكوفة ، فتقيم أمنة بمكان نختاره ، ثم أذهب أنا لقضاء المهمة الأولى فى الشام ، وآتيكم الى الكوفة ، وسامطحب الحلبي فقط لأنه يعرف الشام ، والآن لابد لنا من الإسراع فى الرحيل لئلا يكشف أبو مسلم مكاننا فيذهب سعينا عبثا »

مروان بن محمد

كان الأمويون ، قد اتخذوا دمشق عاصمة للخلافة بعد أن آلت اليهم واغتصبوها من أهل البيت الذين كانوا يتخذون المدينة عاصمة لهم وكانت دمشق من المدن العظمى التى لها شأن كبير فى التاريخ القديم . فلما جعلها الأمويون عاصمة خلافتهم حدثتهم أنفسهم بأن ينقلوا إليها منبر النبي من المدينة ، ليضيفوا إلى عصبيتهم أعظم أثر إسلامى يفاخرهم به أعداؤهم المقيمون بالحجاز . ولكن هذا لم يتيسر لهم فاكثفوا بالعصبة العربية ، وظلوا يحكمون المسلمين نحو مائة سنة ، وامتد سلطانهم إلى معظم أنحاء العالم المعمور فى ذلك الحين ، وبلغ العرب على عهدهم أسمى درجات العز . والدولة الأموية أقوى دول العرب وأشدّها بطشاً ، وهى وحدها (بعد الراشدين) الدولة العربية الحالية من شوائب العجمة ، لأن أراضها عرب ، وعمالها عرب ، على أنها بالغت فى تعصبها للعرب ، واستبدت بالفرس وغيرهم ممن دانوا لسلطانها حتى تقموا عليها وأعانوا أهل البيت على حربها لاجراء الأمر من يدها

وكان على عرش الخلافة أيام قصتنا هذه ، مروان بن محمد ، وهو من خير الخلفاء وأكثرهم حمية وحزماً وغيره على الإصلاح ، ولكنه جاء وقد تمكن الفساد من جسم الدولة الأموية ، وتسرب الخلل إلى كيائها حتى انقسمت على نفسها ، فقام من بنى أمية غير واحد يطلب الخلافة لنفسه . واستطاع مروان ببسالتة وتعلقه التغلب عليهم . وكان الخلفاء الذين تقدموه قد انغمسوا فى الترف واللهو ، فلما تولى مروان الخلافة ورأى ما هى عليه من الوهن ، حزم أمره وحرم الخمر واللهو فى مجالسه ، وعكف على تدبير شؤون الدولة ، ولكن هذا كله لم يجده شيئاً ، لأن الدعوة العباسية كانت قد استفحلت فى أيامه ورسخت أقدامها فى خراسان ، وانتشر دعائها فى أنحاء فارس والعراق . فارتبك وبذل جهده فى دفع أعدائه

وكانت ثقته عظيمة بنصر بن سيار ، لأنه شيخ جليل حنكته الأيام ، وفى طبعه ميل إلى الإصلاح . فآلى إليه مقاليد خراسان وأوصاه بحمايتها وحفظها من الشيعة . ولم يدرك بخلده الحرف عليها لعله بقلّة الشيعة وتستترهم ، حتى جاءه النذير بسقوط مرو ، وفرار نصر بن سيار منها بأهله

وأولاده . فسقط في يده وأبقن بخروج خراسان وما وراءها من سلطانه .
وأصبح يخشى ضياع الملك كله

وكان مروان قد أدرك الثالثة والستين من عمره . وأمه كرده ، وذلك
بأمر بين الخلفاء الأمويين لمحافظةهم على العصبيية العربية ، خلافا لما صارت
اليه الحال في أيام بني العباس فيما بعد . فان معظم خلفائهم من الهجاة .
أى من آباء عرب وأمهات عبر عربيات . وكان مروان قوى الجسم ربيع القامة .
أبيض اللون . شديد الشهلة . ضخم الهامة . كثر اللحية أبيضها . فأخذ
يجمع رجاله وقواده وينساورهم فيما صارت اليه الدولة من الاضطراب . وقد
أخذ في اعداد الجنود وهم بأن يهض بنفسه : لأنه رأى من الحزم الا يثق
بأحد من رجاله في مثل تلك الحال . فكان يقضى بهاره متساورا ومعظم ليله
مفكرا . وربما قضى الليل كله ساهرا يحطر في عرفته

فاتفق في إحدى الليالي وهو ساهر يفكر فيما جاءه من انباء تفاقم أمر
الشيعة أن حاه الحاجب نهرولا . فظنه قادما يصحب رسولا أو يحمل
رسالة . وكان من عادتهم ألا يردوا عن باب الخليفة صاحب خبر ولو جاء
في نصف الليل أو بعده . فصاح فيه مروان : « ما وراءك ؟ »
قال : « ان بالباب رجلا غريب الأطوار يسأل المشول بين يدي أمير
المؤمنين »

قال : « لعله صاحب خبر أو رسول ، من هو ؟ »

قال : « لا أدري ، ولما أردت تأجيل أمره الى الغد قال ان ما حاه في شأنه
لا يجوز تأجيله لحظة واحدة » . قال : « ادخله »

وكان مروان جالسا على سريريه فنهض والتفت بالعبادة وأخذ يمشي .
وظله يتنقل شمالا أو يمينا حسب موقعه من الضوء القائم في جانب الغرفة .
ولم تمض لحظات قليلة حتى عاد الحاجب ومعه رجل طويل القامة حاسر
الرأس ، تجعد شعر رأسه ولحيته وتلبد من الوسخ والاهمال ، وعليه قميص
يكسو الى الركبة ، وهو حافى القدمين عارى الساقين والزندين ، والقذارة
ظاهرة على يديه وأناقله وفي وجهه ولحيته وعلى قميصه وعلى كل شيء فيه ،
مع بله ظاهر في نظراته وحركاته

فلما رآه مروان ابتدره بالسؤال عما يريد ، فأجاب بقوله : « ألا تدعوني
الى الجلوس ؟ كأنك تخاف على الطنافس من جلدي ، أم غرك ما رأيته من
زهدي ؟ ان أولياء الله لا يلبسون الحرير والديباة ولا يهتمون بالطيب »

فلما سمع مروان كلامه هابه . ولم يكن يعتقد بالولاية لأنه كان قد أخذ
عن الجعد بن أدهم مذهبه في خلق القرآن والقدر ، ولكن شدة افتقار المرء
الى الشيء ورغبته في نياله تسهلان عليه تصديق المستحيل . ومروان في
حاجة الى من يشير عليه أو يرشده الى الصواب ، فتحمل جرأة الرجل ورحب
به وأمره بالجلوس ، فجلس على طنفسة ، وحلس مروان على وسادة تجاهه

وأصاخ بسمعه ، فأخذ الرجل يتمتم بكلام غير مفهوم ، ثم مسح وجهه بيديه واعتدل في مجلسه وقال : « أعلم يا مروان اني جئتكم برسالة من عالم الغيب أتتني في الحلم ، وقد أوصاني صاحب الرؤيا أن أبادر بابلغها اليك وأوصيك بوصية ، فهل أنت على استعداد لسماع ما أقول ؟ » قال : « نعم قل » فقال الرجل : « بدأت رؤيائي بصوت أيقظني وإذا برجل ينسادي (الحميمة .. الحميمة .. الحميمة) فقالت : (وما الحميمة ؟) قال : (في الحميمة أصل الشر ورأس العداوة) فقالت : (وإي عداوة ؟) فزجرني وقال : (اذهب الى امامكم مروان بن محمد ، وقل له ان عدوه الاكبر ابراهيم في الحميمة ، وهو أصل متاعبه ، فإذا قبض عليه وقتله فقد قطع رأس الحية) وأحببت أن أستزيد صاحب الصوت ، ولكنني استيقظت ، فلم يسعني الا المبادرة اليك - وما قد بلغت رسالتي ، وسأعود الى مغارتي » قال ذلك وهم بالنهوض ، فأقعه مروان وسأله رأيه في هذه الرؤيا فقال : « نحن لا نفسر الرؤيا ، وانما ننقلها كما أتتنا ، فعليك الآن أن تسأل عن الحميمة ، فإذا كانت قرية فابحث من يبحث فيها عن رجل اسمه ابراهيم »

وكان مروان قد أدرك أن ابراهيم المقصود هو ابراهيم الامام صاحب الدعوة الفباسية ، ولم يكن يعرف مقره ، فصدق رؤيا الرجل لأنها وافقت هواه - والانسان وان أنكر السحر وكذب أقوال السحرة اذا رأى في أقوال أحدهم قولاً يوافق ما في نفسه مال الى تصديقه - ثم تذكر مروان انه يعرف بلدة بالبلقاء اسمها الحميمة ، فعزم على ارسال الجند اليها للبحث فيها عن ابراهيم الامام والقبض عليه . ولاحظ أن الشيخ ما زال متحفزاً للخروج فقال له : « امكث يا شيخ عندنا على الرحب والسعة »

فقال وهو ينفض يديه : « أعوذ بالله ! أتريد يا مروان أن تحجب عني وجه الخالق وتفصل بيني وبين أهل الغيب ؟ » فقال مروان : « أخبرني اذن ما اسمك وأين مقامك حتى أبعث اليك عند الحاجة »

قال : « لا أقدر على ذلك الآن ، ولا حاجة لك الى ، فاني انما أبلغك ما أراه في الرؤيا أو أسمعه من الهاتف ، ولا جواب عندي على ما قد تسأله . فإذا شئت أن تنتفع بي ، فدعني أنصرف الى مغارتي . وإذا أتتني رؤيا أخرى ، أو وجدت مكاناً للقول فاني آتيك على عجل . وكل ما أطلبه أن تأمر حاجبك ألا يمنع بابك عني ، وألا تطلع أحداً على أمري »

فراى مروان في كلام الرجل قوة ، وكان يود استبقاه . فلما سمع قوله لم يشأ أن يخالفه ، فقال له : « اصبر اذن لتأمر لك بالجائزة »

فقال : « اننا لا نأكل طعامكم ، ولا نشرب شرابكم ، ولا نمس أموالكم - فهكذا أمرنا ، فاطلق سراحي يا مروان أو اقتلني فاني بين يديك ، ولا أرى

سببا لتأخيري سوى أنك تريد نفسي ، فخذها »
 فاستغرب مروان غضبه بلا سبب وقال في نفسه : « لعلها أخلاق أمثاله
 من أهل الصلاح » . ثم أخذ يلاطفه ليخفف من غضبه ويسترضيه فقال له :
 « افعل ما بدا لك ، وإذا شئت فأتى أرسل معك من يوصلك الى حيث تقصده ،
 فقال والغضب باد في وجهه وفي صوته : « أريد منك يا ابن الكردية أن
 تطلق سراحي قبل أن تزحق روحي »

فحمل مروان قوله هذا أيضا على أنه من عادة النساك لاعتزالهم الناس
 وانقطاعهم للعبادة أثناء الليل وأطراف النهار في مفارات لا يرون فيها أنيسا
 ولا يعاشرون غير الحشرات ، فقال له : « سر في حراسة الله ، واعلم أن بابنا
 لا يفلق دونك ليلا ولا نهارا » . ثم أمر الحاجب أن يخلي سبيله وأوصاه بالآلا
 يذكر خبره لأحد . فخرج مهرولا بخطي واسعة ، وعاد مروان الى حجرته
 وقد شغل بما سمعه من النساك . وما لبث أن بعث في طلب بعض خاصته
 وأهل ثقته ، فلما جاءوه قال لهم : « لقد رأيتم رؤيا دلتنني على مكان الامام
 ابراهيم » . فقالوا : « وأين هو مقيم ؟ » . قال : « في الحميمة بالبلقاء بين
 بعض الشيعة هناك » . ثم استشارهم في أن يبعث الى هناك بمن يقبضون
 عليه ، فوافقوا على هذا الرأي

وكتب مروان الى عامله في البلقاء بأن يتوجه الى الحميمة ، ويبحث فيها
 عن رجل من العباسيين اسمه ابراهيم ، وذكر له أوصافه . ثم يقبض عليه
 ويأتي به اليه



كان الناسك ، أو صالح ، أو الضحاك ، قد أوصل جلتار ومن معها الى
 الكوفة ، وسأل عن منزل أبي سلمة الخلال فعلم أن له معسكرا خاصا في
 محلة « حمام أعين » خارج الكوفة يقيم به ومعه حاشيته ورجال بطانته ، كأنه
 في دولة قائمة بنفسها ، وأهل الكوفة يرعون حرمة ويخشونه ولا سيما
 بعد قيامه بالدعوة العلوية ، وبذله الأموال الطائلة في سبيلها ، ثم استمراره
 في البذل لنصرة الدعوة بعد أن صارت للعباسيين وقام بها أبو مسلم
 وكان أبو سلمة يتوقع فشل أبي مسلم في الدعوة لابراهيم الامام ،
 ليمود هو الى الدعوة العلوية ، وقد مهدت لها الأسباب . على أن تظاهره
 بالدعوة لبنى العباس خوفا من بطش أبي مسلم به ، لم يكن يمنعه من بغض
 كبار قوادها وبعض الشيعة من أهل الكوفة . وكان هؤلاء يملقونه ليستندوا
 أمواله ويستعينوا بها على نجاح الدعوة

فلما وصل صالح بمن معه الى الكوفة ، وعلم أن أبا سلمة معسكر في
 « حمام أعين » قصد بهم محلته . فحطوا رجالهم ونصبوا خيامهم خارجها

للاستراحة ، وذهب هو وريحانة حتى أتيا المسكر قطليا مقابلة أبي سلمة ، فادخلوهما الى فسطاط كبير مبطن بالحرير الأحمر ، وببابه الحراس ، ودلائل الثروة ظاهرة على ريشه وأساطينه . وكان صالح بلباس أهل خراسان ، فرحب به أبو مسلم وسأله عن غرضه ، فقال : « اذا أذن مولاي فان معي جارية أرجو أن يسمح لها بالدخول »

فأذن أبو سلمة في دخول ريحانة ، فدخلت وقد غطت وجهها بالخمير على عادة النساء ، ووقفت متأدبة فدعاها الى الجلوس فقالت : « ألا يذكر مولاي أنه رأى هذا الوجه ؟ » وكشفت عن وجهها

فلما وقع نظره عليها تذكرها وقال : « ريحانة ؟ » قالت : « نعم يا مولاي »

قال : « وأين مولاك الدهقان ؟ هل تركته ؟ »

فقالت بصوت مختنق : « لا يا سيدي بل هو الذي تركنا » ولم تستطع أن تمسك عن البكاء

فلم يستغرب أبو سلمة بكاءها لظنه أن مولاهما طردها ، فقال لها : « وكيف تركك ؟ » فلم تجبه واستمرت في البكاء ، وتصدى صالح للإجابة فقال : « اذا أراد مولاي أن نقص عليه الخبر ، فليأمر بأن تذهب جاريته الى دار النساء ، ويأذن أيضا في ذهاب الدهقانة جلنار ابنة صديقه دهقان مرو معها ، لأنها مقيمة خارج هذا المسكر »

فدهش أبو سلمة وقال : « جلنار أيضا هنا ؟ وأين أبوها ؟ »

قال : « اذا أمرت بدخولها دار النساء قصصت عليك خبرها »

قال : « لتدخل حالا ، فان شيرين زوجتي ستسر برؤيتها »

ثم نهض وأخذ صالحا معه الى دار مجاورة خاصة بحريمه ، فادخل ريحانة وقال لصالح : « أرسل بعض الخدم ليأتوا بجلنار » فشكره وذهب هو الى جلنار فجاء بها الى الدار ، فاستقبلتها الجوارى وذهبن بها الى خالتها ، فلما رأتها شيرين ألقت نفسها عليها وجعلت تقبلها وترحب بها لأنها كانت تحبها كأولادها ، فهاجت تلك القبلات ذكرياتها عن موت أبيها وفرارها ، فغلب عليها البكاء ولم تقو على مقابله . وجاءت ريحانة فأخذت تخفف عنها بعبارات استبدلت شيرين منها على وقوع الفتاة في مصيبة ، فأجلستها بجانبها وجعلت تمسح دموعها وتقبلها

ودخل أبو سلمة دار النساء فرأى جلنار على تلك الحال ، وقد توردت وجنتها واحمرت عيناها وتكسرت أهدابها ، فدأى ريحانة ، فاتته أيضا وهي تبكي ، فسألها عن سبب هذا البكاء فقالت : « ستسمع ذلك من صالح ، ولولاه لكان في عداد الأموات »

فرجع أبو سلمة الى صالح وعلامات التأثر بادية في وجهه ، فأدرك صالح

ان قد آن الوقت لاطلاعه على الامر ، فقال : « انها تبكي اباهما الدهقان »
قال : « وما الذي اصابه ؟ » قال : « قتلوه »
قال : « ومن قتله ؟ » قال وهو يتظاهر بالتهيب : « قتله .. قتله ..
قائد رجال دعوتكم ! »
« : « أبو مسلم ؟ » قال : « نعم يا سيدي »
فهر أبو سلمة رأسه أسفا وقال : « لا حول ولا قوة الا بالله .. ولماذا قتله ؟ »
قال : « قتله لأنه بذل كل ما في وسعه لنصرته ! »
فضحك أبو سلمة ضحكة يمازجها غضب شديد وقال : « كيف يقتله
لهذا السبب ؟ قل الحق »
قال : « هذا هو الحق وحياة رأسك ، انه كان يعطيه الاموال بالبدر ، وقد
أوعز الى سائر دهاقين خراسان أن يناصروه بالمال والرجال ! »
فقال أبو سلمة : « هذا غير معقول » فاعتدل صالح في مجلسه ، وقال :
« وهل يستغرب ذلك من رجل يقتل على الشبهة ؟ ألم تسمع بوصية الامام
ابراهيم ؟ »
فأمسك أبو سلمة لحيته بيده ، وقال : « انا لله وانا اليه راجعون » . وبدا
كان في خاطره شيئا يخاف اظهاره . فتظاهر صالح بالبكاء والحزن ، وقال
بصوت ضعيف : « ان كل ذنب الدهقان أنه تفانى في نصرته الدعوة لامام
يوصى بالقتل على الشبهة ، وكان عهدنا بالائمة أنهم لا يقدمون على قتل نمة
بغير حق ! »
فلم يتمالك أبو سلمة أن قال : « أولئك أئمة الهدى أبناء بنت النبي ،
وأبناء الامام على كرم الله وجهه » . وأطرق
فاغتنم صالح الفرصة وقال : « فلماذا حولتم الدعوة اذن الى هؤلاء وأنتم
أصحاب الامر ؟ » أم الدعوة لا تزال لأبناء الامام على وانما تظهرون البيعة
لابراهيم لغرض لا نعلمه ؟ »
فسكت أبو سلمة ولم يجبه ، فعاد صالح يقول : « يلوح لي أن أولئك
الناس داهنوك وخدعوك طمعا في أموالك . وأنا أعلم يقينا أنك غير راض
بامامهم هذا ، ولكنك لا ترى أن تفسد عليهم أمرهم بالجهر بما في نفسك
عليهم »
فلم يعد أبو سلمة يستطيع كبت ما في نفسه وقال : « كلا ، ولكنني أعلم
انني لو قتل ما في نفسي لم أجد من ينصروني . ولا أدري كيف تغيروا جميعا
وقبلوا الدعوة لامام يوصى بمثل تلك الوصية ؟ »
ففرح صالح بهذا التصريح وقال : « وماذا عسى أن يكون من أمر هذا
الامام وهو كأحد الناس ، وأنتم الذين أنزلتموه هذه المنزلة ، وجمعتم له

قلوب أهل فارس وخراسان ؟ »

وكان أبو سلمة جالسا يسمح كلام صالح ، فلما سمع قوله هذا ، هب من مجلسه فجأة ، وجعل يخطر في الغرفة ذهابا وإيابا ومطرفه يجر وراءه ، وصالح يراقب حركاته ، ثم وقف أبو سلمة أمام صالح وقال : « قد جئنا له قلوب أهل خراسان وفارس ، ومكناه من سيوفهم وأيديهم والسنتهم ، فأصبح صاحب الأمر والنهي ولا حيلة لنا الآن »

فقال صالح : « الحيلة سهلة يا مولاي »

فضحك مستهزئا وقال : « كيف تستسهل ما لا سبيل إليه ، ان مئات الألوف من الفرس وغيرهم يدعون له الآن ، فكيف نستطيع تغيير قلوبهم ؟ »

قال : « ما قولك في قطع الشجرة من جذورها وأخذ الرجل بشريعتها ؟ » فلما سمع أبو سلمة قوله ، أطرق وسبابته بين شفتيه ينقر بها قواطعه ويده الأخرى في منطقتة ، ثم رفع بصره إليه وقال : « ومن يجرؤ على ذلك ؟ »

قال : « تدبير ذلك على • أنا أقتله دون أن يشعر بذلك أحد • ولا شك في أن قتله يسهل إعادة الدعوة إلى أهلها ومقاومة أبي مسلم • فان هذا لا يستطيع عملا دون معونتك ، وإذا علم الناس بمقتل صاحب الوصية فلا شك عندئذ أنهم يسرون ، وأولهم هذه المسكينة التي قتل أبو مسلم أباهما ونهب قصره وجعلها شريدة طريدة ، ولو أنه علم بوجودها هنا لأرسل من يقتلها ، ويقتلك معها إذا وقفت في سبيله ، بل أن هذه هي عادته مع كل من ناصروه متى وجد نفسه غير محتاج إلى نصرتهم • فليحذره كل منكم »

فتجاهل أبو سلمة وقال : « وهل أنت واثق من قدرتك على ما ذكرت ؟ »

قال : « لك على أن أقوم بذلك في بضعة أيام • ان صاحبكم في الحمية • وأنا أعرف الطريق إليه »

واستبشر أبو سلمة بما سمعه من صالح اذ صادف هوى في نفسه ، وتوسم فيه قوة ودهاء ، فأظهر له الارتياح ، وعزم على استخدامه وهو لا يعلم أن صالحا إنما فعل ذلك خدمة للخوارج وانتقاما لنفسه من أبي مسلم

فلما بلغ بهما الحديث إلى هذا الحد ، أشار أبو سلمة إلى صالح أن ينزل للاستراحة في دار الأضياف على أن يعودا إلى الكلام في الأمر • ففضى صالح بقية يومه في الراحة وتدبير بعض الشؤون ، ثم أفضى إلى ريحانة بما دار بينه وبين أبي سلمة • وأسر إليها بوصية تقولها للجنار ، كما أوصاها بالسهرة على راحتها حتى يعود من مهمته في الشام مصطحبا سليمان الحلبي لأنه يعرف تلك البلاد • ثم دعا سعيدا وأبا العينين فأوصاها بكتمان الأمر • وفي اليوم التالي استأذن في الرحيل ، فعرض عليه أبو سلمة بعض المال ، فأبى وقال : « اني أقوم بهذا الأمر لوجه الله ولا أبتغي عليه أي جزاء »

أبو جعفر المنصور

ركب كل من صالح وسليمان جلا خفيفا ، وحلما ما يحتاجان اليه من الطعام والماء ، وتوجها الى الشام . وكان صالح خلال ما مر به من الأحداث لا يكف عن البحث عن مصير شيبان والحوارج ، وكان شيبان قد رحل عن مرو لما ايقن بوقوعها في يد أبي مسلم . فلما استتب الأمر لهذا ، بعث اليه يدعوهُ الى البيعة فأجابه شيبان : « بل أنا أدعوك الى بيعتي » . فكتب اليه أبو مسلم : « ان لم تدخل في بيعتنا فارتحل » . فسار شيبان الى « سرخس » واجتمع اليه كثيرون من بكر بن وائل ، فخافه أبو مسلم وبعث اليه رسلا يفاوضونه في الصلح فسجنهم ، وأرسل أبو مسلم اليه جندا طاردوه من بلد الى بلد حتى دخل المدينة فقتل فيها وذُهب أمر الحوارج

وجاء الخبر بمقتل شيبان الى صالح وهو في طريقه الى الشام ، فشق الأمر عليه وكاد يذهب بنشاطه وسعيه ، ولكنه ذكر اساءة أبي مسلم اليه ورأى أنه مطالب أيضا بالانتقام لشيبان والحوارج

وما زال يواصل السير هو وسليمان حتى وصلا الى دمشق فنزلا في ضاحيتها ، وقضى صالح أياما يدرس أحوالها ، ثم ترك سليمان هناك وسار الى الحميمة فتحقق وجود بنى العباس بها وفيهم ابراهيم الامام ، ثم عاد فتنكر في زي ناسك وذهب الى مروان بن محمد محرضا اياه على قتل ابراهيم الامام بالحيلة التي ذكرناها . فلما خرج من عنده سار توا الى حيث ترك سليمان الحلبي ، وهناك بدل قيافته فلبس العمامة والجمبة كأهل الشام ، فبدت عليه سيماء أهل التقوى ، وأمر سليمان أن يسير وراءه كانه خادمه ، وأوصاه بوصايا تنفذه في المهمة التي هما سائران فيها . ثم سار الى البلقاء وتوجه الى الحميمة ، فنزل في خان هناك . وأشاع خادمه سليمان أنهما قادمان من الحجاز ، لمقابلة رجل سيكون له شأن عظيم اسمه ابراهيم ، فلما سمع أهل الحميمة ذلك خشى الذين يصرفون منهم ابراهيم الامام أن يكون في الأمر دسيسة ، فأنكروا وجود أحد بهذا الاسم في البلدة ، وأخذ بعضهم يقصدون الى صالح في الخان للتجسس عليه ، فكان يتظاهر بالبله ويقول : « تكبدت مشقة السفر من الحجاز الى الشام لأرى الامام وتمنعوني منه ، وأنا انما جئت لانبئه بأن هاتفا جاءني وأوحى الى أنه في خطر قادم

قريب ؟ » • ولم يقل صالح ذلك الا وقد تحقق قرب وصول رجال مروان ، بحيث لم يعد الفرار في استطاعة ابراهيم ومن معه . وكان هذا حين علم بأمر صالح قد أرسل اليه أخاه أبا العباس متنكرا لاستطلاع حقيقته ، فلما سمع أبو العباس أقوال صالح لم يعبا بها ولا بدعواه أنه من الأولياء • وأبنا بذلك أخاه ، مرجحا أن الرجل جاسوس أو دجال

ولم يمض على ذلك يومان حتى جاءت جنود مروان فجأة فحاطوا بالمحلة ، ودلهم بعض أهلها على دار بني العباس وكانوا كثيرين ، فقاوموا الجند ، ثم قال لهم رئيس هؤلاء : « ان أمير المؤمنين لا يريد بكم الا الخير ، وهو يطلب أن يقابله واحد منكم اسمه ابراهيم لاستطلاع رأيه في بعض الأمور ، ثم اعادته عزيزا مكرا • فإذا أبيتم اطاعة أمر الخليفة فأننا سنضطر الى حملكم جميعا بالقوة »

وهنا تذكر القوم كلام صالح ، واعتقدوا صدقه بعد أن لم تبق أمامهم حيلة للنجاة ، فتشاوروا فيما بينهم وأجمعوا على أن يسلموا الامام ابراهيم ، فسلموه • وبقي اخوته الثلاثة وهم : أبو العباس ، وأبو جعفر المنصور ، وعبد الوهاب • وخشى ابراهيم أن يقتله مروان ، فأوصى بالامر بعده الى أخيه أبي العباس ، وأمره أن يتنقل بمن بقوا معه الى الكوفة وفيها شيعتهم علم صالح بالقبض على ابراهيم فسر لنجاح مسعاه ، ولما جاء المساء جلس للعشاء وهو لا يزال بلباس أهل الشام • وقد تنكر وصنع لحيته بالحناء وجعلها بحشوها بالشعر ، وتظاهر بالبله • فلما فرغ من العشاء ، قعد في حجرته يتوقع أن يأتيه بعض أهل الامام للاستشارة بعد أن تحققوا صدق نبوءته ، واذا بخادمه سليمان قد دخل يقول : « ان بالباب رجلا شريفا يود أن يراك » • فظاهر بعدم رغبته في لقاء أحد في تلك الساعة لاشتغاله بالصلاة ، ثم أذن للمقادم فدخل عليه شاب أسمر نحيف البدن ، عليه قباء أصفر وعمامة سوداء والهيبة تتجلى في وجهه مع صخر سنه ، فعرف صالح أنه أبو جعفر المنصور ، وكان قد رآه من قبل ، فرحب به قائلا : « مرحبا بصاحب القباء الأصفر »

فلما سمع المنصور قوله دهش وتحقق كرامته واطلعه على الغيب ، فأسرع اليه واستأذنه في الجلوس ، فجلسا وصالح يبتسم كأنه يضم شيئا فقال له المنصور : « لقد جئت لك لاني تحققت كرامتك ، فهل أبوح لك بما في نفسي ؟ »

قال : « سواء أبحث أم كتمت ، فاني عالم بما في نفسك ، فإذا أحببت أن أطلعك على ما في ضميرك فعلت ، وإذا شئت أن تقول فاني أسمع »
فازداد المنصور إعجابا بالرجل وقال : « قد تحققت صدق كرامتك من أول كلمة سمعتها منك ، وإنما أطلب اليك أن تخرج خادمك لا كلمك على أفراد »

فأشار صالح إلى الخادم فخرج ، ثم أخذ يعبت بلحينه وهو مطرق يحيل عينيه في جوانب الحجرة كأنه يفتش عن صائح ، فابتدره المنصور قائلاً : « أعلم لماذا جئتك ؟ »

وكان صالح يعلم أن العباسيين لا يهجمون إلا بالخلافة وكل منهم يطمع فيها لنفسه ، فقال له : « جئتني في شأن الخلافة ! »

فقال المنصور : « صدقت ، وأرجو أن تشير على بما تراه »

وكان المنصور شديد الاعتقاد بالتنجيم ، وقد علم بذلك صالح . فقال له : « اني خير بالتنجيم الروحاني ، أطلع على المخبات بمرافة النجوم ولكنني لا استخدم الاسطرلاب . فقل ما تريد . فاني سامع »

قال : « لقد عرفت صدقك من قبل ، ولم يسعدنا الحظ بالعمل برأيك إلا بعد فوات الفرصة ، فآخذوا أخى الامام ابراهيم أسيراً ، ولا ندرى ما مصيره . غير أننا لا نرجو بقاءه ، وقد أنبأنا هو بذلك وأوصانا بوصية تتعلق بالبيعة » فقطع صالح كلامه ، وقال : « البيعة لك »

فقال : « وما أدراك انها لى ؟ فقد أوصى بها لأخى أبى العباس الليلة »

قال : « بل هي لك ان لم يكن عاجلاً فآجلاً »

وكان المنصور من أهل الذكاء والدهاء ، ولكنه اعتقد صدق صالح وتوسم الولاية في وجهه لما شاهده من تباله فقال له : « انما جئتك لهذه الغاية وقد تحققت صدقك منذ ناديتني بصاحب القباء الأصفر »

ولم يكن صالح قد عنى شيئاً بذلك الكلمة ، ولكنها صادفت اعتقاداً قديماً للمنصور ، وأخذ يروى له قصة ذلك فقال : « ان أمر القباء يشهد بصدقك ، فقد اجتمع بنو هاشم منذ زمن في المدينة وأنا معهم . للنظر في أمر البيعة بعد ذهاب دولة بنى أمية ، وكان الامام جعفر الصادق حاضراً فقال : (لا ينال الخلافة الا صاحب القباء الأصفر) . وكنت لأبسا هذا القباء ، فانطوت نفسى على الأمر ورقت العيال من تلك الساعة »

فسر صالح بهذه الصدفة ، وأخذ يستخدم دهائه لاتمام الحيلة فقال : « ألم أقل لك ذلك ؟ »

قال : « نعم ، ولكن الواقع أنهم بايعوا قبلى لأخى ابراهيم ، ولما ساقوه اليوم الى السجن بايعوا لأخى أبى العباس ، وقد أوصانا ابراهيم أن نذهب الى شيعتنا في الكوفة »

فقطع صالح كلامه كأنه لا يريد أن يسمع قوله ، وقال : « لا .. لا ، بل انت الخليفة .. هذا ما أعرفه ، ولو بويح بها كل أهلك فانها صائرة اليك . ابشر بها من الآن ، وسترى ونرى ان شاء الله » . قال ذلك ووقف كأنه يريد أن يصرف جلسيه ، فلم يعبأ المنصور بتدليله لعلمه بأن أهل الكرامة

يفلب فيهم غرابة الطباع . فوقف وهو يقول : « ما بالك ؟ » .

قال : « لقد آن لي أن أعود الى بيتي » .

قال : « ألا تمكت فنذهب معا الى الكوفة ، وإن صح قولك كافأناك ؟ » .

قال : « حبذا ذلك ولكنني مضطر للذهاب الى المدينة بجوار قبر الرسول ، وأما الكوفة فلا أعرفها ولا أريد الذهاب اليها » .

قال : « أتشير علينا بالذهاب اليها ؟ » . قال : « كيف لا ؟ وفيها أبو سلمة ! » .

فاستغرب معرفته باسم أبي سلمة بعد أن قال انه لا يعرف الكوفة فقال له : « أما من سبيل الى استبثائك معنا ؟ » .

قال : « ليس لي الخيار في البقاء أو الرحيل . فقد كنت في المدينة من قبل ، فسمعت الهاتف يأمرني بالمجيء لهذه المهمة وقادني الى هنا ، ولكنكم لم تصدقوني فاصابكم ما رأيتم ، وقد يأتيني مرة أخرى بأمر يتعلق بك فأتيك حينما تكون . أما الآن فلا مندوحة عن الرحيل » .

وكان المنصور ذا دهاء ومكر مع إيمانه بالولاية والتنجيم . فلما رأى صالحا، رغم الحاحه عليه، يأبى البقاء عنده ، تحقق أن الرجل منزّه عن الغرض، والا لآثر البقاء معه بعد علمه بأنه سيكون الخليفة . ولما رآه مصرا على الرحيل ، قال له : « ما اسمك وأين مقامك، حتى اذا وفقت الى الخلافة قربتك واستعنت بعلمك ؟ » .

قال : « لا تنفك عن مصرفة اسمي ولا مكاني . دعني أنصرف الآن . وسأتيك عند الحاجة ، وربما جئت عما قريب لأنني أشعر بظلمة تحدق بخلافتك اذا انقضت ظهرت الحقيقة . أما الآن ، فاستودعك الله » . قال ذلك ووقف ، فودعه المنصور وخرج .

ورأى صالح بعد أن علم بعزم أبي العباس واخوته على الذهاب الى أبي سلمة أن يسبقهم اليه ليخبره بما كان ، ويدبر حيلة لاتمام ما يبيتانه لآل العباس ، فأصلح لحيته وبدل ثيابه وأمر خادمه سليمان أن يهيئ الجمالين . فلما فرغ سليمان من اعدادهما ذهب الى صاحب الخان وجلس ينتظر صالحا، وقد أذهله دهاؤه ومكره . فطال انتظاره وخاف أن يكون قد لحق به سوء ، فسار الى حجرته حتى بلغها فوجدها مغلقة ، فأخذ يتطاول بعنقه ويصيح بأذنيه لعله يسمع حركة أو صوتا يستدل به على شيء ، ثم رأى نورا خارجا من بعض شقوق الباب ولكنه لم يسمع صوتا . فوقف مترددا بين أن يقرع الباب أو يتربص ساكنا . فاذا بالنور قد انطفأ . ثم سمع وقع أقدام فعلم أن صالحا خارج . وما عثم أن رأى الباب فتح وأطل منه رجل طويل القامة حاسر الرأس حافي القدمين عارى الزندين ، وقد تجعد شعر رأسه ولحيته وتلبذ من الوسخ والاضمال ، وعليه قميص طويل يكسوه الى الركبة

والقذارة ظاهرة على كل شيء فيه . فدهش - سليمان لأول وهلة ثم تذكر انه رأى صالحا فى مثل هذه الهيئة منذ بضعة أيام فعرف أنه هو

وسارع صالح الى عيادته فالتف بها حتى غطى رأسه ولبسته ، ثم أشار الى سليمان فقتبه الى الجبلين ، فركبا وسارا حتى أمسيا خارج المحلة . فقال صالح : « أعلم الى أين نحن ذاهبان ؟ »

قال : « أظننا ذاهبين الى دمشق »

قال : « نعم اننا ذاهبان اليها ، وستبقى أنت فى انتظارى خارجها حتى أعود اليك »

فقال : « سمعا وطاعة »

وساقا الجبلين طول ليلتهما واليوم التالى وما بعده ، دون أن يستريحا الا قليلا ، وأشرفا على دمشق عند الغروب فاذا بغبار يتطاير قرب بابها ، فوقفا وقال صالح : « أسرع يا سليمان وائتنى بخبر هذا الغبار ، واحذر أن يعلم أحد بأمرنا »

فهرس سليمان رأسه استنكارا لذلك التحذير ، ثم مضى فى مهمته ، وظل صالح فى انتظاره على جله ، وقد التف بالعبادة . وعاد سليمان بعد هنيهة ، فابتدعه صالح قائلا : « ماذا رأيت ؟ »

قال : « رأيت معسكر الخليفة مروان بن محمد »

قال : « وهل الخليفة معهم ؟ » . قال : « نعم »

قال : « هل علمت سبب خروجهم ؟ » . قال : « علمت أنهم عسكروا هنا تاهبا للسفر فى صباح الغد »

قال : « والى أين ؟ » . قال : « أظنهم ذاهبين الى القتال فى بلاد بعيدة ، لكثرة ما أعدوه من الاحمال والاثقال ! »

فاطرق صالح مفكرا ، وقد أدرك أن مروان خارج لقتال شيعة العباسيين فى العراق ، بعد أن رأى استفحال أمرهم بصدد فتحهم مرو وزحفهم نحو العراق . فترجل وأشار الى سليمان فتزل ، وجلسا تحت شجرة هناك ، فتناولوا طعاما كان سليمان قد تزود به للطريق ، حتى اذا فرغا قال صالح : « انى ذاهب فى مهمة الى هذا المعسكر ، فامكث أنت هنا حتى أعود اليك ، وأطعم الجبلين ، وكن على أهبة الرحيل »

قال : « سمعا وطاعة »

ونهض صالح فخلع العبادة فظهرت قيافته الجديدة بشعره المجعد وقميصه القصير وقذارته ثم تمرغ فى تراب ناعم هناك حتى كساه الغبار كأنه قادم من سفر طويل ، وقصد الى معسكر الخليفة

وكان مروان قد أقضى مرقده أمر الشيعة فى فارس والعراق حتى خاف



وقال مروان بن عبد الصالح : « هل جئت تبشرون بغيري ؟ »

على سلطانه ، فأخر حملته عليهم حتى جاءه البشير بالقبض على الامام ابراهيم في صباح ذلك اليوم ، فأمر بأن يحبسوه في (حران) وخرج بجيشه لبيبتوا في الفوطه . ثم بيكروا بالرحيل في الصباح . فلما فرغ من طسامه صرف أمراءه وجلس في فسطاطه يدبر شؤونه ، وكان مبلبل الذهن نأدى الاضطراب لما أهدق به من الشواغل ، فلم يستطع رقادا . وفيما هو في ذلك جاءه الحاجب يستأذن للناسك المعلوم ، فاضطرب لأول وهلة ، ثم شعر براحة واطمئنان وقال : « ليدخل حالا »

فدخل صالح بهيئته تلك ، فرحب به مروان ولم يجرؤ أن يدعوه الى الجلوس . فابتدريه صالح قائلا : « لقد كابدت مشقة كبرى وسفرا طويلا حتى تمكنت من الوصول اليك قبل سفرك » فقال : « هل جئت تبشرني بشيء ؟ »

قال : « ليس عندي جديد يا ابن محمد ، ولكنني أنبئت بأنهم قبضوا على الرجل ، وأنت حبسته في حران ، فإذا أبقيت عليه فكانك لم تفعل شيئا ، اقتل ، ثم اقتل ، ثم اقتل ! »

فأطرق مروان ، ولم يستغرب الرأي وقال : « طب نفسا فانه مقتول » فلما سمع قوله تحول يريد الخروج ، فهم بأن يدعوه الى الجلوس ولكنه ذكر ما كان من انكاره ذلك في المرة الماضية . فلبث صامتا وهو يرى صالحا يخطو نحو باب الفسطاط خطوات طويلة وعيناه في السقف حتى خرج من الباب ولم يلتفت الى الوراء ! فعاد مروان الى هواجسه رغم الطمانينة التي بعثها فيه مجيء الناسك ، ومال الى الاعتقاد بكرامته

وعاد صالح الى حيث ترك سليمان وقد تحقق أن ابراهيم مقتول عما قليل ، فآخذ في التفكير في أمر اخوته وذهابهم الى الكوفة وما يكون من أمر أبي سلمة معهم . ثم ركب جله وركب سليمان جله أيضا ، وسارا مسرعين . وقبل خروجهما من الفوطه ، ترجل صالح عند بركة هناك اغتسل فيها ، ثم أصلح شعره وتلثم بالكفوية والتف بالعباءة ، وسار يطلب العراق ، مواصلا السير ليلا ونهارا حتى لا يسبقه العباسيون الى أبي سلمة . وبعد أيام ، أشرف في الصباح على الكوفة ، فأطل على « حمام أعين » فرأى قصورها وحدائقها وفساططها ، وذكر المهمة التي هو قادم لاجلها فأيقن أنه فائز بغرضه ، فقد أخفق العباسيون بمقتل ابراهيم ، وجاء اخوته وبقية أهله الى أبي سلمة ، وليس أسهل من اغرائه بقتلهم أو حبسهم ، فتذهب دولتهم ويفشل أبو مسلم

وبعد أن استراح هنيهة في ظل شجرة ، ركب مسرعا ان « حمام أعين » وأمر سليمان أن يذهب الى جلتار ليخبرها بمجيئه . ثم سار توا الى منزل

أبى سلمة وهو لا يزال ملثما بالكوفية وملثما بالعباءة ، فلما وصل الى الباب
ترجل وأراد الدخول ، فاعترضه الحراس ومنعوه ، ولكنه قال لهم : « أعلموه
أنى رسول أهل اليه كتابا »

فقال أحدهم : « لا يستطيع أحد أن يدخل عليه الآن »
فقال : « ولكننى رسول أتيت به خبر هام لا ينبغي تأجيله »
قال : « مهما يكن من شأن رسالتك ، فانا أمرنا أن نمنع الجميع بغير
استثناء من الدخول عليه ، لاستئذنه بمقابلة سرية »

فاوجس صالح خيفة من أمر هذه المقابلة ، ولم ير بدا من الإذعان . فتحول
الى مقعد بجانب الباب ، وحل عقال كوفيته لاشتددا الحر وجلس يفكر فيما
سمعه . وما لبث أن سمع تصفيقا ورأى الحراس فى حركة واهتمام ، وقد
دخل أحدهم ثم عاد يتقدمه رجل قصير القامة غريب الزى عليه عمامة كبيرة ،
وقد كحل عينيه وأرسل سالفه على صدقيه ، وجعل لحيته شطرين أرسل
كلا منهما الى جانب من صدره ، وعليه جبة من الخز واسعة ، ويدهم عصاه
يتوكأ عليها ، ووراءه غلام يحمل على كتفه جرابا مزركشا واسطرلابا كبيرا ،
ويتأبط كتابا ضخما . فلما رآه صالح اختلج قلبه فى صدره ، اذ رأى فيه
شبهًا بابراهيم اليهودى خازن أبى مسلم . ثم تقرس فيه فكاد الدم يجمد
فى عروقه اذ تحقق انه ابراهيم بعينه ، وندم على نزع لثامه مخافة أن يراه
فيعرفه وينكشف أمره .

أما ابراهيم فانه خرج يمشى الحيلة ويضرب الأرض بعكازه ملتفتا يمينا
وشمالا والحراس واقفون له تجلة واحتراما ، ولما وقع بصره على صالح أخذ
يتفرس فيه حينًا ، ثم امتقع لونه اذ عرفه ، ولكنه تجاهل وظل ساثرا حتى
وصل الى بئله عليها عدة مقشاة بالدباج ، فأسرع بعض الفلمن فى تقديمها
له ، وأعاناه غلامه على ركوبها . ثم ساقها فانطلقت به
وظل صالحا واقفا ذاهلا ، ثم انتبه وقال فى نفسه : « ما الذى جاء بهذا
الحبيث الى هنا ؟ لابد أنه قادم بدسينسة ! » ثم التفت الى الحاجب وقال :
« هل تظن مولانا يأذن فى دخولى عليه الآن ؟ »

فسئل الحاجب ثم عاد فدعا صالحا الى الدخول ، فدخل حتى أقبل على أبى
سلمة فى قاعة كبيرة كان جالسا فى صدرها وحده على وسادة ، وقد ظهر
الاهتمام فى وجهه . فلما رأى صالحا ابتسم له ورحب به ودعاه الى الجلوس
بجانبه . فهم صالح بتقبيل يده ، ثم جلس ، فقال أبو سلمة : « أرجو أن
تكون قد نجحت فى مهمتك لیتم حفظنا اليوم »

فقال : « لقد جئتكم بما تبتغيه ونجحت فى مهمتى أحسن نجاح ببركتك
ودعائك ، فهل نحن فى مأمن من الرقباء ؟ »
قال : « نحن فى مأمن ، فقل ما بدا لك »
قال : « لى سؤال أرجو ألا يشغل على مولا

قال : « أسأل ولا خير فيه » .
قال : « رأيتك اليوم بادی القبلة » . فهل من خبر جديد يدعو الى ذلك ؟
فضحك أبو سلمة وقال : « ليس ثمة خبر جديد » . ولكن رجعا بارعا
جامدني منذ قليل ، وقد رأيت منه العجائب وتحققت أنه من الخلق في التنجيم
يمكن أن عظيم » .

فقال صالح : « لعله الرجل الذي خرج من عندك الساعة ؟ »
قال : « نعم » ، هو بعينه المنجم حاييم ، وهو من يهود حران .
قال : « وكيف عرفت حذقه ؟ »

قال : « عرفت مما شاهدته من كشفه الأسرار » ، فقد أخبرني بأمور لم
يكن أحد يعلمها غيري ، وذكر لي قدومك الى وبعض ما حدثتني به .
فلما سمع صالح قوله ، أجفل وتحقق أن ذلك اليهودي قادم للبحث عنه ،
ولكنه استغرب اطلاعه على وجوده هناك وعلى ما دار بينه وبين أبي سلمة ،
وخاف أن يبدو ذلك في وجهه ، فتجاهل وأظهر الاستخفاف وقال وهو
يضحك : « وما الذي قاله لك ؟ »

قال : « أخبرني بما يكنه ضميري في أمر العباسيين وطمعهم في الاستئثار
بالخلافة » ، فأنكرت ذلك لثلاثي يكون قادما بدسيسة من أحدهم ، ولكنه لم يعبا
بانكارى ، وبرهن على صدقه بأقوال لم يكن أحد عالما بها سواي ، وبعضها
لم يطلع عليه أحد سواك . ومن ذلك أنه ذكر قدومك علينا ومعك ابنتنا
جلنار ، وقص على ما أصابها من الأذى على يد أبي مسلم ، ورأيتة ناقما على
هذا الحائن لغيره بها ، مع أنه لم يعرف الفتاة ولا أبا مسلم ولا رآهما . وكان
لا يقول شيئا الا بعد مراجعة كتابه واستعمال أسطرلابه . فلما رأيت منه
تلك المعرفة ، وثقت به وسألته عما يراه في أمر المستقبل فطمأنني وبشرني :
« فلم يتمالك صالح عن قطع كلام أبي سلمة قائلا : « هل أخبرته بالمهمة
التي ذهبت من أجلها الى الشام ؟ »

قال : « لم يترك لي فرصة لاختباره بشيء » . بل كان يخبرني بكل ما في
نفسه ، وقد ذكر لي أن المهمة التي مضيت في شأنها لا ريب في نجاحها .
فاستعاذ صالح بالله ، وأيقن ان ابراهيم انما أتى بدسيسة من أبي
مسلم للبحث عنه وعن جلنار ، ولكنه استغرب اطلاعه على جلية أمرهما .
فانقبضت نفسه وأطرق مبهوتا ، ولم يحر جوابا . فانكر أبو سلمة حاله
فقال له : « مالي أراك ساكتا لا تتكلم ؟ أخبرني بما فعلته في رحلتك » .

فقال : « ما الفائدة من نجاحي في مهنتي بعد ما سمعته منك ؟ »
فاضطرب أبو سلمة ولم يفهم مراده ، وقال : « ان ما سمعته مني لما يسر ،
فهو بشير لنا بحسن العاقبة » .
قال : « كلا يا مولاي ، بل هو يذهب بصناعينا أدراج الرياح ، ويجعل
حياتنا في خطر » .

فازداد أبو سلمة دهشة لما سمعه ولم يفهمه ، وقال : « ولماذا ؟ » قل يا صالح فقد ألقنتني »

قال : « ان هذا المنجم سينقل كلامك الى أبى مسلم ، وربما زاد فيه من عنده ما يضاعف نقمته علينا »

فتطاول أبو سلمة بعنقه وحلق بعينه وتحفز كأنه يهيم بالوثوب ، وقال : « ينقل كلامي الى أبى مسلم ؟! كيف هذا وهو لا يعرفه ؟ » أظنك واحما ،

قال : « لست واحما يا مولاي ، فاني أعرف الرجل معرفة جيدة ، وهو من أتباع أبى مسلم ، بل هو من أكبر ثقائه وأمضى أدوات القتل عنده »

فقال أبو سلمة وقد تلمعت لسانه من شدة التأثر : « وكيف ذلك ؟ »

قال : « قد عرفت هذا اليهودى خازنا عند أبى مسلم ، وعلمت من دهائه ومكره ما أكد لي أن أبا مسلم يعول عليه في التجسس ، ولا ريب عندي في ذلك »

قال : « وما الحيلة الآن ؟ »

قال : « لا حيلة لنا الا القبض عليه أو قتله حتى لا يستطيع ابلاغ خبرنا الى أبى مسلم »

قال : « نعم الرأي » . ثم صفق فدخل حاجبه فقال له : « هل تعلم المكان الذى سار اليه المنجم الحرائي ؟ »

قال : « كلا يا مولاي ، ولكنني رأيته ركب ووجهته الكوفة ، وقد حث بفلته على الاسراع »

فنظر أبو سلمة الى صالح كأنه يستطلعه رايه ، فقال صالح : « أظنه ينزل في خان هناك أو في بعض منازل اليهود أو معابدهم »

فالتفت أبو سلمة الى الحاجب وقال : « ادع لي أبا ضرغام العيار »

فخرج الحاجب وقد استغرب صالح طلب أبى سلمة ، فقال له : « هل تنوى ارسال العيار في طلب اليهودى ؟ »

قال : « نعم ، وقد ادخرت هذا العيار ومعه نخبة من أمثاله لمثل هذه المهمة لسرعة حركاتهم واطلاعهم على المخبات »

ولم يتم كلامه حتى عاد الحاجب ووراه رجل عارى الصدر والظهر ، مكشوف الرأس حافي القدمين ، ليس عليه من الثياب الا سراويل قصيرة من خيش متين ، وقد علق بكتفه مخلاة مملوطة بالحصى ، وفي يده اليمنى مقلاع ، وفي اليسرى قطعة من الخبز يعضها . فابتسم له أبو سلمة وقال : « أتعرف الكوفة يا أبا ضرغام ؟ »

فضحك أبو ضرغام وقال : « وكيف لا أعرفها ؟ »

قال : « أرايت المنجم الذى جاءنا في هذا الصباح وخرج من عندنا الآن ؟ »

قال : « أتعني اليهودي المكحل صاحب العكاز؟ » لقد رأيته خارجا ووراء غلامه ، وقد أعجبني الجراب الذي كان يحمله فانه يصلح لحمل الحصى »

قال : « أتستطيع أن تأتييني به ولك جراه ، وملء جراه مما تستهي ؟ » وهو قد ذهب الى الكوفة ، فاما انه نزل في خان بها ، أو نزل عند بعض اليهود »

قال : « اني أسوقه اليك كما يساق الغنم للذبح ، ولكن عيب اني لم أستطع استقدامه حيا فماذا أفعل ؟ »

قال : « انني أوتر أن تأتييني به حيا . هل يصبر عليك ذلك ؟ »
فهز العيار رأسه وضحك ، ثم قال : « يعسر علي ؟ ! كلا فاني سائقه اليك ولو كان في الجحيم ، وهب أنه طار في الهواء فاني أرسل اليه حمرأ بهذا المقلاع » . قال ذلك وأشار الى المقلاع الذي بيده

فضحك أبو سلمة وقال : « اذهب سريعا ، واحذر أن يفوتك » . فودع العيار وانصرف لانتجاز مهمته



انشرح صدر أبي سلمة لوثوقه بمقدرة العيار ، فالتفت الى صالح وقال : « لا يلبث هذا اليهودي أن يأتيك صاغرا . فأخبرني الآن بما فعلته في الشام ؟ »

وكان صالح قد اطمأن قلبه أيضا وسرى عنه ، فقص على أبي سلمة حديث سفره من أوله الى آخره ، فأعجب بدعائه ومكره غاية الإعجاب . وقال : « أوافق أنت من أن امامهم ابراهيم قد قتل ؟ »

فقال : « لا شك في ذلك ، وقد انتقلت البيعة الى أخيه أبي العباس ، فعلمنا أن نقضي على هذا أيضا وعلى بقية العباسيين لتفضي الخلافة الى العلويين . وهذا محمد بن عبد الله الحسنى مقيم بالمدينة ، وقد بايعه بنو هاشم من العباسيين والعلويين على أن يكون خليفة المسلمين بعد ذهاب دولة بني أمية ، فقطع أبو سلمة كلامه وقال : « أنا على يقين من أن أبا العباس وأخاه المنصور وكل بني هاشم بايعوا محمدا هذا ، ولكنهم ينكرون هذه البيعة الآن . ولولا ذلك لما كان ثمة باعث على هذا الاختلاف »

قال : « مهما يكن من الأمر فإن أبا العباس وأخوته وأعمامه وبيعة أهله قادمون اليك بعد قليل ، وسينزلون عندك ، فتستطيع إرسالهم الى خوارزم » . قال ذلك وضحك

فلم يفهم أبو سلمة مراده فقال : « ولماذا نرسلهم الى هناك ؟ »

قال : « انما أريد أن تقتلهم ، وهذا تعبير تعلمناه من أبى مسلم كبير القتل
والسفاحين »

فضحك أبو سلمة ، وقال : « وهل تريدنى أن أقتل آل العباس ؟ »
قال : « سواء أعينته أم لم أعنه فان الأمر لا يتم للطلوعين الا بقتل هؤلاء ،
وإذا لم تقتلوهم قتلوكم ! »

فأطرق أبو سلمة وهو ينظر فى بساط بين يديه عليه رسوم ملوك
الفرس ، وظل صالح ساكتا يراقب ما يبدو منه ويرجو أن يوافقه على قتلهم ،
لاعتقاده انها فرصة ثمينة اذا لم يفتنموها ولت ولن تعود . ثم رفع أبو سلمة
بصره الى صالح وقال : « لا ، لا . لن أقدم على هذا الأمر ، فاني اذا أقدمت
عليه ارتكبت منكرين كبيرين . أولهما قتل جماعة من أبناء عم النبى لا ذنب
لهم ، والثانى انى أخفر ذمتى وأغدر بحيرائى وأضيافى . فكيف أقتلهم ؟ »
هذا لا يكون ،

فهز صالح كتفيه وزم شفثيه ، ثم أشار بعينيه وحاجبيه اشارة التبرؤ
كأنه يقول : « افعل ما بدا لك ، هذا الأمر لا يعنينى . » ثم تحفز للقيام وقال :
« لا أنكر فظاعة هذا العمل ، ولكن الدول لا تقوم الا بمثل ذلك . وهذه
وصية امامهم لو أخذناهم بها جاز لنا قتلهم ، فهو يقول : (من شككت فيه
فاقتله) . وكم قتلوا من أبرياء لا ذنب لهم . ولو أن أبى مسلم كان مكانك
ما ضيع هذه الفرصة ، لأن الفوز مضمون . فالناس بايعوا لآل البيت أكثرهم
يروون البيعة لأبناء علي ، ولكن أبى مسلم يموه عليهم ويدعوهم الى بيعة آل
العباس . فإذا لم يبق أحد منهم فالبيعة تنحصر فى آل علي . وهذا محمد بن
عبد الله فى المدينة وبيعته لى أعناق العباسيين . ومتى علم أبو مسلم بموت
أبناء العباس فانه لن يرى بدا من مبايعة أبناء علي ، والا فان حروبه وفتوحه
تذهب سدى ولا ينتفع أحد بها ، لعلمه أن الناس لا يخضعون الا لخليفة
قرشى »

فقال أبو سلمة : « لا أستطيع دفع حجتك هذه ، ولكنى لا أستطيع أن
أصور شيئا مسلو لا لقتل جماعة من أبناء عم النبى ، ويكفى ما دبرناه لقتل
أحدهم »

فضحك صالح ، وقال : « كأنك فهمت انى أريد قتلهم بالسيف جهارا
كما يقتل المجرمون ؟ كلا وانما نقتلهم بلا ضوضاء ولا بكاء ، فلا يشعر أحد
بهم . نقتلهم بالسم فى اللبن أو العسل ، كما يفعل بنو أمية بأعدائهم .
وإذا أكبرت أن تقتل كل القادمين عليك من بنى العباس ، فاقتل أخوة
أبيهم الامام الذين يخشى نقل البيعة اليهم وهم ثلاثة ، أو أقتل أبى العباس
الذى انتقلت البيعة اليه على الأقل . فإذا شق عليك مباشرة ذلك بنفسك ،
فاعهد فيه الى ناقضيه لك من أيسر سبيل »

وكانا يتكلمان واقفين . وطن صالح أنه تغلب على رأى أبى سلمة ، ولكنه ما عنم أن رآه ينكر ذلك ويعظمه الى أن قال : « لا أرانى أستطيع اتيسان هذه الجريمة . سواء على يدك أم على يد سواك . فالذنب ذنبى على كل حال . فإذا كانت لديك حيلة غير هذه فاذكرها »

قال : « هذه فرصة سانحة ، فإذا لم تفتتنها ذهب سعيك فى بصره العلويين عبثا ، لأن أهل الفتك والقدر لا ينبغي أن يعاملوا الا بمثل ذلك . والا فهم الفائزون . ولا اظنك تجهل أن عليا وأولاده وأحفاده انما فتملوا فيما يطلبون من أمر الخلافة لأنهم لا يستعينون فى تأييد حقهم بغير التفوى والعدل . وكم من فرصة مثل هذه سنحت لدعاة العلويين ولكنهم عدوا اغتنامها منكرا ، فذهبت وضاعت حقوقهم . وعلى عكس ذلك سار الأمويون ، فانهم ينقبون عن مثل هذه الفرص ويبذلون فى سبيلها المال والرجال . فإذا اطعنى نلت ما تبتغيه وأقامت الدولة العلوية . ولم يضع أمر العلويين هذه المرة كما ضاع من قبل . وأنت بعد ذلك غير . وإذا خالفتنى اطعك »

فقال أبو سلمة : « لى أسوة بالامام على وأهله ، ولا أطمح فى أن اكون اشد منهم حزما وأصوب رأيا ! »

فلم ير صالح حيلة فى اقناعه فسكت ، ثم تذكر أمر ابراهيم اليهودى الحازن فقال : « وهل تظن العيار عشر على المنجم ؟ »

قال : « اذا كان هذا المنجم على سطح الأرض فانه لا يستطيع العرار من يده » . ثم صفق لدخسل الحاجب ، فقال له : « هل علمت شيئا عن أبى ضرغام »

قال : « علمت انه حينما خرج من حضرتك أشار الى رجاله فتبعوه ، وكل منهم فى مثل لباسه وسلاحه ، بعد أن تلا عليهم ما أمرتهم به ، وفرقهم فى أطراف المدينة ، وذهب هو الى وسطها ولم يعد بعد »

فهز رأسه اشارة الى الاكتفاء بما سمع . فخرج الحاجب . ثم استأذن صالح فى الانصراف لرؤية جلنار ، فأذن له وقال : « كنت أحسب أنك لقيتها قبل مجيئك الى ، فاذهب اليها وخفف عنها » . قال ذلك وعيناه تدمعان



خرج صالح من عند أبى سلمة يقول لنفسه : « ان من كان فيه جنان النساء وضعف الغلمان لا يصلح لانشاء الدول ، وانما تنشأ الدول بالدهاء والحزم والفتك ! »

ثم سار حتى بلغ دار النساء وهى قريبة من قصر أبى سلمة ، فوجد

سليمان ينتظره ببابها ، فسأله عن جلتار فقال : « هي في خير ، ولكنها قلقة لطول غيابك »

فقال : « وأين هي الآن ؟ »

قال : « في هذه القاعة ومعها ريحانة » - وأشار الى قاعة داخلية

قال : « أدع لي أحد الحصيان »

فذهب وعاد بخصى أبيض ، فقال له صالح « أبلغ ضيفتكم الحراسانية اني أريد مقابلتها » . ولم يذكر اسمها رغبة في كتمان أمرها لأسباب تقدم بيانها . ولم يكن أحد غائبا بحقيقة أمرها غير أبي سلمة وامراته وبعض الجوارى . فذهب الحصى ثم عاد ودعا الى قاعة توصل الى الخارج باب خاص . فدخل صالح واستقبلته جلتار باسمه لأول مرة منذ انتابها تلك المصائب ، فانشرح صدر صالح أو أظهر الانشراح ، لأنه يضممر أمورا هي أكبر شأننا عنده مما يظهره من رغبته في قيام الدعوة العلوية وسقوط العباسيين والأمويين . ولو خيروه لاختار ذهابهم جميعا . ولكن الظروف اضطرت له الانتقام لجلتار ولنفسه من أبي مسلم

فلما دخل صالح القاعة ، ابتدرته ريحانة بالترحاب والسؤال عن حاله ثم قالت : « لقد أقلقنا غيابك حتى الآن ، وقد أخبرنا سليمان أنك آتيت منذ ساعات » . قالت ذلك معاتبة

فقال : « كان يجب أن أسرع في المثول بين يدي مولاتنا الدهقانة ، ولكنني احببت أن أكلّم أبا سلمة في بعض الشؤون المتصلة بمهمتنا »

فقالت جلتار : « علمت من سليمان بعض ما بذلته من الجهد في سبيل غرضنا ، مثل جعل مروان الأموي يقبض على إبراهيم الامام ويحبسه . وكنت أحب أن أسمع تفصيل هذا الخبر منك »

فاشار برأسه مطيعا ، وقال : « لم يعرف سليمان من أعمال الا القليل ، هل أخبرك أننا قتلنا الامام ؟ »

قالت : « كلا ، وهل قتلتموه ؟ »

قال : « نعم » . وقص عليها حكاية رحلته وما دبره من الحيل لينجح في مهمته ، فاحسنت بانفراج كربتها كأنها انتقمّت لآبائها وشعرت بجميل صالح حتى غدت لا تعرف كيف تبدي شكرها له ، فسره ما بدا من سرورها ، ثم تذكر أمر إبراهيم الخازن وإطلاعه على مقرهم ، وخشى ألا يستطيع العيار القبض عليه قبل رجوعه الى خراسان فتكون العاقبة وخيمة عليهما وعلى أبي سلمة . كما تذكر الرسالة التي بعث بها الى ابن كثير مع السائس الأبرك ، فالتفت الى ريحانة وقال : « ألم يرجع السائس من مهمته ؟ »

فضحكت ريحانة وقالت : « عاد منذ بضعة أيام »

فاستغرب ضحكها ورأى جلتار تضحك معها كأنهما تكتمان أمرا ، فقال

لها : « ما بالك بصحيح ؟ ألم يبلغ رسولنا الرسالة ؟ »
قالت : « لا أضحك لهذا فإنه بلغها كما ينبغي ، ولكنني تذكرت حاييم
المنجم الذي جاء معه »
فحقق قلبه عند سماع الاسم ، وقال : « ومن هو حاييم هذا ؟ »
قالت : « منجم يهودي من أهل حران ، التقى به سائسنا أثناء رجوعه
من مهمته »

فعلم صالح أنها تعني ابراهيم الخازن ، فخاف أن يكون قد علم منها شيئا ،
فقال : « وما الذي أضحكك من هذا المنجم ؟ »
قالت : « أضحكني منه أنه خفيف الروح كثير المجون ، فضلا عن مهارته
في استطلاع الخفايا بالتنجيم . اني لا أنسى حركاته في استخدام الاسطرلاب
فقد أضحكنا كثيرا ، وكان تسليية كبرى لمولاتي أثناء انتظار رجوعك . وقد
رأينا منه المعجزات ! »

فازداد خوف صالح وقال : « ما الذي كشفه لكم من الخفايا ؟ »
قالت : « كشف لنا أشياء كثيرة ، وأغرب ما في مهارته أنه كان يطلعنا
على أسرارنا بالإشارة ولا يتكلف لفظا »

فتحقق صالح أن المنجم لم يكشف لهما سرا ، ولكنه ساقهما الى كشف
أسرارهما بالإشارات المهمة على عادة المشعوذين ، إذ يستخدمون اشارات
تنطبق على معان عدة ، فإذا كان السائل يعتقد صدق المنجم فسر اشارته
بما يوافق هواه فيبوح بسرّه وهو يحسب المنجم قد كشفه بهارته . وهن
صالح رأسه وظهر الارتباك في عينيه ، فظنته ريحانة لم يصدقها فقالت :
« كأنك لم تصدقني ، فاسأل مولاتي كيف قص عليها حديث أبيها ومقتله
وفراها معك الى هنا حتى ذهابك الى الشام ! »

فلم يستطع صالح أن يمسك نفسه ، فذق كفا بكف وقال : « لا حول ولا
قوة الا بالله أعل العظيم » . فلم تفهما سر قلقه واضطرابه وقالت جلنار :
« ما بالك يا صالح ، ماذا جرى ؟ »

فوقف وقال : « لم يبق لنا مقام هنا ، فقد افتضح امرنا . خدعكما اليهودي
الحبيث وعرف أسرارنا ، لعنك الله يا ابراهيم ولعن الساعة التي رأيتك
قيها »

فابتدرته ريحانة قائلة : « ليس هو ابراهيم وانما هو حاييم »
قال : « بل هو ابراهيم اليهودي خازن أبي مسلم ، وهو الذي سقاني
السم كما سقى ابن الكرماني عندما كان يرقص بجلد الدب . وقد رأيته في
الصباح خارجا من عند أبي سلمة بعد أن عرف سرّه أيضا . ولولا كما لم
يستطع ذلك لا تكما ساعدتماه على معرفة خبري ، فساعدته ذلك على خداع
أبي سلمة حتى ظن فيه القدرة على معرفة الغيب فباح له بأسراره ! »

وكان يتكلم وهو يخطر في الغرفة ، جلنار وريحانة تتبادلان نظرات
الأسف والجزع ، وقد تفرقت الدموع في مآقيهما ، فقال صالح : « لا فائدة
من الأسف على ما فات - وسأريه عاقبة مكره »

ثم روى لهما أنه أطلع أبا سلمة على حقيقة أمر إبراهيم اليهودي ، فأنفذ
بعض العيارين ليأتوا به إليه حيا أو ميتا ، فلما قال ذلك ، لحظ أن جلنار
تنظر الى ريحانة كأنها تدعوها الى التصريح بشيء تخجل هي من ذكره ،
فاستغرب ذلك وقال : « مالي أراكما تترددان ؟ هل أخطأت اذ سمعيت
للقبض على هذا الحبيبت ؟ »

فألت ريحانة : « كلا فقد قمت بالواجب ، ولكن ... » ونظرت الى
مولاتها فإذا هي مطرقة خجلا ، فواصلت كلامها وقالت : « ألا تستطيع تأجيل
قتله يوما ؟ »

فاستغرب صالح هذا الاقتراح ، وقال : « ولماذا هذا التأجيل ؟ »
فالتفت الى مولاتها وسكتت ، فازداد صالح استغرابا ووجه كلامه الى
جلنار وقال : « ما الذي تكتمانه عني ؟ لعلكما تسيئان الظن بي ؟ »
فألت ريحانة : « حاشا لنا أن نسيء الظن بك بعد ما رأينا من جهادك
في سبيلنا ، ولكن مولاتي تود تأجيل قتل المنجم لأنه شغل ذهنها بكلمة
فألها ووعد بتفصيلها في الغد »

قال : « وأي كلمة ؟ هل يجوز أن أعرفها ؟ »

قالت : « نعم ، يجب أن تعرفها ، انه لما جاءنا وجرى ذكر أبي مسلم
عرضا في الحديث نظر الى مولاتي نظرة اهتمام ، وقال لهما : (سافاجنك
غدا بخبر يفرح قلبك ، ولكن لا أحب أن يعرفه أحد) ، وأحببنا أن نستزيده
بيانا ، ولكن خادم أبي سلمة جاء ومضى الى مقابله »

فلما سمع صالح ما قالته أدرك أن جلنار لا تزال عاقلة بأبي مسلم ،
فارتبك في أمره وخاف أن يكون أبو مسلم قد ندم على مجافاته جلنار فأحب
استرضائها ، فبعث بإبراهيم متنكرا لهذه الغاية ، ولعله أوصله بأن يفعل
ذلك خفية ، وربما كان من بعض مهمته أن يستطلع مساعيه ، ويتجسس
أحوال العلويين ونحو ذلك ، مرت هذه الحواطر في ذهنه ، بينما جلنار تنظر
إليه خلسة وتخاف ألا يلبي طلبها ، فرأى صالح أن يجزم بكتب إبراهيم
ويقبح نيته ، مخافة أن يكون وراء أقواله ما يمرقل مساعيه أو يعود بالخطر
عليه ، فتضاحك وقال : « اني لأعجب من مولاتي الدهقانة كيف تعلق أهمية
على كلمة قالها هذا المنافق وهو يريد بها التمويه ليستطلع ما بقي من أسرارنا
أو ليقعنا في الفخ ؟ ألا تملين دهاء هؤلاء القوم وكم غرروا بالناس
وغرروا بهم ؟ »

فألت ريحانة : « صدقت ، ولكننا اذا سمعنا قوله فليس حتما أن نعمل

به ، واننا لن نخطو خطوة الا برأيك وتديرك ، فاذا تيسر الابقاء على الرجل يوما أو يومين كان في ذلك وسيلة لزوال قلق مولاتي باطلاعها على ما وعدنا بسماحه »

قال : « لا حيلة لنا في الواقع ، وقد ذهب العيارون للبحث عنه وأخذوه حيا أو ميتا . فاذا جاءوا به حيا بعثنا به الى الدهقانة ، وأما اذا قتلوه فلا سبيل الى احيائه . على اني لا أراه الا منافقا يريد التمويه ، فاذا أطعمني وجاء كما فأنبذاه وابصقا في وجهه » . قال ذلك وفي صوته وعلامه وجهه أمارات العتب . فادركت ريحانة أنه استاء من الحاحها ، وقد سبق الى ذهنها حسن الظن به ورات مجاراته في رأيه لتخفف من قلق سيدتها فقالت : « وأنا أرى رأيك ، فان هذا الرجل لا يحمل غير الأذى ، والأجدر بنا أن نحذره ونسعى في القبض عليه وقتله لننجو من شره ! »

ولم يسع جلنار بعد اتفاق ريحانة وصالح في الرأي ، الا أن توافقهما ولو من وراء قلبها فقالت : « دعو المقادير تفعل ما تشاء ، فاذا جاءنا حيا سألناه ونظرنا فيما يقوله ، واذا قتل فلا حيلة لنا . وعلى كل حال لا أظنه يستطيع الفرار اذا أراد له لأن العيارين لا يفلت منهم أحد »

وعاد صالح الى هواجسه وأراد أن يعرف كيف جاء ابراهيم الى الكوفة ، لعله يستطيع بذلك ادراك الغرض من قدومه . فقال لريحانة : « كائني سمعتك تذكرين السائس الأبكى مع هذا اليهودي ؟ »

قالت : « نعم قلت لك انه جاء به معه في عودته من مرو »

فقال : « وأين هو ؟ أحب أن أراه »

فخرجت ريحانة مسرعة ثم عادت والسائس معها وهو في حاله التي وصفناه بها قبلا ، فلما دخل حيي ووقف . فسأله صالح عما تم له في سفره ، فأشار الرجل بيديه وعينييه بما يدل على أنه وصل الى مرو ودفع الكتاب الى سليمان بن كثير . فسأله كيف عرف منزله ، فأجاب بأن رجلا كان يعرفه من قبل دله عليه . فسأله عن شكل ذلك الرجل وأين عرفه فأشار بأنه قصير القامة وأنه عرفه للمرة الأولى في بيت الدهقان يوم نزل أبو مسلم عندهم . فترجع عند صالح انه ابراهيم بعينه ، وأنه لما رأى السائس يسأل عن ابن كثير وتذكر أنه شاهده في منزل الدهقان ظنه قادما بمهمة من الدهقانة أو منه ، فخاف صالح أن يكون قد اطلع على فحوى الكتاب فيتعرض ابن كثير للقتل . فسأله كيف دفعت الكتاب الى صاحبه ، فأشار انه دفعه اليه سرا وكان وحده في حجرته . فقال : « وماذا فعلت بعد ذلك ؟ » . فأشار الى أنه خرج من مرو في صباح اليوم التالي ، فلقى أثناء الطريق منجما يهوديا صحبه الى الكوفة ومعه خادمه ، وكان يسايره ويركبه أحيانا على بغلته ويطعمه من طعامه حتى أتته الكوفة

فتحقق صالح عند ذلك أنه ابراهيم اليهودي جاء الى الكوفة في مهمة سرية من عند أبي مسلم ، نيهه اليها قدوم ذلك السائس الجاهل بالكتاب الى ابن كثير . وأيقن أنه اذا نجا من العيارين وأبلغ أبا مسلم خبرهم فانه قاتلهم ومعهم أبو سلمة لا محالة . فأصبح همه البحث عما أفضت اليه مساعي العيارين في القبض عليه . فأشار الى السائس أن ينصرف ، فلما خرج تقدم صالح الى جلتار وخاطبها بصوت منخفض، كأنه يحاذر أن تسمعه جدران الغرفة قائلا : « لقد أخطأنا في الاعتماد على الخدم والاعوان في شؤوننا ، ولئن لم يظفر العيارون بذلك اليهودي فأننا لن نأمن الخطر هنا » فأجفلت جلتار ، وبدت الدهشة في عينيها وهي تقول : « وكيف ذلك ؟ » قال : « ذلك لأن ابراهيم هذا انما جاء للبحث عنا ومعرفة مقاصدنا ، وقد نجح في ذلك اذ عرف كل شيء عنا وعن أبي سلمة ، وعرف اننا سعيينا في مقتل الامام ابراهيم . فاذا نجا من العيارين ووصل الى أبي مسلم ، فإن هذا لن ينخر وسعا في الانتقام منا جميعا »

فارتبكت جلتار وشعرت بقلق وخوف وقالت : « لم يكن لنا ملجأ فيما مضى سواك ، وما زلت ملجأنا وعوننا فأشر علينا »

قال : « أرى قبل كل شيء أن نستغني عن معنا من الخدم ، فاذا انتقلنا الى مكان كنا وحدنا فقط ، وأنا ذاهب الآن للسؤال عن العيارين وما فعلوه ، فاذا تحققت فشلهم عدت اليكما وأخبرتكما بما ينبغي عمله . وانما أتوسل اليكما أن تكتما ما دار بيننا ، وأرى أن تقوم ريحانة بجمع ما خف جملة وغلا ثمنه من المتاع لتكون على أهبة السفر متى أردنا »

ثم نهض وودعهما وخرج ، ودخلتا تتأهبان للرحيل وهما مضطربتان



خرج صالح قاصدا الى قصر أبي سلمة ليسأله عما فعله أبو ضرغام الميار ورفاقه ، وقد اعترزم أن يعرض أبا سلمة على قتل ابراهيم اليهودي اذا جاءوا به حيا ، على ألا يطلع جلتار على ذلك . فلما كان في منتصف الطريق سمع ضوضاء وقرقمة وصليلا وراء بعض البيوت مما يلى طريق الشام ، فالتفت فرأى قافلة من جمال يتقدمها حمار عليه عبد أسود، وحول القافلة يقال مسرجة عليها رجال بالبسة حسنة يبلغ عددهم العشرين ، وفي ركبهم بعض الخدم والمبيد ، وفي ذيل القافلة يقال عليها هودج النساء والأطفال . ويتقدم الجميع فارس عليه لباس أهل الكوفة، كأنه خرج من الكوفة للقاءهم - فتنرسى في الرجل فعرف أنه من حراس أبي سلمة . فرجع عنده أن هؤلاء القادمين هم بنو المباس . وقد جاءوا من الحميمة بعد مقتل ابراهيم الامام ، فتقدم حتى وقف بحيث يراهم وهم مارون والناس لا يهتمون بهم لأنهم لا يعرفونهم

وقد تعودوا قدوم مثل هذه القافلة الى أبي سلمة . ثم ما لبث أن تحقق صحة فراسته اذ رأى المنصور بينهم ، وتذكر ما دار بينه وبين أبي سلمة في شأنهم . كما تذكر حديثه مع المنصور وكيف بشره بالخلافة يوم رآه في الحميمية ، لعله يفيد منه اذا صحت البشـرى

وكان صالح أثناء تلك المقابلة لا يزال يعتقد ان في وسعه نقل الخلافة الى العلويين ، فلما رأى ما رآه من ضعف أبي سلمة وعجزه أصبح لا يرجو للعلويين فوزا ، فحصر همه في قتل أبي مسلم انتقاما منه لنفسه وللخوارج أميرهم شيبان

وظل واقفا حتى دنت القافلة من دار الأضياف ، فتقدم اليها بعض أهل القصر ودعوا الى قصر آخر لأبي سلمة في بعض أطراف المحلة . فأدرك صالح أن أبا سلمة ينوى كتمان أمرهم عن الناس ، وعلم انه لا يلبث أن ينزل للآفاتهم أو زيارتهم للترحيب بهم ، فأسرع لمقابلته قبل خروجه ليسأله عما فعل العيارون

فمشى حتى دخل القصر واستأذن على أبي سلمة فأدخلوه اليه ، فرآه جالسا وقد حمى غضبه وبان الارتباك في وجهه . فلما دخل عليه صالح لم يتمالك عن النهوض بفتة ومشى نحوه مشية مستنجد وقال : « كأننا سعيـنا لقتل واحد من هؤلاء العباسيين لنتحمل أثقال بقيتهم . هل رأيتم قادمين؟ » فلما سمع صالح تدمره ، استبشر لعله يستطيع اغراءه بقتلهم فقال : « لو اننى علمت يا مولاي أن نصرتك للشيعـة العلوية تقف عند هذا الحد ، فيذهب سعيك وجهدى عبثا ، وتعرض حياتك وحياة سائر أهلك وأصحابك للخطر ، ما أقدمت على ما أقدمت عليه . وانك قادر في هذه الساعة أن تنقل الخلافة الى العلويين كما أخبرتك في هذا الصباح ، ولا يكلفك ذلك الا أن تأمر وأنا أنفذ الأمر . وهي فرصة لا ينبغي اغفالها ، فوالله لو ظفر أبو مسلم بمثلها ما أغفلها . وزد على ذلك أن حياتك أصبحت في خطر اذا استبقيتهم » فقال أبو سلمة : « وأى خطر ؟ »

قال : « اذا لم يظفر عياروك بذلك المنجم وتمكن من الفرار الى أبي مسلم وأطلعه على خبرك ، فهل تظنه يصفو عنك ؟ »

قال : « وهل تحسبه يقتلني ؟ لا ، لا . . . انه لا يفعل ذلك لما يعلمه من نصرتي إياه بالمال والرجال . والشيعـة كلهم يعلمون أنه لولا أموالى وتفوذ كلمتى عند الدهاقين وبيوتات الفرس لم تقم لهم قائمة . فهل يجروا أحد منهم أن يمسنى بأذى ؟ »

فابتسم صالح وهز رأسه قائلا : « أما أبو مسلم فيقتل ، وقد فعل ذلك غير مرة »

فاستخف أبو سلمة بنصيحة صالح وحول وجهه عنه ومشى نحو مشـمة

من الذهب قائمة في وسط القاعة على كرسى من الآبنوس المطعم ، وتشاغل
بنزع الغبار بأصبعه عن قاعدتها ، ثم هم بتغيير الحديث فقال : « هل علمت
ما فعله أبو خرغام ؟ »

قال : « كلا ، ماذا فعل ؟ »

قال : « عاد الى منذ ساعتين ، وأخبرني أنه قلب الكوفة رأسا على عقب
هو ورجاله ، ولم يفادروا خانا ولا منزلا ولا كنيسة ولا حانوتا الا دخلوه
وقتشوه ، فلم يقفوا للرجل على أثر ، ولا رأوا أحدا يعرفه . حتى حراس
أبواب المدينة أجمعوا على أنهم لم يشاهدوا أحدا بهذه الصفة أو ما يقرب منها ،
مع أنه أكد لي أنه مقيم بالكوفة . وقد أمرت أبا خرغام أن يبحث عنه في
ضواحي المدينة وأرباضها ، ولا يترك منزلا حتى منزلي الا بحث فيه عن
ذلك المنجم المنافق ، ولا أدري ما تكون النتيجة »

فأيقن صالح أن إبراهيم الخازن قد أفلت ، وأنه مضى ليبشر أبا مسلم
بنيجاح مهجته ، ولن يتيسر لأحد اللحاق به . ولكنه أظهر أنه لا يزال يرجو
العثور عليه فقال : « لا يبعد أن يكون هذا الحبيث قد اختبأ في بعض هذه
الأرباض وعسى أن نظفر به » . قال ذلك وودعه وخرج يبحث عن مكان يلجأ
إليه مع جلنار وريحانة فرارا من بطش أبي مسلم ريثما تتبدل الشؤون

وفيما هو يفكر في الأمر ، تذكر أنه مر في الطريق الى دمشق بدير
بالقرب من الكوفة يقال له دير هند ، كانت هند بنت النعمان قد أنشأته
قبل الإسلام . وتذكر أن هذا الدير عامر بالرهبان ، كما علم من حارسه
حينذاك . فخطر له أن يذهب بجلنار وحاضنتها لتقيما به على أن يتردد
عليهما متنكرا ، فعزم على أن يذهب الى الدير ويستفهم عن طريقة الدخول
إليه والاقامة به .

فبات تلك الليلة ولم يغمض له جفن لمظلم ما انتسابه من الغضب على
إبراهيم الخازن . وفي الصباح توجه الى دير هند ، فوجده أهلا بالرهبان ،
وعلم أن به مضيغة ينزل بها من شاء على الرحب والسمة . ثم أحب أن يسأل:
هل هناك مكان خاص يمكن أن تنزل به جلنار وريحانة دون أن يراهما أحد .
فطلب مقابلة رئيس الدير ، فأخذوه الى شيخ جليل عليه سيماء الوقار ،
فسلم عليه وأكب على يده يهم بتقبيلها ، فقبله الرئيس ودعاه الى الجلوس
وأمر له بالزاد والفاكهة والشراب ، فشكره صالح وقال : « اني لا أحتاج
الى طعام ولا شراب ، وإنما جئتكم لأنني أريد أن أستودعك سرا وأستشيرك
فيه . فأنتم رجال الله ومستودع أسرار خلقه »

فأشرح قلب الرئيس لهذهثناء ، وقال : « مرحبا بك ، قل ما تريد ولا
تخف »

قال : « عسى فتاة من أهل البيوتات أصابتها نكبة أدت الى فرارها من وجه

الظلم ، فلم تر خيرا من التجائها الى هذا الدير ، فهل يجوز ذلك ؟
قال الرئيس : « كيف لا وعندنا دار خاصة بالأضياف ؟ ولكن ما دمت
قد استشرتني فاني أقول ان دار الأضياف عندنا لا تخلو من المساة ، ولا
نستطيع أن نمنع أحدا من النزول بها ، فلا يكون سرهم في أمان . ولكني
أدلكم على دير للنداري الراهبات على مرحلة من هذا المكان هو أولى بنزول
النساء ، لأنه غير مطروق ولا يقيم به الرجال . فإذا شئت أوصيت رئيسته
بك ، فتهمي للفتاة غرفة خاصة . وأما أنت فلك أن تقيم عندنا »

فسر صالح بهذا التوفيق المزدوج ، وكان يعلم أن الأديرة تقوم على هبات
المحسنين . . . فإذا تبرعت جلنار لرئيسة الدير ، وضع مئات من الدنانير ،
ملك قلبها وكانت آمنة عندها ، فارتاح لهذا التدبير ، وعاد الى «حمام أعين»
وأحب قبل انتقاله الى الدير أن يبحث عما فعله العيارون ، فسار الى قصر
أبي سلمة واستفهم منه فأجابه بأنهم لم يقفوا للرجل على أثر ، فتحقق صالح
أن أبا سلمة وبطانته أصبحوا في خطر ، ورأى أن يحتال للبعد عنهم ، فذهب
الى جلنار وأطلعها على ما دبره وقال لها : « فالآن ينبغي أن نخرج من هذه
المحلة خلسة بحيث لا يشعر أهلها بنا ، ولا يعلم أحد غايتنا »

فقالت : « وخالتي أيضا ؟ » . قال : « نعم . يجب ألا يعلم بأمرنا أي
إنسان غرنا ، فنتأخذ ما خف حمله من متاعنا ونركب بعض الجياد وحدنا ،
ونوهم الخدم بأننا ذاهبون للتنزه على ضفاف الفرات . ومتى بعدنا عن المحلة
عرجنا على الدير ، فنقيم هناك الى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا »

فأحسست جلنار كأن حبلا غليظا التف حول عنقها وكاد يخنقها لعظم ما ثار
في نفسها من اليأس لاضطرارها الى الفرار الى دير تنقطع فيه عن الناس ،
بعد أن أقامت بمنزل أبي سلمة واستأنست بخالتها ، وأحببت نساء القصر
وأحببتها . فانفجرت باكية ، وأخذت خالجا يواسيها فقال : « لا تيأسي يامولاتي
لا بد من الأخذ بالثأر ولو بعد حين ، وكل أت قريب »

وفي الأصيل خرج الثلاثة من المحلة بقصد التنزه على ضفاف الفرات
وليس معهم أحد من الخدم ، حتى إذا تواروا عن الناس تحولوا نحو دير
هند ، فقدم صالح لرئيسة حرة فيها مائة دينار حبة للدير ، وكان الليل قد
سدل أستاره ، فدعاهم الى المبيت على أن ييكنوا في الذهاب الى دير العذاري ،
وقدم لهم من أطعمه الدير وفاكهته فاكلوا وشربوا وباتوا ليلتهم . وفي
الصباح التالي ، دفع الرئيس كتابه الى صالح ، فحمله وذهب بجلنار وريحانة
ومعهم دليل يوصلهم الى دير العذاري . فوصلوا اليه عند الظهر ، فاستقبلتهم
رئيسته أحسن استقبال وأزلفتهم على الرحب والسعة ، ولاسيما بعد ما رأت
من لطف جلنار وكرمها ، فأفردت لها ولريحانة غرفة طلبة الهواء نظيفة
الاثاث ، وأوصت الراهبات بأن يقمن على خدمتهما أحسن قيام

بيعة أبي العباس السفاح

اطمان صالح على جلتار ، فاقام بدير هند متفكرا في شؤونه وأخذ يتردد الى دير العذارى حيناً بعد حين ، وينزل الكوفة متنكراً ليرى مصير الامور ويتربص فرصة يتمكن بها من بلوغ غايته . فعلم أن بنى العباس نزلوا عند أبي سلمة ، وأنه كتم أمرهم عن أهل الكوفة فلم يعلموا بمجيئهم . وكان الخراسانيون قد علموا بانتقالهم الى هناك ، فجاء جماعة منهم وعسكروا خارج البوكة عند حمام أعين ، وأخذ قوادهم يبحثون عنهم . وكان أبو سلمة بعد أن استنكر امام صالح القدر بهم ، عاد فنظر في أمرهم فرأى السداد في رأى صالح ، ولكنه أعظم الاقدام على قتلهم فحبسهم وكتم أمرهم وتوقع أن يرجع اليه صالح فيشاوره في شأنهم

وكان صالح يمر « بحمام أعين » متنكراً ، فيسمع أهل أبي سلمة وخدم جلتار يذكرون فقدما منذ خرجت مع خادمتها الى ضفاف الفرات ، وقد رجعوا غرقهما في ماله . وكان يتنكر أحيانا بأبواب الفقهاء فيقضي يومه في المسجد يسمع أحاديث القوم ، وأحيانا يلبس ثوب الاجناد أو العبايين أو غيرهم . فعلم أن الناس علموا بمقتل الامام ابراهيم ، والحفوا في السؤال عن اخوته وأهله ، ثم علم بعد أربعين يوماً من قدوم العباسيين أن الخراسانيين المعسكرين بظاهر الكوفة علموا بوجودهم في دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم ، وهي الدار التي أنزلهم فيها أبو سلمة ، وأن ابراهيم أوصى بالخلافة لاختيه أبي العباس . فاتهموا أبا سلمة بأنه حبسهم هناك لرغبته في نقل الخلافة الى العلويين . وذهب الى تلك الدار رجل من كبار شيعة العباسيين اسمه أبو حميد الحرى ، فلما أقبل عليهم لم يعلم أنهم الخليفة فسأل : « من الخليفة منكم ؟ » فتقدم داود بن علي ، أحد أعمام أبي العباس ، وأشار اليه قائلاً : « هذا امامكم وخليفتكم » . فسلم أبو حميد عليه بالخلافة ، وقبل يديه ورجليه وقال له : « مرنا بأمرك » . ثم رجع وأخبر جميع القواد ، وأعاطهم الشيعة ، فجاء جماعة منهم حتى دخلوا على أبي العباس فسلموا عليه بالخلافة فلما علم أبو سلمة بالانكشاف أمر القوم أراد أن يدخل فيسابع أبا العباس مثل سائر الناس ، فبمنعوه الا أن يدخل وحده لأنهم أسأوا الظن به ، فدخل وسلم عليه بالخلافة

وكان صالح يسمع أثناء ذلك أنهم سيخرجون بالخليفة ليبيعوه في المسجد يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ ، فتنكر بلباس الفقهاء ووقف في طريق المسجد ، فرأى أهل الكوفة قد اصطفوا بأسلحتهم في الطريق . ثم رآه مارا على برذون أبلق وحوله أهل بيته على الخيول أو البراذين ، والناس يتزاحجون ويتطاولون لمشاهدته والتبرك برؤيته . وما زال الموكب سائرا وصالح في أثره حتى بلغ دار الإمارة ، فرأى رجلا صعد المنبر فأنصت الناس وهم يتهايمسون قائلين : « هذا هو الخليفة » ، اسمعوا خطبته . « فنظر صالح الى أبي العباس ، فرأى رجلا طويل القامة أبيض اللون متجعده الشعر أقنى الأنف حسن الوجه واللحية . ثم رأى رجلا أكبر منه سنا صعد المنبر في أثره ، ولكنه قام دونه ، فعلم انه داود بن علي . ثم أطل أبو العباس على الناس والتأثر باد في وجهه ، وخطبهم فقال :

« الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه، وكرمه وشرفه وعظمه ، واختاره لنا فأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والذابين عنه والناصرين له . فالزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها ، وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته ، وأنبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته ، وجعله من أنفسنا ، عزيزا عليه ما عنتنا ، حريصا علينا ، بالمؤمنين رؤؤفا رحيمًا . ووضعنا من الاسلام وأهله بالموضع الرفيع ، وأنزل بذلك على أهل الاسلام كتابا يتلى عليهم ، فقال تبارك وتعالى فيما أنزل من محكم كتابه : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . وقال تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) . وقال : (وأنذر عشيرتكم الاقربين) . وقال : (وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى) . فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا ، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا ، وأجزل من الفداء والغنيمة نصيبنا ، تكرمة لنا وفضلا علينا والله ذو الفضل العظيم

« زعمت الشامية الضلال أنغيرنا أحق بالرسالة والسياسة والحلافة منا، فشاحت وجوههم . ولم أيها الناس ؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم ، وبصرهم بعد جهالتهم ، وأظهر بنا الحق ودحض الباطل ، وأصلح بنا منهم ما كان فاسدا ، ورفع بنا الحسياسة ، وأتم بنا النقيصة، وجمع الفرقة ، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل التعاطف والبر والمواساة في ديناهم ، واخوانا على سرر متقابلين في آخرتهم

« فتح الله ذلك منه وبهجة لمحمد صلى الله عليه وسلم، فلما قبضه الله اليه وقام بالأمر من بعده أصحابه وأمرهم شورى بينهم ، حووا مواريث الأئمة نعدلوا فيها ، ووضعوها موضعها ، وأعطوها أهلها ، وخرجوا خلاصا منها

« ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فانتبذوها وتداولوها ، فجاروا فيها

واستأثروا بها ، وظلموا أهلها بما ملأ الله لهم - حيناً ، حتى آسفوه - فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ، ورد علينا حقنا ، وتدارك بنا أمتنا ، وولى نصره القيام بأمرنا ، ليمن بنا على الذين استضعفوا فى الأرض ، وختم بنا كما افتتح بنا

« وانى لأرجو ألا يأتىكم الجور من حيث جاءكم الخير ، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ، وما توفيقنا أهل البيت الا بالله

» يا أهل الكوفة ، أنتم على محبتنا ومنزله مودتنا ، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يبتكم عنه تحامل أهل الجور عليكم ، حتى أدركتم زماننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا . وقد زدكم فى أعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا فأننا السفاح المبيع والناثر المنيح »

ولما بلغ أبو العباس الى هنا ، غلب عليه الضعف واشتد به الوعك ، فجلس على المنبر . وقام عمه داود فأتته الخطبة عنه بنحو هذا المعنى ، وطعن فى بنى أمية وسوء سيرتهم ، وامتدح أهل خراسان لأنهم نصروا الحق . ثم نزل أبو العباس وعمه عن المنبر ، وذهبا الى دار الامارة . وظل أبو جعفر المنصور فى المسجد يأخذ البيعة على الناس . فلم يزل يأخذها حتى صلى بهم العصر ثم المغرب - وجن الليل ، فدخل وصالح منزله فيما جرى بين يديه وهو يكاد يتميز غيظاً لحبوط مسعاه فى أبطال البيعة العباسية ، ولكنه توسم الفرج من جهة أخرى فانه رأى فى أبى العباس ضعفاً لا يأذن ببقاله طويلاً ، وتحقق أنه اذا مات فالخليفة بعده صاحبه أبو جعفر ، لأنه أرشد اخوته ، ولأنه تولى أخذ البيعة على الناس



خرج صالح من المسجد منقبض الصدر ، فذهب الى جلنار وأخبرها بما رأى ، وأن الأمر استتب لبنى العباس ولا حيلة فى ذلك، ولما بكت قال لها : « اننا لا يهمنا قيام هذه الدولة أو سقوطها ، وانما يهمنا أن نقتل ذلك الرجل ، وما سمعنا فى افساد أمرها الا لافساد أمره ، فإذا لم يتيسر لنا ذلك من هذا السبيل فإن لنا سبباً آخرى »

فسكتت وتهللت ، وفى نفسها سر تحرس على كتمانها وتدخل من اظهاره حتى لريحانة لما فيه من دليل على ضعفها . فانها كانت رغم كل ما أصابها من أبى مسلم لا تزال تشعر بالميل اليه ، واذا تذكرته أحست بشيء يحسنه فى عينيها . وكان من الزمان أذهب ما فى نفسها من الحقد عليه ، ولكنه لم يذهب ما فى قلبها من الانعطاف اليه - فكانت تشعر بذلك الانعطاف وتغالط نفسها مجارة لتيار الغضب الذى دفعها الى الانتقام ، وكان صالح يحرضها

على النبات ويحجب اليها الأخذ بالثار . فلما طال جهاده وتوالى الفشل ، أخذت نغمتها تتقلص وتضمر ، وحبا ينجلي ويظهر ، ولاسيما بعد ما قال لها ابراهيم اليهودي . فلما جاءها صالح بنبا استتباب الأمر للعباسيين ، أحست بانقشاع سحابة الحقد عن قلبها ، وتجلت لها صورة أبي مسلم كما كانت على عهد شفغها به ، فخيّل اليها أنه لم يفعل ما فعله الا جريا على سياسته في نصرة العباسيين وليس كرها لها ، فلعله وقد تم له ما أراد من تأييد دولتهم أن يصفي لنداء قلبه أو يشفق على انكسار قلبها . ولهوى النفوس صريرة لا تعلم

وكان رأيها قد ضعف في قدرة صالح على الانتقام من أبي مسلم ، لكنها أظهرت الارتياح لوعده بذلك وقالت : «وأي طريق تتوقع أن يبلغنا ما نسعى اليه من الانتقام ؟»

قال : « تمهلي يا مولاتي وعلى تدبير ذلك ، فاصبري قليلا أيضا والله مع الصابرين » فسكنت وأطرقت وتنهدت ، فشعر بأنها تضمض شيئا . وخاف أن يكون الفشل قد أضعف عزمها ، وهو يحتاج اليها في تنفيذ ما اعترمه من قتل أبي مسلم ، فقال لها : « يلوح لي يا مولاتي أن حبوط سعيينا هذه المرة قد أثر في عزمك ، فلا تيأسي من الفوز ، وأنا عبدك ورهين اشارتك . أبذل نفسي في سبيلك . وأنت تعلمين أنني تركت العالم وانقطعت الى خدمتك ، وعاديت شر الناس وأداهم لارضائك . ولا ريب في أنه قد علم بسعيينا وعرف مقاصدنا من خازنه اليهودي ، فاذا رجعنا عن عزمنا فهو لن يرجع عن الفتك بنا ، ولو علمت أنه يكتفي بقتل ويستبقيك لهان الأمر ، لأنني أحب اللحاق بابيك رحمه الله » قال ذلك وأجهش بالبكاء ، فأوهم جلنار أنه متفان في خدمتها ، وذكرها بمقتل أبيها فحرك عواطفها . فندمت على ما مر بذهنها من الميل الى مسألة أبي مسلم أو استعطافه ، ولاسيما بعدما سمعته من تلميح صالح الى أن اطلاع أبي مسلم على أمرهم انما كان بسبب غفلتها ، فلم تر بدا من مسامرة صالح ، فأنكرت ما توهمه فيها من ضعف العزيمة ، وأكملت له أنها باقية على قصدتها ، وأنها لا يمكن أن تتنازل عن الانتقام . ولكن يشق عليها ما يكابده هو من العذاب في سبيل ذلك



قضت جلنار في دير العذارى زمنا ، وصالح يتردد اليها بالأخبار . وأهمها في تلك السنة انهزام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية . وكان قد جاء بجيشه لمحاربة العباسيين في العراق . فغلبوه في بلد يقال له « الزاب » ففر الى مصر وقتل ببلدة بوسير . ثم جاءها بعد أيام بخبر قتل

من بقوا من بنى أمية . وذلك أن أبا سلمة أغرى شاعرا باسماع أبي العباس
السماع بيتا من الشعر ، حرضه فيه على قتلهم مرة واحدة ، وكان عددهم
نحو ذلك بعد أن أمنهم وأذن لهم في شهود مجلسه ، ففينا
طعنين ، أمر فضربوا بالعمد حتى قتلوا ، وبسط
عليهم الانطاع ، فأكل عليها وهو يسمع أنيهم حتى ماتوا جميعا ! »

فلما سمعت جلنار ذلك قطعت كلام صالح ، وصاحت قائلة : « أعوذ بالله ! »
يفدرون بأضيافهم ثم يأكلون الطعام فوق جثثهم وهم يسمعون أنيهم »

فقال : « هذا ما حدث ، فهل يركن الى مثل هؤلاء أو يرجى عفوهم ؟ »
ثم جاءها صالح بعد قليل يخبر قتلهم أبا سلمة ، فعظم مصابه عندها
لأنه كان يحبها ويكرمها ، فسألت صالحا عن سبب قتله فقال : « وهل تجهلين
السبب ؟ » ان القوم شكوا فيه فقتلوه ، ونسوا ما بذله من الأموال في سبيل
نصرتهم »

فقالت : « أنى لم أسمع بمثل هذا البطش والفتك ، ولا أظن بنى أمية
كانوا أشد فتكا من هؤلاء » وكيف قتلوه ؟ »

قال : « علمت أنهم اتهموه في اخلاصه لهم ، وكان قد بايع أبا العباس ،
وجعله هذا وزيره حتى ابتز بقية أمواله . ثم كتب الى أبى مسلم فى خراسان
يستشيره فى أمره . فأشار بقتله وأرسل رجلا من عنده قتله سرا ، وأشاعوا
أن بعض الخوارج قتلوه ، فصدق أهل الكوفة ذلك »

قالت : « قبحهم الله ما أقسى قلوبهم ، ان أبا سلمة رجل ليس فيهم مثله »
فقطع صالح كلامها وقال : « وأغرب من ذلك قتلهم سليمان بن كثير ، مع
أنه لم ينو الغدر بالعباسيين قط ! » فاجفلت وقالت : « قتلوه أيضا ؟
وكيف كان ذلك ؟ »

قال : « لما قتلوا أبا سلمة ، اتفق أن ابن كثير قال كلمة نقلها بعضهم الى
أبى مسلم ، فقتله على تلك الشبهة ! »



خلافة المنصور

يقين صالح ان جنار ثابتة على عزمها ، فأخذ في تدبير الوسيلة للفك باي مسلم أسوة بما فعلوه باي سلمة . وأخذ يترقب الفرص لذلك ؛ فلما مات أبو العباس السفاح سنة ١٣٦ هـ وافضت الخلافة الى أخيه المنصور ، ذهب الى جنار وامارات السرور بادية في وجهه ، وكانت جنار تنتظر مجيئه بفارغ الصبر ، فلما رأت سروره استبشرت وابتدرته قائلة : « هل من جديد ؟ » . فقال : « لقددنا وقت النجاح ، اذ مات أبو العباس ، وخلقه المنصور ، وكنت قد بشرته بالخلافة منذ بضعة اعوام . فأرجو ان يكون نيل المرام على يده . ولا سيما ان في نفسه حزازات على ابي مسلم من قبل »

فقالت : « وأي حزازات في نفسه ، وأبو مسلم هو الذي مهد الخلافة للعباسيين . ولو أراد تحويلها الى سواهم لما لقي معارضا ؟ »

فاستغرب صالح تصدى جنار للدفاع عن ابي مسلم ، وفاته ان الحب اذا تأصل في قلب الكريم ، لم تنزعه الكوارث ولكنها قد تضغط عليه فتخفيه ، فاذا أزيحت عنه عاد أقوى مما كان . على انه تجهل وقال : « لا يخفى على مولاي الدهقانة ان طلاب السيادة هذا شأنهم ، فانهم لا ينفكون يتناحرون ويتحاسدون ويتخاصمون . فأرى الآن ان اذهب الى المنصور فهو لاشك سرحب بي ويستبقيني عنده ، وأنا أحب البقاء هناك للسعى في امرنا ، فهل تبقيان هنا ؟ أم تذهبان معي الى الانبار مقر الخلافة الآن ؟ »

فقالت جنار : « كيف نبقي هنا واثنت بعيد عنا ؟ أرى ان ننتقل الى الانبار نقيم ببعض بيوتها ، ولاخوف علينا فان الناس نسوا أمرنا وكفانا سجننا هنا »

وبدا الفرح في وجه ريحانة ، لأنها كانت قد ملت الانزواء في الدبر ، ثم قال صالح : « أرى أن اذهب وحدي أولا ، ثم اعود اليكما فذهبا معا » . فوافقته على ذلك ، وقالت : « اذا أبطأت علينا ، فانتا تلحق بك وتبحث عنك في بلاط الخليفة » . قال : « حسنا » . وخرج يتأهب لمقابلة المنصور فصبيغ لحيته وبديل ثيابه ، فعاد الى هيئته التي قابله بها في الحميمة منذ بضع سنوات ، وزاد على ذلك انه غطى عينيه بعصابة ، مبالغة في التنكر ، لعلمه ان في دار المنصور أناسا يعرفونه ولا سيما خالد بن برمك

وفيما كان المنصور جالسا ذات يوم في داره بالانبار ، دخل عليه حاجبه

الربيع ، وأنبأه بأن رجلاً مكفوف البصر يطلب الثول بين يديه على انفراد . فأشار المنصور الى من في حضرته من القواد فخرجوا وأذن بدخوله ، فدخل مطرقاً يتوكأ على عصاه ، وقد غطي عينيه بعصابة ونظاير بالضعف . فلما أقبل على الخليفة سلم وقال : « أشكر الله الذي أراني صاحب القباء الاصفر على كرسي الخلافة وإن كنت أرمد »

فمرقه المنصور ، فوقف له وأخذ بيده حتى اجلسه على وسادة بين يديه وهو يقول : « مرحباً بالصديق القديم ، أنى ما برحت أفكر فيك وأتمنى قدومك ، فاطلب ما تريد »

قال : « لا أريد يا أمير المؤمنين سوى تأييد دولتك وطول بقائك ، وقد أخبرتك يوم التقينا في الحميمة أنى سأتيك على غير انتظار ، فما قد جئتك » فقطع المنصور كلامه قائلاً : « وما الذى أصاب بصرك ؟ »

قال : « لا أدري ما أصابه ، ولعله عقاب لى على أنى لم أقم بالمهمة التى جئتكم بها هناك فى الوقت المناسب ، فقتل الإمام إبراهيم . ولكننى لم أتعهد ذلك ، وعلى كل حال لست فى حاجة الى البصر لولا رغبتي فى رؤية أمير المؤمنين »

قال : « أدمو لك طبيباً يصف لك دواء ؟ »

قال : « كلا ، فاننا معشر الزهاد لانستعين على الامراض بالعقاقير ، وانما ندفعها بالإدعية »

فقال المنصور : « عسى أن يكون قدومك للاقامة عندنا هذه المرة »

قال : « لقد دعيت لآكون فى خدمتك الى أن تستغنى عنى أو أموت ، فانى لا أرجو البقاء طويلاً . ومثلى لا يليق بمعاشرة الخلفاء أو مخاطبتهم . ولكننى علمت بما يحيق بدولتك من الاخطار لكثرة أعدائك وحسادك ، فأجيبك أن يكون لى يد فى تأييدها على عجزى وقصر باعى »

فقال المنصور : « بل أنت صاحب الفضل الأكبر ، لأنك بشرتنى بالخلافة وأنت لم تعرفنى . فأحب أن تكون عندى الآن ، وإذا شئت جعلتك رئيس المتجملين »

فقال : « لا أرانى أهلاً لهذا المنصب ولا أملك أن اسمى نفسى منجماً ، لأنى لا أحمل ادوات التنجيم . وانما أنطق بما يلقى به الى الهاتف أو يلهمنى الله . ولقد كنت أستمع بالنجوم قبل أن يذهب بصرى ، فإذا أردتنى فى خدمتك ، فضعنى فى حجرة من حجرات دارك أو فى مكان آخر لا يرانى فيه أحد ، لأنى لا أرى أحداً »

فقال : « بل تقيم بدارى لتكون قريباً منى . وصفق فجاء حاجبه الربيع فأمره أن يأخذ الزاهد الى حجرة متمزلة فى داره وأن يقوموا على خدمته ، ففعل

ولما خلا المنصور الى نفسه ، عاد الى دهائه وذكاائه وشدة حذره وسوء ظنه . فرأى اقامة الزاهد الغريب بداره لا تخلو من مخاطرة ، وأراد أن يختبر كرامته وولايته لئلا يكون دسيسة من أعدائه ، فأرسل الى خالد بن برمك وكان موضع ثقته ، فأخبره بأمر الزجل وأنه يؤثفه على سائر المنجمين ، ويود أن يستعين به عند الحاجة ، ثم قال له : « ولكنني أخاف أن يخدعني فادخل عليه وامتنحه ، وأبق الأمر سرا بيننا »



قصد خالد الى حجرة الزاهد فدخلها ، وظل المنصور والربيع بالباب بحيث يسمعان . فلما سمع صالح وقع الاقدام ، تظاهر بالتفكير ، حتى دخل خالد وألقى عليه السلام ، فعرفه من صوته فأجابه بقوله : « عليك السلام يا ابن برمك . انك خير الوزراء غير الخلفاء »

فبغت خالد لمعرفته باسمه ، وسر لتلقيه إياه بالوزير ، فالتفت الى المنصور ، فرآه يشير اليه أن يضاطه . فقال خالد : « وما ذنبي عندك حتى جعلت أبي مجوسيا ؟ أما كان السكوت أجدر بك اذا كنت لم تعرفني »

فضحك صالح وقال : « وما ذنبي انا اذا كنت خالدا ، وقد ولدك برمك المجوسي ؟ على ان يجيئك من صلب رجل غير مسلم لا يمنع فضلك . واذا كنت تخبرني ، فاسأل أجبك بما لا يدع عندك شكاً في اخلاصى »

فأعجب خالد بالجواب ، وسره وجود مثل هذا الرجل في بلاط الخليفة . وكان ميلا الى الاعتراف بهارته لانه تنبأ بوزارته ، ولكنه خاف ان طلب اليه تראה ما في ضميره أن يصرح بأمور لا يرضاه المنصور ، والفرس لا تخلو أفكارهم يومئذ من شيء على آل العباس . فأجل ذلك حتى يخلو اليه . وأشار المنصور بالانصراف ، فرجعا وقد رسخ في ذهنيهما صدق الزاهد ، ولهم المنصور الربيع بالا باذن لأحد بالدخول عليه . فظل صالح وحده ، وقد سره أن يكون الممتحن خالد بن برمك لانه مطلع على كثير من أحواله ويعرف صوته منذ رآه في منزل دهقان مرو قبل بضع سنين !

ولما سمع خالد وصية الخليفة للربيع بمنع الناس من مقابلة الزاهد استاذن في مقابلته صباح الغد ، ليسأله في أشياء تهمة ، فأذن له الخليفة في ذلك

وبكر خالد في الصباح بالذهاب الى صالح ، فرحب به هذا وبشره ومناه استجلابا لرضاه . فجلس خالد بين يديه وقال : « لقد جئت اليك في امر يهمنى الاطلاع عليه ، فاذا كشفتني فرجت كربة كثيرين »

قال : « قل لعلى أستطيع ذلك باذن الله »

قال : « لى صديق وقع في مشكلة لا دخل لها بالسياسة أو الحرب ، وانما

تتعلق بشخصه وشخص آخر يحبه . وقد اضاع ذلك الحبيب ، وهو يريد ان يعرف مكانه »

فمد صالح يده حتى قبض على يد خالد ، وقال : « صرح او اعطني اثرا من آثار الضائع فأعرفه »

قال : « لا سبيل لي الى اثر من آثوره . . ولكنني ازيدك نصريحا ، اعرف ابا مسلم الغراساني ؟ »

فقال : « ومن لا يعرف صديقك ابا مسلم ؟ »

فقطع خالد كلامه قائلا : « لا تقل صديقك ، لان الخليفة متغير عليه وقد اتهمه ، ولا احب ان تكون لي يد في هذه التهمة . ولذلك قلت لك انه سؤال لاهلاقة له بالسياسة ولا بالحرب . فان مسألة ابي مسلم تتعلق بفتاة احبته ولم يحبها فاساء اليها ، ثم ندم فأحب ان يسترضيها فلم يقف لها على اثر ، وما زال يبحث عنها ، فهل تعرف مكانها ؟ »

فلما سمع كلامه تذكر ما قالته جئنار عن ابراهيم الخازن ، فعلم انه انما جاء للبحث عنها ، وتذكر ما لحظه من انتعاش آمالها وتحرك قلبها . وأيقن ان ابا مسلم بنوي قتله وأخذ جئنار منه ، فقال في نفسه : « لقد آن وقت العمل » . وكان ما زال قابضا بيده على يد خالد ، فاطرق كانه يفكر ثم رفع راسه وقال : « مسكينة جئنار ! كم احببت هذا الغراساني وخدمته ، وكم اساء اليها وعذبها ، فما الذي غيره ؟ »

فدهش خالد للذكر اسم الفتاة وخلاصة قصتها ، وقال : « انا الذي غيره ، لاني كنت عالما بحبها له وتفانيها في خدمته حتى قتلت زوجها لاجله ، ثم اتهم ابو مسلم اباها بالخيانة وقتله ، وجاءت لتعاتبه فاهانها وسجنها ، ولم اكن حاضرا حينذاك ، فلما كان اليوم التالي توسمت فيه ندما على ما فرط منه على غير عادته ، فأخذت في ثأنيته وجيبت اليه التزوج بها ، فرضي وبعث يستقدمها من السجن ، ولكننا لم نقف لها على اثر . وكنت شديد الرغبة في اوقوف على خبرها لاعتقادي بانها مظلومة ، فحسنت لابي مسلم البحث عنها في الاطراف البعيدة ، ففعل . وقد اخبره جاسوس له بانه عثر عليها في الكوفة بمنزل ابي سلمة ، واوشك ان يظهر بها ولكنها ما لبثت ان اختفت مرة اخرى . فغضب عليه ابو مسلم وارجمه للبحث عنها . وقد جادني منذ بضعة ايام واخبرني انه لم يعثر عليها . فهل تستطيع انت ان تعرف مكانها ؟ »

وكان خالد يتكلم وصالح يتابعه في الحديث كانه مطلع على القصة ، فاذا توقف خالد امانه بكلمة مما يعلمه ، وخالد لا يستغرب ذلك لما سبق الي ذهنه من براعته في التنجيم

وادرك صالح من سياق الحديث انهم لم يعلموا ببقائه حيا ، فقال في نفسه : « لا بد ان ابراهيم الخازن لم يطلعهم على ذلك خشية ان يتهمه ابو مسلم

بالاهمال . وسره أن يكون عدوه ابراهيم على مقربة منه ، وربما كان في بلاط الخليفة ، فأحب أن يتحقق ذلك فقال : « أنها سالة على قيد الحياة ، ولا يصعب على معرفة مكانها ، إنما يحتاج ذلك الى بعض الوقت . ويلوح لى أنها آيست في مكان بعيد من هنا ، ألم تسال المنجمين عن ذلك ؟ »

قال : « سألت كثيرين ، فاختلفوا وتناقضت اقوالهم ، وليس فيهم من ينفع مع رغبة امير المؤمنين في الاستكثار منهم للاستعانة بهم . ولم أجد بينهم أحداً مثلك »

فقال : « أن أكثر منجمي هذا الزمان ينتحون الصناعة لابتزاز الاموال ، وإنما هي موهبة يختص الله بها من يشاء من عباده ، وقلمما يستطيعها أحد بالاجتهاد . على أن بعضهم يتخذها وسيلة لغرض خاص كما يفعل المنجم حايم ! »

فضحك خالد لمعرفة صالح بذلك الاسم الجديد ، وقال : « مسكين حايم : اين هو من التنجيم . ومع ذلك فهو منخرط في جلة منجمي الخليفة يأخذ من أعطياتهم »

فعلم صالح ان صاحبه بين منجمي المنصور ، فسكت وترحزح من مكانه ، فادرك خالد أنه قد آن وقت انصرافه فنهض وودعه وأوصاه بأن يكتم ما دار بينهما ، فوعده بذلك وبأنه سيخبره بكان جنسار بعد بضعة أيام . فخرج خالد وقد تولته الدهشة ، اذ لم يكن يظن أن مثل هذا الرجل يوجد على وجه الأرض . فذهب توا الى داره ، وبعث الى ابراهيم اليهودى . فلما جاء سالة : « هل وجدت الفتاة ؟ » . فقال : « كلا »

فقال : « أما أنا فقد وجدت منجما يستطيع معرفة مكانها »

فقال : « ومن هو ؟ أريد ان اراه »

قال : « لاسبيل لأحد اليه ، فان امير المؤمنين لا ياذن في الدخول عليه . وقد رأيته أنا فوجدت منه مهارة غريبة . ولم أكد أسأله عن الفتاة حتى قص على خبرها ، وعرف مسامعك وانك أنتحلت صناعة التنجيم لهذه الغاية ، وان اسمك المنجم حايم ونحو ذلك مما أدهشنى . وكنت أود أن تلقاه لولا ما ذكرته لك من حظر الخليفة مقابلته »

وكان ابراهيم يسمع كلام خالد وهو يفكر فيمن عساه أن يكون هذا المنجم ، فلما سمع ما قصه عليه من معجزاته تبادر الى ذهنه أنه منجم كاذب مثله ، ثم رجح أن يكون هو الضحاك ، ولا سيما بعد أن تحقق بقاءه حيا في الكوفة حين التقيا بباب أبى سلمة . فسأل خالدا عن شكل الرجل ولباسه فاخبره ان على عينيه عصابة وان لحيته مخنلة ، فسأله عن قامته فقال : « لم أره واقفا ، ولعله طويل » . فلم يشك ابراهيم في أنه هو الضحاك . ولكنه تجاهل وبقي صامتا ، وقد عزم على الحذر . فصرفه خالد وعاد وهو عالق الدهن

بذلك الزاهد . وأحب أن يلقاه ثانية ، فبكر إليه في الغد وأخبره بأنه لقي حاييم ، وأظن له فيها تبينه من مهارته . فاستاء صالح من ذلك مخافة أن يفتن إبراهيم إلى حقيقة أمره . على أنه كنتم استيلاء وأتني على خالد ، وعمد إلى اجتذاب قلبه إليه كما اجتذب قلب المنصور قبله بتبشيره بما تتوق إليه نفسه . وكان خالد طامعا في الوزارة وهو أولى حاشية الخليفة بها ، فقال له صالح : « ان الله سيكافئك على سعيك في التوفيق بين هذين المحبين بأكبر منصب تطمع إليه الأبصار بعد الخلافة »

فأدرك خالد أنه يبشره بالوزارة ، فأنشرح صدره . ولكنه تذكر ما يحول دون ذلك من تغير المنصور على أبي مسلم ، وخاف أن ينقم المنصور عليه أيضا ، ثم أراد أن يستفتي الزاهد في ذلك فقال له : أحب أن استفتيك في مسألة أخرى أقلقتنى ، وأرجو أن يكون ذلك سرا بيني وبينك »

قال : « قل ولا تخف »

فقص عليه سبب غضب المنصور على أبي مسلم ، وأنه أصبح يخشاه وينوى القبض عليه . وأطلعه على تفاصيل لم يكن يعرفها ثم سألته : « هل تظن أن المنصور سيعمم نعمته فتشمل جميع رفاق أبي مسلم ؟ »

فأطرق صالح مفكرا ، ثم قال : « كلا ، فإن المنصور لم يتغير على أبي مسلم إلا لأنه طمع في الأمر لنفسه ، وهب أنه نعم على سائر الخراسانيين فإنه لا ينعم عليك »

فاطمأن قلبه وخرج مسرعا مخافة أن يأتي المنصور فيراه هناك



مصرع أبي مسلم

ولبت صالح ينتظر قدوم المنصور فما هم أن جاءه وحده ، ودخل عليه خلسة حتى دنا منه وقبض على يده ، فعلم أنه لا يجسر احد على ذلك غير الخليفة . وكان قد سمع صوته قبيل ذلك بجوار حجرته ، فابتدره قائلا : « السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله »

فقال : « وعليك السلام ، كيف حالك ؟ »

قال : « اراني في نعيم والحمد لله على صدق فراستي ، ويسرنى أن ارى امور المسلمين في يد امير المؤمنين ايده الله . فهل تذكر عبارة قلتها لك يوم البشري ؟ »

قال : « اذكر كلامك كله ولم انس منه حرفا ، اظنك تعنى الظلمة التي تحدث بخلافتي »

قال : « نعم ، هذا ما اعنيه . وقد عرفت قبل وقوعه ، واظنه وقع فلماذا تكتمه عني ؟ »

قال : « لم اكنمه ، وقد جئت الآن في شأنه . ولكن ما هي الظلمة التي تعنيها ؟ »

قال : « امتحنني يا ابا جعفر ؟ ان الظلمة التي اعنيها هي مطامع الناس في خلافتك ، وبعضهم في الحجاز والبعض الآخر في خراسان . وآخرون في هذه المدينة بل في قصرك يؤاكلونك ويشاربونك »

فجاء كلام صالح مطابقا لما في نفس المنصور ، لانه كان يخاف العلويين في الحجاز بعد أن بايعهم على أن تكون الخلافة بعد بني أمية لمحمد بن عبد الله الحسنى ثم حصر الخلافة في بني العباس . وكذلك كان يخاف ابا مسلم في خراسان لانه قادر على نقل الخلافة والناس يطيعونه . كما كان يخاف بعض اعمامه وابناء عمه ممن يقيمون معه . فلما سمع كلام صالح ازداد ايمانا بهماوته ، فقال : « صدقت ، اني أخاف على الخلافة من كل هؤلاء »

قال : « ليس ادعى للخوف من ذلك الخراساني الفتاك »

قال : « اتعني ايا مسلم ؟ »

قال : « اياه أعني . . فان نجمه في اسمي المطالع ، ولو انه استنهض الحجارة لنهضت معه ، ولو حارب الابالسة لفلبهم . هذا الذي يخشى باسه ، ولكنني ارى نجمك اسمى من نجمه وسعدك ابقى من سعده ! »

فقال المنصور : « لا أخفي عليك ما في نفسي من هذا الخراساني ، فقد كنت أخشاه أيام أخی السفاح فأشرت عليه بأن يجبسه فلم يطعني ، فلما أفضت الخلافة إلى رأيت منه انحرافا ، وعلمت عنسه أمورا أغضبني فاستخدمته في محاربة عمى عبد الله الطامع في الخلافة ، وضربت أحدهما بالآخر فمن قتل منهما نجاني الله منه ، ففر عمى وفاز أبو مسلم بما كان في معسكره من الغنائم . فبعثت إليه اطلب الغنائم فغضب ، وعلمت أنه شتمني . فلما رأيت هذه الجراءة ، خفت إذا سار إلى خراسان أن يعصاني . فبعثت إليه وهو في الجزيرة أني وليته الشام ومصر ، وطلبت إليه أن ياتيني فأجابني بما يدل على خوفه مني ، اذ كتب إلى يقول : (لم يبق لأمير المؤمنين أكرمه الله عدو إلا مكته الله منه ، وقد كنا نروى من ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء ، فنحن نأفرون عن قريب حريصون على الوفاء لك ما وفيت ، حريزون بالسمع والطاعة ، غير أنها من بعيد حيث تقارننا . السلامة . فان أرضاك ذلك فانا كأحسن عبيدك ، وإن أبيت إلا أن تعطى نفسك أرادها نقضت ما أبرمت من عهدك ضنا بنفسي)

» فكتبت إليه ذاكرا له أنه مخطيء ، فاصر على الامتناع ومضى إلى حلوان وجاءني منه كتاب جمع بين الاحتجاج والاعتذار ، قال فيه : (أما بعد ، فاني اتخذت رجلا اماما ودليلا على ما افترض الله على خلقه . وكان في حلة العلم نازلا ، وفي قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا ، فاستجھلني بالقرآن فحرفه عن موضعه طمعا في قليل قد نعاه الله إلى خلقه ، فكان كالذي دلاني بفرور ، وأمرني أن أجرد السيف ، وأرفع الرحمة ، ولا أقبل المعذرة ، ولا أقبل العثرة . ففعلت توطئة لسلطانكم ، حتى عرفكم الله من كان يحكمكم . ثم استنقذني الله بالتوبة ، فان يعف عني فقد فعل ما عرف به ونسب إليه ، وإن يعاقبني فيما قدمت يداي وما الله بظلام للعبيد) . فاشكل على أمر هذا الكتاب ، وجمعت المنجمين منذ بضعة أيام لاستطلاع ما في نفس الرجل ، فأحسنوا النشاء عليه وقالوا : (أنه تاب عما كان فيه ، وإذا أحسنت الظن به وقربته نفعت) . فأمسيت في حيرة من الأمر لا أدري أصدق هؤلاء ؟ أم أبقى على عزمي في القبض عليه ؟ وكنت وأنا في حيرتي هذه أفكر فيك وأطلب إلى الله أن يرسلك إلى لعلك تطلعني على الصواب »

وكان صالح يسمع كلام المنصور وهو جالس الأربعة ، متكى بكوعيه على فخذه ووجهه إلى الأرض كأنه ينظر فيها . فلما فرغ المنصور من كلامه ، رفع صالح رأسه وقال : « لا تصدق من يقول أن الرجل تاب وإن استبقاه بنفعك ؟ . إن صوت قلبك يا أمير المؤمنين أصدق من تكهن المنجمين . ولا سيما إذا كان فيهم منجم يهودي اسمه حاييم »

فاستغرب المنصور معرفته ذلك الرجل وقال : « قد لحظت من حاييم

هذا رغبة شديدة في تبرئة أبى مسلم وإثبات حسن نيته »

فقال : « لأنه صنيعته وهو عين له عليك »

فدهش المنصور لصحة كل ما قاله الزاهد ، وكان الغيب كتاب مفتوح بين يديه يقرأ منه ما شاء . وكان المنصور قد أساء الظن باليهودى اذ لمح فيه الرياء والمكر فقال : « سينال هذا اليهودى عاقبة سعيه ، فماذا ترى أنت في مقاصد أبى مسلم ؟ »

قال : « كما ترى أنت يا أمير المؤمنين ، ان بقاءه خطر عليك وعلى دولتك . ولا تعب بما جاء في كتابه من الاعتذار ، فانه يلقي التبعة على أخيك الإمام رحمه الله ، أو هى حيلة يحتال بها عليك ريشا يتمكن منك فيخرج عليك وتندم حيث لا ينفع الندم . وكأننى فهمت من كلامك أنك اذا قبضت على أبى مسلم تنوى الاكتفاء بحبسه . وقد قلت لك ان بقاءه خطر عليك وعلى دولتك لأن الرجل لا تقصر مطامعه على ولاية خراسان بل هو طامع في الخلافة »

فضحك المنصور مستخفا وقال : « لا اظنه يبلغ به الجنون الى هذا الحد ، لعلمه أن نسيه اقصر من أن يتناول الى هذا المقام ، وهو مولى أعجمى واخلافة لا تكون في غير قریش »

قال : « اتوسل الى مولاي أمير المؤمنين الا يكذبنى اذا قلت قولا ، لانى لا اقول شيئا من عند نفسى . فأبو مسلم طامع في الخلافة ، ولم يغفل عن أنها لا تكون الا في قریش ، ولذلك اتحل لنفسه نسبا فيهم فزعم أنه من نسل سليط بن عبد الله بن العباس جدكم »

فلما سمع المنصور قوله وثب من مكانه وثبة الأسد ، وغلب عليه الغضب وقال : « يا للجرأة والفحة ! صدقت انه طامع في الخلافة ، فقد كتب الى يخطب عمى وجعل اسمه في ذلك الكتاب قبل أسمى ، فبقاؤه عشرة في طريق دولتنا ولا يد من قتله . ولكننى بثت من استقدامه بالحسنى ، وهو مقيم بخلوان وينوى الشخوص الى خراسان »

قال : « أهديك الى وسيلة ناجية لاستقدامه ، اكتب اليه كتابا مع رجل لين اللسان يخاطبه بلطف ويرغبه في القدوم اليك ، ويؤكد له حسن قصدك واثق تنوى اتخاذه وزيرا لك . وتوصى رسولك اذا لم يفلح بالحسنى ، ان يهدده بأنك تحمل عليه بخلوان بعيدا عن رجاله الخراسانيين »

فقطع المنصور كلامه قائلا : « هذا الذى كنت عازما عليه »

فقال صالح : « بقى عندى رأى ، وهو أن تستكتب حاييم اليهودى كتابا الى أبى مسلم ويختمه بخاتمه ، يدعوه فيه الى المجرى ويطمئنه ويؤكد له حسن قصدك واثق تنوى تقديمه . اكتب أنت ما تراه من هذا القبيل على لسان اليهودى الى أبى مسلم واجعله يختمه بخاتمه — وسترى اسمه على

خاتمه (ابراهيم) فلا تستغرب لأن هذا هو اسمه الحقيقي - ثم ابعث بهذا الكتاب مع رسول آخر يدفعه الى ابي مسلم ، على أنه مرسل من صاحبه هذا . وبعد أن تهىء هذا التدبير ، انتقل الى بلد آخر وأبق جنودك اخراسانيين هنا ، وأوص رسولك بأن يأتي بأبي مسلم الى ذلك البلد . فإذا سار اليك فاسرع في قتله ، واحذر أن تبقى عليه . وهذه وصيتي ، وليست هي من عندي وإنما أقول ما يوحى به الى »

قال : « حسنا ، ولكن لا يد من ذهابك معي فقد أصبحت لا أستغنى عنك »

قال : « سمعا وطاعة وإنما تأذن لي في أن أعرج أثناء ذهابي على مكان مبارك لي فيه نذر ، ثم آتيك الى حيث شئت »

قال : « أفعل ما شئت ، وما رأيك في المكان الذي انتقل اليه »

قال : « أرى أن تنتقل الى (المدائن) لتوسطها بين البلدين . ولأنها المدينة التي غلب فيها الفرس في أول الاسلام ، وسيظلب فيها هذا الفارسي أيضا بإذن الله »

فأعجب المنصور بهذا التعليل وتفاعل به ، وقال : « سأفعل ، ومتى عدت فوافني الى هناك » . ثم تذكر المنصور أن الزاهد مكفوف البصر ، فقال له : « ألا أرسل معك من يتولى خدمتك في الطريق ؟ » . فلم يسع صالحا إلا القبول وأخذ في التاهب ، فخرج المنصور من عنده وأمر الحاجب أن يعد له فرسا ويرسل معه رجلين من الخدم يكونان معه حتى يعود



كان صالح ينوي الذهاب الى جنار ليطمئننها ويحسن لها البقاء في الدبر ربما تهذا الأحوال ، لأنه تذكر قلقها ورفقتها في اللحاق به اذا أبطل عليها ، وخشى على نفسه اذا آت الى دار الخلافة وعلم بها خالد أو ابراهيم ، أن يخبراها برسالة ابي مسلم

أما المنصور فكتب الكتاب الذي أشار صالح بكتابه الى ابي مسلم على لسان خازنه ابراهيم . ثم بعث الى المنجم حاييم ، فلما دخل عليه دعاه الى الجلوس فجلس وهو خائف من تلك الدعوة - ولا سيما بعد علمه بوجود الزاهد (صالح) في دار الخلافة - فلما جلس بين يديه لحظ المنصور خوفه فقال له : « لقد دعوتك لتساعدني في إقناع أمير بني العباس (ابي مسلم) بأننا لا نريد به شرا ، لأننا كابنه غير مرة ندعوه إلينا وهو يأبى ، مع أنك تعلم حسن ظننا به ، كما تعلم صدق توبته ورجوعه الى الصواب . فاكتب اليه كتابا أذكر له فيه حسن نيتنا وأن ليس له عندنا إلا كل ما يحب » .

فعلم ابراهيم أن المنصور لم يكلفه بذلك إلا لعلمه بصداقة بينه وبين
ابى مسلم فقال : « وما قدر كتابى بالقياس الى كتب أمير المؤمنين ؟ »

فقال : « انه نافع باذن الله » . وكان المنصور قد أمر الكاتب فاعد كتابا
يرغب فيه ابا مسلم بالقدوم ويؤكد له حسن ظن الخليفة ، فدفعه الى ابراهيم
وقال له : « هات خاتمك »

فارتبك ابراهيم في أمره ولم ير مندوحة عن الطاعة ، فعد يده الى منطقته
وأخرج كيسا صغيرا من جانب الدواة دفعه الى الكاتب . فأخرج الكاتب
من الكيس خاتما طلاه بالمداد وختم به الكتاب ودفعه الى المنصور فقراه فإذا
هو (ابراهيم) فضحك وقال : « يلوح انك ذو اسمين : اسم داخلي واسم
خارجي ، لا بأس عليك ! » . وأبقى المنصور ذلك الخاتم عنده ، وأقام الأرصاد
على ابراهيم ثلثا يخرج من الأنبار . وفي اليوم التالي ، ذهب الى المدائن مع
جماعة من خاصته وترك بقية الجند في الأنبار ، ولم يظهر غرضه لأحد ،
وأصطحب بعض النجمين ، ولبت ينتظر قدوم ابي مسلم ، ويود مجيء الزاهد
قبله ليستعين برأيه إذا مست الحاجة

أما صالح ، فانه ركب الى دير العذارى فلما وصل اليه أبقى الخادمين مع
مع الفرنس خارجة ، ودخل وقد رفع العصابة عن عينيه حتى دخل على
جنار في غرفتها ، فوجدها في حالة يرثى لها من البكاء ، وريحانة الى جانبها
تخفف عنها . ولما وقع نظرها عليه صاحت قائلة : « آه يا صالح لقد طال
سجنى في هذا الدير ونفدت صبرى ، وقلبي يحدثنى بخير إذا خرجت منه ،
وقد تراكت على الأحلام على غير عادة ، وما أظن ابا مسلم باقيا كما كان ، فقد
رايته في منامى جاثيا بين يدي يلتمس العفو ، ويبكي ويتوسل . تأمل يا صالح ،
رأيت ابا مسلم الحراساني بطل المسلمين يبكي بين يدي ، فهممت بأن أقبله ،
فاستيقظت وذهب خياله من أمامي . ولا أزال أبكي الى الآن » . قالت ذلك
وهي تشرق بدموعها

فاستغرب صالح مطابقة حلمها للواقع ، ولولا فظاظة قلبه ليكى لبكاها
لانه لم يسمع منها مثل هذا التصريح من قبل . ولم ير خيرا من تسكين
ما بها بالكلام اللين وتكذيب الأحلام لتبقى في الدير بضعة أيام أخرى ، وربما
يتم ما بدأ به من السعى لقتل ابي مسلم ، فقال لها : « ما لي أراك على غير
ما أعهده فيك من التعقل والرزائة . أمن أجل حلم لأمعنى له تبكين وتنتحين
ومصدقين المستحيل ؟ ومتى كانت أضغاث الأحلام مما يعول عليه في
تصاريق الزمان ؟ دمي الاوهام وارجمي الى رشدك . إذا كنت تتوقعين من
ابى مسلم حبا فانك تطالبين من النار ماء ، لانه رجل لا قلب له يحب به أحدا
حتى أمراته ! »

فلما سمعت كلامه ، صاحت فيه : « ألم تكن أنت أول من نقل الى خبر جبه ، وأسرت الى بما في نفسه من الشغف بي ، وأنه إنما يمنعه من التصريح خوفا الا يكون عندي مثل ما عنده . فكيف تقول الآن انه لا قلب له يحب به وتستغرب بكائي شوقا اليه وتستبعد أن أخطر بباله ؟ قد رأيتة الليلة رأى العين كائي في يقظة أو كان روحه ناجت روحي ، لا شك انه يحبني . فكيف يمكن أن يبلغ مني جبه هذا المبلغ حتى أراه في المنام كاليقظة ، وألقى عليه كالأرواح ، وأنسى سيئاته وإن كثرت ؟ الموت وأحيا بكلمة منه ويكون هو بلا قلب ولا عقل ؟ انه أن لم يلتفت الى جبا فانه قد يرق لي شفقة ! » . قالت ذلك وقد بيع صوتها وخنقتها العبرات وتكسرت أهدابها واحمرت عينها من البكاء ، فاخذت ريحانة تفسمها وتقبلها وتخفف عنها ، ودموعها تتساقط

ثائرا

فأعجب صالح لتفاهم القلوب ومطابقة الرؤيا للحقيقة ، وحدثته نفسه بأن يوح لها بحب أبي مسلم لها ، وندمه على ما كان منه . ولكنه خشي أن تفسد عليه أمره ، فأمسك وقال معاتبا : « لا بأس يا مولاتي ، اني احتمل هذه الإهانة أكراما لك ولأبيك رحمه الله ، ولا أعتب عليك لأنك فتاة لم تعرف أمور الدنيا . أهذه عاقبة سعيي في خدمتك طوال هذه الأيام ؟ »

فخجلت جلنار ، وتقدمت ريحانة تقول : « لا أعتب على مولاتي فيما قالت وهي على ما تراه من التأثير ، لا أدري ما الذي أصابها منذ ألقى إليها ذلك اليهودي تلك العبارة ، ليته مات قبل ذلك الحين »

فقال صالح : « اذا أذنب اليهودي أعاقب أنا ؟ لقد حملت المشاق في هذه في هذه البراري لأطمئن عليكما وأبشركما بقرب النجاح ، فبدلا من أن تلابني بالترحاب وتسالاني عما جرى تسمعانني هذا التوبيخ ؟ ! لا بأس يا سيدتي ، هل عندكما طعام فاني لم أكل منذ أمس ؟ »

فاطرت جلنار ، وبادرت ريحانة وأتته بما وجدته من الطعام ، فأكل وهم سكوت . وقد هدا روع جلنار ، فنمت على ما أظهرته من الحدة ولكنها استنكت أن تعتذر ، وشعرت بتغير قلبها وأحسبت لسبب لا تعلمه بما يفرها من صالح ، وأصبحت اذا نظرت في عينيه اعتراها نفور فلم تعد تستطيع المكث معه ، فنهضت الى غرفة أخرى واستلقت على الفراش من التعب والنعاس ، وظلت ريحانة مع صالح تعتذر عما فرط من سيدها . وسألته عما جرى ، فأظهر أنه متأثر مما سمعه وقال : « سأخبرك عن ذلك في المرة القادمة ، فاني ساع جهدي في نفعها ولا أبالي قضبها أو رضاها ، فاسمحي لي أن أنصرف الآن ، ومتى أفاقت مولائك فأهديها سلامي » . قال ذلك وخرج فأصلح عصابة عينيه وعاد الى ما كان عليه ، فوجد الخادمين في انتظاره بالجواد ، فركب وعاد .

أما المنصور فنزل في قصره بالمدائن ، ومكث ينتظر قدوم أبي مسلم أوجوابه . وبعد بضعة أيام وصل صالح وقد سمع ما سمعه من جئنار ، وصمم على تعجيل قتل أبي مسلم جهد الطاقة لئلا يعترضه معترض ، وهو يعلم أنه إذا لم يقتله قتل هو ، إذ ليس من يعرف حقيقة حاله إلا أبو مسلم وخازنه إبراهيم ، واستبطا المنصور أبا مسلم ، فسأل صالحا عن سبب الإبطاء فقال : « لا بد من قدومه ، وإذا لم تنجح فيه هذه الحيلة فعندى حيلة أخرى لاشك في نجاحها » . وكان يريد أن يزور كتابا على لسان جئنار ، ردا على كتابه إليها ، فهذا لا شك يحمله على المجيء .

على أنه لم يجد حاجة إلى ذلك ، فبعد بضعة أيام جاء البشير بأن أبا مسلم قادم فبعث المنصور من يستقبله ويرحب به ويبلغه سلامة وشوقه . فاطمان أبو مسلم وكان لا يزال حزينا لارتياحه في هذه الدعوة . فسار في موكبه حتى أقبل على قصر المنصور ، فأذن له في الدخول . وكان صالح عنده على وسادة في بعض جوانب القاعة ، فتقدم أبو مسلم وقبل يد المنصور ، فظهر له ارتياحه وأمره أن ينصرف ويروح عن نفسه ثلاثة أيام ويدخل الحمام ، فانصرف .

وشق هذا التأجيل على صالح مخافة أن يحدث ما يمنعه من قتله ، فقال للمنصور : « أرى مولاى يماطل فيما يدعو إلى المبادرة »

فقال : « تركناه ليطمئن قلبه ثم نرى »

فلما سمع قوله . خاف أن يكون في نيته غير القتل ، فقال : « ثم ترى ماذا ؟ أقتل ثم أقتل ثم أقتل ، وإذا لم تقتله فتلك »

فضحك المنصور وقال : « لا تخف ، لا يلتقى فحلان في أجرة إلا قتل أحدهما صاحبه » . فاطمان صالح



مكث أبو مسلم ثلاثة أيام لم ير في أثنائها خازنه إبراهيم ، ولا خالد ابن يرمك ، فقلق لغيابهما وانقطاعهما عنه وعاد إلى هواجسه ، وفي اليوم الثالث جاءه رسول المنصور فصحبه ومعه بعض رجاله . وكان المنصور قد أعد خمسة من حراسه مدججين بالسلاح خباهم خلف الرواق ، وقال لهم : « إذا صفقت فاهجموا عليه جميعا واقتلوه » . فلما وصل أبو مسلم إلى الباب ترجل ودخل وحده حتى مر بالرواق إلى القاعة ، وفي صدرها سرير يجلس عليه المنصور ، وليس في القاعة إلا ذلك الزاهد جاثيا مطرقا . فلما دخل أبو مسلم ، حيى ووقف وقد تقلد سيفه وعلى رأسه قلنسوة طويلة ، فلم يدمه المنصور إلى الجلوس ، فازداد قلقه ، ثم احتال المنصور لانتزاع

سلاحه منه فقال له : « أخبرني عن نصلين أصبتهما مع عمي عبد الله »
فمد أبو مسلم يده الى سيفه ، وقال : « هذا أحدهما »
قال : « أوني إياه »

فانضاه ودفعه اليه ، فوضعه المنصور تحت فراشه . ثم أقبل يعاتبه
على أمور كثيرة ساءته منه ، وهو يرد ردا جريلا حتى قال المنصور :
« ألسنت الكاتب ألي تبدأ بنفسك وتخطب عمتي آمنة بنت علي ، وتزعم أنك
ابن سليل بن عبد الله بن عباس ؟ . قد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا »

فكانت هذه الكلمة أول ما حرك غضب أبي مسلم ، ولكنه كظم الغيظ
وظل ساكنا . فقال له المنصور : « ما الذي دعاك الى قتل سليمان بن كثير ؟
مع أنه في دعوتنا وهو أحد فتياننا ، بل هو الذي ادخلك في هذا الأمر »

قال : « أراد الخلاف وعصائي فقتلته » . ولما طال العتاب على هذه
الصورة ، لم يعد أبو مسلم يطيق صبرا فقال : « لا يقال مثل هذا القول
لثلى بعد ثلاثي ونصرتي وما كان مني »

فقال المنصور : « يا ابن العجينة ، والله لو كانت أمة مكانك لفعلت ما فعلت ،
أما فعلت في دولتنا بريحنا وجاهنا ، فلو كان ذلك اليك ما قطعت فتيلنا »
فأحس أبو مسلم القدر في عين المنصور ، ورأى نفسه وحيدا هناك ، فتقدم
الى المنصور وأخذ بيده يقبلها ويستدر . فقال المنصور : « ما رايت كالיום ،
والله ما زدتنى الا غضبا »

فعادت الأنفة الى أبي مسلم فقال وصوته يرتجف من الغضب : « دع هذا ،
لقد أصبحت ولا أخاف أحدا غير الله » . فغضب المنصور وصفق بيده ،
فخرج الحراس فضرب أحدهم أبا مسلم على حائل سيفه ، فصاح أبو مسلم :
« استبقني لعدوك يا أمير المؤمنين » . فقال : « لا أبقي الله أذن ، أي عدو
أعدى لي منك ؟ » . فصاح : « العفو العفو يا أمير المؤمنين » . ولكن
السيوف تساقطت عليه ، فخر على الأرض

ونفض المنصور ليتحقق موته ، فراه لا يزال يتخبط بدمه ويزار كالأسد
الجريح ، فحول بصره وهو تجلد . فسمع ضوضاء في غرفة مستطرفة الى
تلك القاعة ، ثم رأى بابها دفع بقوة ودخلت منه فتاة مكشوفة الرأس محمولة
الشعر سافرة الوجه تتدفق وجهها جلا وهيبه ، وقد هرعت ويدها
ممدودتان وصاحت : « العفو يا أمير المؤمنين ، العفو عني وعنه ، أو اقتلني
معه » . ورأى في أثرها خادمتها تصيح مثل صياحها ، فلما سمع صالح
الصوتين عرف أنهما جلنار وريحانة ، فسقط في يده . واستغرب قدميهما
في تلك الساعة وجد الدم في عروقه ، ولكنه تجلد ووقف ، وأراد أن ينسل
أثناء الضجة ، فاذا برجل دخل في أثرهما وأمسك بطوقه وصاح : « أمكت

هنا يا خائن ، قد خدمت أمير المؤمنين وحلته على قتل كبير قواده ، فلا تطلب الفرار ؟ »

فدهش المنصور لتلك الضوضاء ، واستغرب جراءة الداخلين عليه بغير استئذان ، وأراد أن ينادي الحراس ليسألهم عن ذلك ، فاستوقف انتباهه منظر تنقطع له الأكباد ، إذ رأى جلنار أقبلت على أبي مسلم وهو مطروح أرضا والدم يسيل من جوانبه ، وقد توسط البساط معارضا ووجهه نحو المنصور كأنه يتوعدة ، وقد انتشرت قلنسوته عن رأسه فبان شعره وتلوث بالدم . فلما رآته على تلك الحال ، صاحت : « أبا مسلم ! » . فالتفت ونظر إليها بعينين تكادان تجمدان من الاحتضار ، وقال بصوت مختنق : « ساعيني يا جلنار » . ثم ارتج عليه وأخذ يبكي بكاء الطفل فسقطت وقد أغمى عليها . فاشتغل الحضور بها ورشوها بالماء ، فلما أفاق لم يكن همها إلا أن تنظر إلى أبي مسلم ، فإذا به قد فارق الحياة وشخصت عيناه وجدتا وهما متجهتان إليها والدمع لا يزال فيهما ، فرمت نفسها عليه وجعلت تتمرغ بردائه وتغمس كفيها بدمه وتمسح وجهها . ثم همت بيديه وصدره وأخذت تقبل ثوبه وتستنشق ريحه وتبكي وتلطم ، حتى لم يبق في الغرفة إلا من تقطع قلبه نائرا . فلما رأى المنصور ذلك أمر الحراس بأن يلقوا جثة أبي مسلم بالسباط ويخرجوه من القاعة ، ففعلوا وجلنار تحاول دفعهم عنه ، وخرجوا جميعا ولم يبق هناك إلا جلنار وخدامتها إذ استبقاهما المنصور ليسأل عن سبب ما حدث . ثم تقدم إلى الفتاة وأنهضها وهو يقول لها : « ما بالك يا بنية ، ما الذي أصابك ؟ »

فانتهبت والتفتت إلى ما حولها ، فلم تجد جثة أبي مسلم فقالت : « أين هو ؟ دهوني أودعه أو خذوني معه »

فقال لها المنصور : « اعلمي يا صببية أن أمير المؤمنين يكلمك »

فوقفت وتأدبت ثم التفتت تبحث من ريحانة ، فرائها ممسكة بثوب صالح وإبراهيم قابض على طوقه وهو يحاول الفرار فصاحت فيه : « أهذا جزاء الثقة يا صالح ؟ . آياتيك كتاب أبي مسلم بالتوبة والمصالحة ، وأخبرك بأن قلبى يحدثنى بذلك وأنت تخفى على حبه ، كأنك خفت أن يفلت هذا الأسد من القتل فيقتلك . وما كفاك ذلك حتى حرضت أمير المؤمنين على قتله ، وأقنعته بأنه يضر له الشر وأن التوبة التي بعث بها إليه زائفة . وهذا كتابه إلى كتبه منذ بضع سنوات يشهد بصدق توبته من كل شيء » . قالت ذلك وأخرجت من جيبها مندبلا من الحرير الأحمر فيه كتاب من رق دفعته إلى المنصور ، فتناوله وهو في حيرة مما يشاهده ، وقد دهش لما رآه من قبض إبراهيم اليهودي على طوق الزاهد . وكان المنصور لا يزال ممسكا بيد جلنار ، فأجلسها على السرير وقعد إلى جانبها وقال لإبراهيم :

« ويحك ما هذه القحة ؟ كيف تهين هذا الرجل الصالح في حضرتي ؟ »
قال : « لا تدعه صالحا يا أمير المؤمنين فانه شر خلق الله . انه شرير
يستوجب القتل لانه حرصك على قتل أبي مسلم وأكثر توبته ، وخذلك بما
يظهره من التقوى والزهد وهو من اكبر أعداء أمير المؤمنين »
فبهت المنصور حتى ظن نفسه في حلم ، وقال : « دعه وأخبرني بما تعرفه
عنه »

قال : « لا اتركه حتى تأمر من يقبض عليه »
فقالت ريحانة : « اتركه فاني قابضة عليه ، ولا يتمكن من الفرار مني »
فتركه ابراهيم ووقف بين يدي الخليفة ، وقال : « ان هذا الذي يتظاهر
بالزهد ويسمى نفسه تارة صالحا وطورا الضحاك وآونة الزاهد ، رجل من
الخوارج الأشرار كان في جلة رجال شيبان يقرب مرو عندما حاصرها أبو مسلم .
وقد قام في نفسه ان يساعد حزبه بالكائد والخيل ، فالتحق بخدمة أبي هذه
الفتاة وهو من دهاقين خراسان ، واحتال حتى استخدم الفتاة في قتل
أعدائه وهي تطيعه من سداجة وسلامة نية ، وكان قد اقنعها بان ابا مسلم
يحجبها ، فلما صرح لها أبو مسلم بان هذا لم يحدث ، وقتل اباها لمالائه الغرب
أعداء الدعوة ، عدت ذلك خيانة منه ، واستمعت لتحريض هذا الشرير
اياها على قتله . فمضى بها في الافاق يترقب الفرص لبلوغ غرضه . ثم ندم
أبو مسلم على جفائه ورأى هذه المسكينة مظلومة فبعثني اليها بكتاب منه
هو هذا الذي بيد أمير المؤمنين ، وكلفني ان اطوف البلاد للبحث عنها فوجدتها
في الكوفة وهممت بان اخبرها بالامر ، فحال هذا اللعين بيننا ، لانه لما علم
بمجيئي هرب بها الى دير خارج الكوفة ، واحتال على أمير المؤمنين حتى أقام
بقصره وأظهر أنه يشير عليه ويطلع عليه الغيب . ثم بلغه انني ابحت عن
الفتاة لابلغها هذه الرسالة ، فكنتم ذلك عنها مع انه رآها بالأمس وشكت اليه
غريبتها وقالت له ان نفسها تجدتها برضى حبيبها عليها . وهو ينكر ذلك
مخافة ان يكون في اطلاعها على فحوى الكتاب ما يخفف ذنب أبي مسلم عند
أمير المؤمنين . ولا شك عندي ان أمير المؤمنين لو اطلع على هذا الكتاب
قبل فتكه بهذا القائد العظيم لابقى عليه ، اذ يتحقق توبته وتعلقه بالخلافة
العباسية . وقد عرفت بوجود هذا الخارجى في دار أمير المؤمنين منذ امرتني
بكتابة ذلك الكتاب الذي كان سببا في مقتل هذا الرجل . وعلمت أنه ما من
أحد يعرف مكان جنار سواه ، فما زلت اترقبه حتى خرج اليها ، فأرسلت
خلاما عرف مكانها وعاد الى قبل رجوعي وأنا مع أمير المؤمنين في هذه المدينة .
فلما جاء أبو مسلم منذ ثلاثة أيام فرحت بمجيئه وأحببت ان افاجئه بمجيء
خبيثته ، فلم أجيء للسلام عليه بل أسرع الى الدهقانة ودفعت الكتاب اليها
فجاءت معي وقلبها يكاد يطير فرحا . فلما وصلنا الى القصر قيل لنا ان

أبا مسلم في مجلس الخليفة ، فالتمسنا من قيم الدار أن يدخلنا لتقيم ريثما يفرغ من المقاتلة . فادخلونا الى هذه الحجرة المستطرفة الى هنا فجلسنا ننظر خروجه ، ثم سمعنا صوته واستغاثته وعلما أن المسكين يقتل ، فهجمت هذه الفتاة وهي لا تعي ولا استطعت ردها وفعلت ما رايتموه . وإذا شاء أمير المؤمنين فيطلع على هذا الكتاب ليتحقق صدق قولي »
فأخفى المنصور الكتاب لئلا يكون فيه ما يثبت توبة أبي مسلم ، فيذاع أنه قتل مظلوما



لما فرغ ابراهيم من كلامه صاحبت جنار بصالح : « ويلك يا خائن . . أنت من الخوارج وتغشني كل هذا الزمن وأنا أمدك بمنزلة أبي ؟ » . وحرقت أسنانها ، وأطرقت وهي تبكي

فقال ريحانة وهي لا تزال ممسكة بثوب صالح : « اعلم أيها الأمير أن هذا الرجل ، هو الذي سعى في مقتل الإمام ابراهيم عند مروان ، ثم جعل نفسه زاهدا فجاءكم في الحميمية وخدعكم ولا يزال يخدعكم الى الآن . وإذا كنت لا تصدق قولي ، فمره أن يزيل هذه العصابة عن عينيه فيظهر لك أنه سليم البصر وهو يتظاهر بالعمى » . قالت ذلك ومدت يدها فحلت العصابة فبان عيناه ، فأجال نظره في الحضور وهو ثابت الجنان رابط الجأش كأنه واقف على ضفاف دجلة للنزهة !

فلما سمع المنصور ذلك انفطر قلبه على تلك الفتاة ، ولكنه لم يندم على قتل أبي مسلم . ثم التفت الى صالح فرآه واقفا لا يتكلم ولا يرتعد ولم تظهر عليه علامة الخوف ، فأراد أن يسأله عما سمعه فقال له : « ماذا تقول فيما سمعته ؟ »

قال : « كل ما قالوه صحيح »

قال : « تقول ذلك ولا تخاف قضبي ؟ »

قال : « وما يخيفني من غضبك . هل تقدر على شيء شر من القتل ، وأنا لا أبالي ما يصيبني بعد أن بلغت مرأى بقتل هذا الظالم ، غير أنني انصح لك بأن تقتل هذا اليهودي أيضا لأنه من أكبر المنافقين »

فقال المنصور : « أما القتل فإنه قليل على ذنوبك لأنها كثيرة وكل واحد منها يستحق القتل » . ثم نظر الى جنار فرآها مطرقة غارقة في أحزانها ، فأراد أن يشفي غليلها فقال لها : « أن هذا الجاني لك ، فاختاري الطريقة التي تريدنها لقتله »

فرفعت بصرها الى الخليفة والدمع ملء عينها وقالت : « هل إذا بالقتل في

عذابه يحيا حبيبي ؟ لا ابالي كيف يموت » . قالت ذلك وقد خنقتها العبرات
وعاد اليها رشدها

فأعجب المنصور بتعلقها والتفت الى صالح وقال : « كل ضروب القتل
قليلة على ذنبك ، ولكنى سأقتلك كما قتل الحجاج فيروز » . ودعا الحراس
فأمرهم أن يشقوا القصب الفارسي ويمروا الرجل ويشدوا القصب المشقوق
على بدنه ثم يسلوه قصبة قصبة فيجرحه ، ثم يصبون عليه الخل والملح
حتى يموت من الألم » . فأخذوه وفعلوا به ما أمر الخليفة

فلما سمعت جلتار ذلك الوصف اقشعر بدنها ، والتفت المنصور اليها
وقال : « وأنت يا بنية عظم الله أجرك . . لقد نفذ القدر ولا خيرة في الواقع ،
فاذا شئت أن تنزلى دار أمير المؤمنين كبعض أهله نزلت مكرمة معزة ، وإذا
اخترت الإقامة بمكان آخر كان لك ما تريدن »

فأثنت على فضل المنصور ، وقالت : « اذا أحب أمير المؤمنين أن يسرنى
فليلحقنى بهذا » . وأشارت الى مكان أبى مسلم وعادت الى البكاء

فقال : « ان البكاء لا ينفعك ، فاذهبي الآن مع حاضنتك الى دار النساء
للاستراحة »

فنهضت وأخذت تبحث عن جثة أبى مسلم فى أقصى القاعة فلم تجدها
لأنهم كانوا قد لفوها باليساط ، ثم التفتت الى المنصور ووجهها ملوث بالدم
وقالت : « أوصيك بجمعانه خيرا » . وخرجت وهى تبكى وكفاها على
عينها ، وقد جد الدم عليهما وريحانة تتبعها

أما ابراهيم فان وصية صالح بقتله أثرت فى المنصور ، فأمر بقتله سرا .
وأما جلتار فقضت تلك الليلة تندب حظها وتبكي حبيبها ، وأصبح أهل
الدار فى اليوم التالى فلم يجدوها بينهم ولا عرفوا مكانها ، لأنها كرهت
معاشرة الأحياء واختارت الإقامة بالدير الذى كانت فيه مع حاضنتها بعيدة
عن الناس



بعض ما قاله الأدباء في روايات جرجي زيدان

لا أعلم أين تذهب نفس الإنسان بعد موته ، ولا أين مكانها الذي ستقر فيه بعد فراق جسدها ، ولا ما هي الصلة التي تبقى بين المرء والحياة الدنيا بعد رحيله عنها . فان كان صحيحا ما يقولون من أن ساكن القبور يستطيع أن يجد ما بين صخورها ورحابها منفذا يشرف منه على هذه الدار ، فيسره ما ترك وراءه فيها من ذكر جميل وثناء عاطر وسيرة صالحة ومجد باق ، فان نصيب جرجي زيدان اليوم من الهناء والغبطة بما ترك في هذه الحياة من جليل الآثار وصالح الأعمال أوفر الانصبة وأوفاهها .. مات جرجي زيدان فبكاه قارئه كته لانه كان يجد فيها غزارة المادة وسهولة التناول ، وبكاه قارئه رواياته لانه كان يجد في خيالها وجمال تصوراتها عونا على هموم الحياة وأرزائها

كتب وهو المسيحي تاريخ الاسلام في كتبه ورواياته كتابة العالم المحقق ، فاجتمع في مجلس علمه من أبناء الأمة الاسلامية - عربها وعجمها - جمع لم يجلس مثله بين يدي عالم من علماء الاسلام ، ولا مؤرخ من مؤرخيه في هذا العصر

مصطفى لطفى النفلوطي

كتب روايات ، يكفى ذكرها اليوم ويكفى ذكرها غدا وبعد غد والى الابد ، في أرقى الأمم علما وأسماءها حضارة ، حتى يكون اسم جرجي زيدان عنوان النشاط والجد ، وعنوان الادب والفضل ، وحتى يحل هذا الاسم كمنازة من المناثر التي قامت في مصر ، وأرسلت اشعتها الى العالم العربي بل الى العالم الشرقي كله

داود يركات

روايات تاريخ الاسلام

مسلسلة حسب العصور التاريخية

- ١ - فتاة غسان
تشرح حال الاسلام من ظهوره الى فتوح العراق والشام مع بسط عادات العرب وأخلاقهم في آخر جاهليتهم وأول اسلامهم
- ٢ - ارماتوسة المصرية
فيها تفصيل فتح مصر على يد عمرو بن العاص مع بسط سائر احوال العرب والاقباط والرومان في ذلك العصر
- ٣ - علماء قریش
تتضمن تفصيل مقتل الخليفة عثمان بن عفان وخلافة الامام على وما نجم من ذلك من الفتنة وواقعتي الجمل وصفين
- ٤ - ١٧ رمضان
تفصل مقتل الامام علي وبسط حال الخوارج وقيام الفتنة واستئثار بني أمية بالخلافة وخروجها من أهل البيت
- ٥ - غداة كربلاء
تتضمن ولاية يزيد بن معاوية وما جرى فيها من مقتل الامام الحسين وأهل بيته في كربلاء ، ووقعة الحرة وغيرها
- ٦ - الحجاج بن يوسف
تناول حصار مكة على عهد عبد الله بن الزبير الى فتحها وخلوص الخلافة لعبد الملك بن مروان ، مع وصف مكة والمدينة
- ٧ - فتح الانبليس
تتضمن تاريخ اسبانيا قبيل الفتح الاسلامي ووصف احوالها وفتحها على يد طارق بن زياد ومقتل رودريك ملك القوط
- ٨ - شارل وعبد الرحمن
تشرح فتوح العرب في بلاد فرنسا وما كان من تكاتف الافرنج بقيادة شارل مارتل وأسباب فشل العرب في أوروبا

- ٩ - أبو مسلم الخراساني
تستعمل على سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية الى
مقتل ابي مسلم . ويتخلل ذلك وصف عادات الخراسانيين
- ١٠ - العباسية اخت الرشيد
تستعمل على نكية البرامكة وما يتخلل ذلك من وصف مجالس
الخلفاء وملابسهم ومواكبهم ، وحضارة الدولة في عصر الرشيد
- ١١ - الامين والمأمون
تفصل الخلاف بين الامين والمأمون ، وقيام الفرس لنصرة المأمون
حتى فتحوا بغداد ، ودخائل السياسة بين العرب والفرس
- ١٢ - عروس فرغانة
تحوى وصف الدولة العباسية في عصر المعتصم بالله وقيام الفرس
لارجاع دولتهم ونهوض الروم لاكتساح المملكة الاسلامية
- ١٣ - احمد بن طولون
فيها وصف جامع لمصر وبلاد النوبة وعلاقاتها السياسية في
اواسط القرن الثالث للهجرة على زمن احمد بن طولون
- ١٤ - عبد الرحمن الناصر
تستعمل على وصف بلاد الاندلس وحضارتها في زمن الخليفة
عبد الرحمن الناصر الاموي وخروج ابنه عبد الله عليه
- ١٥ - فتاة القيروان
تتضمن ظهور دولة العبديين او الفاطميين في افريقية ومناقب
المزليدين الله وقائده جوهر ، وانتزاعه مصر من الدولة الاخشيديّة
- ١٦ - صلاح الدين ومكايد الحشاشين
تتضمن انتقال مصر من الفاطميين الى الايوبيين على يد السلطان
صلاح الدين ، مع وصف طائفة الاسماعيلية
- ١٧ - شجرة الدر
تتضمن مباحة شجرة الدر ، وسيرة الامير ركن الدين بيبرس
وحالة الخلافة العباسية وقتلها وانتقالها من بغداد الى مصر
- ١٨ - الانقلاب العثماني
تشرح احوال الاحرار العثمانيين وما قاسوه في طلب الدستور.
ووصف بلنز وقصورها وحدائقها وعبد الحميد وجواسيسه

روايات لجرجى زيدان

مأرجحة على سلسلة تاريخ الاسعوم

لجرجى زيدان اربع روايات اخرى خارجة عن سلسلة تاريخ الاسلام المنشورة فى الصفحتين السابقتين . وهى :

١ - استبداد المماليك

تتضمن حوادث مصر والشام فى اواخر القرن الثامن عشر مع بسط عادات الامراء والمماليك واخلاقهم ونوع حكومتهم

٢ - الملوكة الشارء

تشمل وصف حوادث مصر وسورية واحوالهما فى النصف الاول من القرن التاسع عشر . ومن ابطالها محمد على باشا الكبير ، وابراهيم باشا ، والامير بشير الشهابى ، وامين بك .

٣ - اسير المتهدى

تتناول حوادث المهدوية من اول ظهور المهدى فى السودان الى سقوط الخرطوم . وحوادث الثورة العربية من اول نشأة مرابى الى الاحتلال الانجليزى

٤ - جهاد الحسين

هى رواية ادبية غرامية تبين ما يقاسيه المحبون فى سبيل الحب

الرواية التالية

المباشرة أفت الربيع

تصدر في ١٥ نوفمبر القادم

رسالة دار الهلال

لدار الهلال غاية تسمى إليها ، كما أن لها خطة
مرسومة تسير عليها . فأما الغاية فالمساهمة في رفع
الستوى الثقافي في مصر والأقطار العربية . وأما الخطة
فالتوفيق بين قديمنا وحديثنا والجمع بين محاسن الشرق
ومحاسن الغرب : فلا جود ولا طرفة بل هو عيش
وثيد في سبيل الرقي الوطني

ودار الهلال تؤدي واجبها بهدوء وعزيمة معاً ،
مطمئنة إلى ما قد أتت ، متطلعة إلى اتقان ما تنتج -
لا تداهن فرقة ولا تتلق كبراً - ولا تتساهل قيد
شعرة فيما تثمده حقاً وصواباً

ودار الهلال تؤمن ببقاء العمل الصالح ، واخفاق
ما عداه . وهي لذلك لا تحفل بالسفساف والصفاخر بل
ترحب بكل فكرة نزيهة وتمضد كل جهد شريف

وشعارها على الدوام إلى الأمام !

اشترك في روايات الهلال

تضمن وصول الأعداد كل شهر بانتظام

(أسعار الاشتراك على الصفحة الثانية من الغلاف)

وكلاء روايات الهلال

بيروت ولبنان : السيد خليل طعمه - شارع المعرض . بنساية
وقف الروم الارثوذكس - ص.ب ٥٤٣ بيروت

حلب : الشيخ طاهر النعساني

حماه : السيد سعيد نجار

اللاذقية : السيد نخله سكاف

حمص : السيد عبد السلام السباعي - ص.ب ٤٩

مكة المكرمة : السيد هاشم بن السيد علي نحاس - ص.ب ٩٧
بغداد والعراق : السيد محمد جواد حيدر - مكتبة المعارف -
بسوق الراي

البحرين والخليج الفارسي : السيد مؤيد احمد المؤيد . مكتبة
المؤيد - البحرين

Snr. Rachid S. Cury, Caixa Postal 1812 : البرازيل
Sao Paulo - Brasil.

Snr. Oscar S. David, Apartado Nacional 174 : كولومبيا
Cartagena - Colombia.

Snr. Nicolas Yunes, Acha 2651 : الأرجنتين
Buenos Ayres - Argentina.

The Queensway Stores, P.O. Box 400, ساحل الذهب:
Accra, Gold Coast, B.W.A.

Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street, : نيجيريا
P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.

متعهد توزيع روايات الهلال للباعة والمكتبات في العراق
السيد محمود حلمي .

اقْرَأْ

الحمد لله

مجلة الجيل الجديد

ط ١٩٧١

طرابلس - ليبيا



في أول كل شهر